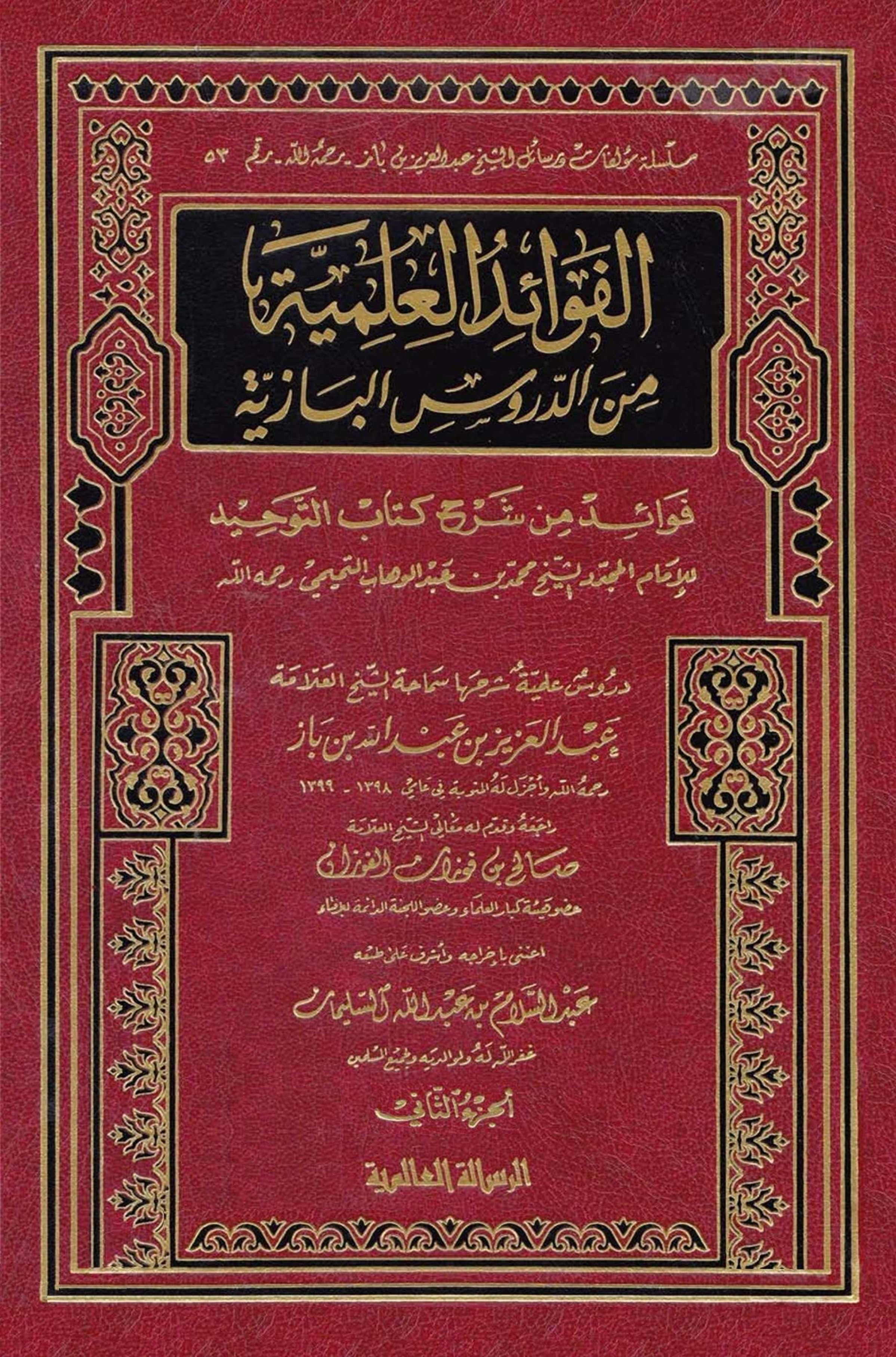


سلسلة مؤلفات ورسائل الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - رقم ٥٣
الفوائد العلمية
من الدروس البازية
فوائد من شرح كتاب التوحيد
للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله
دروس علمية شرحها سماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله وأجزل له المثوبة في عامي ١٣٩٨ - ١٣٩٩
راجعه وقدم له معالي الشيخ العلامة
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه
عبد السلام بن عبد الله آل سليمان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
الجزء الثاني
الرسالة العالمية



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ح) عبد السلام بن عبد الله السليمان، ١٤٢٩هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السليمان، عبد السلام بن عبد الله
الفوائد العلمية من الدروس البازية./ عبد السلم بن عبد الله السليمان . - الرياض ، ١٤٢٩هـ
١٠ مج .- (سلسلة الفوائد العلمية)
ردمك ٣-١٥٢٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)
٦-١٥٣٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- الاسلام- مبادئ عامة ٢- الثقافة الاسلامية أ. العنوان
ديوي ٢١١ ١٤٢٩/٦٠٩٥

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٦٠٩٥
ردمك : ٣-١٥٢٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)
٦-١٥٣٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨(ج٢)

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الرسالة العالمية
دار الرسالة العالمية

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي

2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460



سلسلة مؤلفات ورسائل الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - رقم ٥٣

الفوائد العلمية

من الدروس البازية

فوائد من شرح تيسير العزيز الحميد

للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

(القسم الأول)

دروس علمية شرحها سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله وأجزل له المثوبة في عامي ١٣٩٨ - ١٣٩٩

راجعه وقدم له معالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى بإخراجه وأشرف على طبعه

عبد السلام بن عبد الله السليمان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الجزء الثاني

طبع بإذن من سماحة المفتي العام للمملكة ومؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:
فقد اطلعت على المجموعة المسماة: سلسلة الفوائد العلمية
من الدروس البازية جمع الشيخ: عبد السلام بن عبد الله السليمان
فوجدتها مجموعة مفيدة حافلة بدرر من دروس الشيخ عبد العزيز بن باز
وتعليقاته وأرجو الله أن ينفع بها ويكتب أجرها لمن تكلم بها
ومن جمعها. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

١٤٢٩/٧/٢٨هـ

تقـــريـــظ

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصـــحبه وبعد،

فقد اطلعت على المجموعة المسماة : سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية جمع الشيخ : عبد السلام بن عبد الله السليمان فوجدتهـــا مجموعة مفيدة حافلـــة بـــدرر مـــن دروس الشيخ عبد العزيز بن باز وتعليقاته وأرجو الله أن ينفع بها ويكتـــب أجرها لمن تكلم بها ومن جمعها- وصلى الله وسلم على نبينـــا محمد وآله وصحبه.

كتبـــه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

١٤٢٩/٠٧/٢٨ هـــ

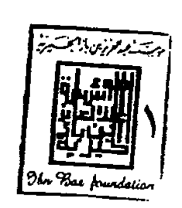
مقدمة اللجنة العلمية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فيطيب للجنة العلمية بمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية أن تقدم بين يدي القارئ الكريم هذا الجمع النافع الموسوم بـ(سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية) وقد قام بجمعه وإعداده فضيلة أخينا الشيخ/ عبدالسلام بن عبدالله السليمان وفقه الله وسدده .

وقد اشتمل هذا الجمع المبارك على فوائد جليلة ودرر بهية من دروس سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز _ رحمه الله _ وتعليقاته النافعة .

نسأل الله تعالى أن يثيب من جمعها وأعدها ،كما نسأله سبحانه أن يضاعف الأجر والمثوبة لسماحة شيخنا / عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ وأن يجعل هذه الفوائد من العلم النافع الذي يجري عليه أجره في قبره، وأن يجمعنا به والمعدّ والقارئ الكريم في دار كرامته مع الأحبة محمد ﷺ وصحبه .



اللجنة العلمية

بمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

مقدمه معالي الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

سماحة الشيخ العلامة الإمام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء بالمملكة ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العليمة والإفتاء ورئيس رابطة العالم الإسلامي فقد تشرفت بمعرفته رحمه الله واستفدت من سماحته مدرساً في كلية الشريعة بالرياض حيث تلقيت عنه علم الفرائض في هذه الكلية واستفدت من دروسه ومحاضراته خارج الكلية منذ قدمت إلى الرياض لطلب العلم سنة ١٣٧٨ للهجرة، فهو العالم الفذ في علمه وفي عمله وفي أخلاقه وفي حبه للخير وأهله وفي سعيه الجاد في نشر العلم، يعرف ذلك القاصي والداني عنه ، ولقد تشرفت بالمشاركة في العمل تحت رئاسته عضواً للجنة الدائمة للإفتاء وفي هيئة كبار العلماء وفي المجمع الفقهي فاستفدت منه كثيراً، من توجيهاته العلمية وآراءه السديدة لأنه رحمه الله آية في الإلمام بمسائل الفقه وأقوال العلماء ومعرفة الأدلة واستحضارها، وحفظ الأحاديث ومعرفة متونها وأسانيدها ومخرجيها ودرجاتها، فكان لا يأخذ من الأقوال إلا ما ترجح لديه بالدليل، ولا من الأدلة إلا ما صح عنده، كان لا يمل من قراءة الكتب النافعة، والاستزادة من العلم، وكان رجاعاً

إلى الحق لا يمنعه قول قاله بالأمس أن يرجع عنه إلى الصواب إذا تبين له اليوم، عملاً بوصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكان يحرص على البحث والمشورة حتى مع من هو أقل منه علماً وخبرة بحثاً عن الحق والأخذ به؛ لأن الحق ضالة المؤمن أنَّى وجده أخذه، كان يحرص رحمه الله على نفع المسلمين بماله وجاهه وشفاعته، يحب المشاركة في المشاريع الخيرية، ويساعد المحتاجين، ويفتي السائلين شفهياً وتلفونياً وتحريرياً، لا يقتصر على عمله الرسمي فعمله دائم في البيت مع سعة صدر، وسماحة بال، وتيسر لقاء به، حيث يجلس لإستقبال الناس الساعات الطويلة من كل يوم ويفتح بابه لمن يريد الدخول واللقاء به دون مانع أو حائل مع قيامه بالدعوة إلى الله من خلال الدروس اليومية التي يلقيها في المسجد ويحضرها المئات من الطلاب والمستفيدين ومن خلال المحاضرات التي يلقيها في المساجد والمنتديات واللقاءات، فكان لا يتوقف، إذا طلب منه إلقاء محاضرة في أي مكان قريب أو بعيد أو طلب منه لقاء فقهي يجيب من خلاله على أسئلة الحضور حتى بواسطة المهاتفة من مكان بعيد وله مشاركات كبيرة في وسائل الإعلام المقروءة و المسموعة في إلقاء الكلمات والنصائح والإجابة على الأسئلة، وله مواقف عظيمة و كثيرة في الرد على أهل الضلال وكشف شبهاتهم وتعرية باطلهم وبيان الحق، يظهر ذلك من ردوده المطبوعة والمسجلة على الأشرطة، ومن كتبه الكثيرة، وفي جانب

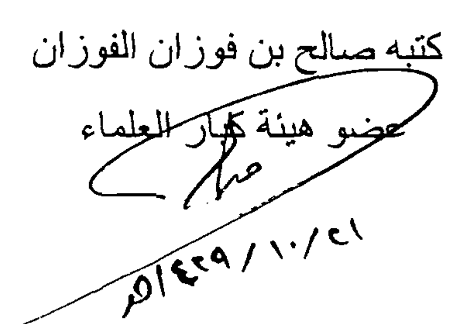
الأمر المعروف والنهي عن المنكر كان له دوره الفعال في القيام بهذا الأمر ومساندة ومساعدة القائمين عليه ونصيحة ولاة الأمور ونصيحة الرعية عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم) ، ومهما قلت فإنني أراني مقصراً في وصف ما لهذا العالم الجليل من جهود عظيمة وما تحلى به من فضائل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقد هيأ الله عز وجل لهذا الإمام الجليل من قام بجمع علمه ونشره في الآفاق حتى يكون من العلم الذي ينتفع به بعد وفاته يرحمه الله، وهذه المجموعة المعنونه بـ (سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية) هي جزء من علم شيخنا الجليل يرحمه الله، التي قام بجمعها وإخراجها أخونا الشيخ عبدالسلام بن عبدالله السليمان جزاه الله خيرا، وقد حوت فوائد جليلة يدركها من طالعها وقرأ فيها.

رحم الله شيخنا وأسكنه فسيح جناته وجزاه عما قدم خير الجزاء وأوفاه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء



مُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة الفوائد العلمية من الدروس البازية.

وهي فوائد وشروح من دروس سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ ألقاها عامي (١٣٩٨-١٣٩٩هـ) على كتاب «تيسير العزيز الحميد».

ولِـما تميز به هذا الشرح ـ ولو لم يكتمل ـ حرصت على إخراجه ضمن السلسلة، لِـما اشتمل عليه من الفوائد العلمية، حيث كانت منهجية الشيخ وطريقته في الشرح في تلك السنوات، تتميز بالإسهاب في شرح المسائل وكثرة الاستدلال من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وكذلك العناية التامة برواة الأخبار واستنباط الأحكام من الأدلة.

أسأل الله العلي القدير أن يكتب الأجر والمثوبة لشيخنا ـ رحمه الله ـ وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

ترجمة الشيخ سليمان بن عبد الله

هو الشيخ الحافظ والمحدِّث سليمان بن عبد الله ابن الإمام محمد بن عبد الوهاب، من آل الشيخ، أخذ العلم عن أبيه عبد الله، وعن الشيخ حسين والشيخ علي، وعن الشيخ حسين بن غنام، والشيخ عبد الله بن فاضل، وله إجازة من الشيخ محمد بن علي الشوكاني العلاّمة المعروف صاحب «نيل الأوطار».

ولد بالدرعية سنة ١٢٠٠ هـ، وكان بارعاً في الحديث والتفسير والفقه، ويروى عنه أنه كان يقول: أنا برجال الحديث أعرف مني برجال الدرعية، ولا غرابة في هذا فقد كان ـ رحمه الله ـ أحفظ علماء زمانه في الحديث ورجاله، وكان يعد من أكابر الحفاظ، وقد ضرب به المثل في زمانه بالذكاء، وحسن الخط، وقوة الحفظ.

تصدى لشرح كتاب «التوحيد» لجده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ ولكنه لم يتمه، وله حاشية على شرحه لهذا الكتاب، وكتاب «الدلائل في حكم موالاة أهل الشرك» حازت على إعجاب طلبة العلم بعد أن تداولوها وحفظوها، ومن كتبه

المشهورة كتاب «أوثق عرى الإيمان»، ورسالة في عدد الجمعة، وله فتاوى كثيرة طبعت ضمن مجموع فتاوى أئمة الدعوة رحمهم الله، وقد استفاد منها أهل العلم وشهدوا له بالجودة والحفظ والذكاء وقوة الفهم، وأخذ عنه العلم الغفير من أهل الدرعية، وبرع من هؤلاء الشيخ محمد بن سلطان وغيره.

وقد كان ـ رحمه الله ـ من أوائل من قاوم الخرافات والعقائد الفاسدة في زمانه، فقد كانت نجد مرتعاً للأفكار التي تتناقض وأصول الدين الصحيحة، ولهذا تصدى ـ رحمه الله ـ لهذه المنكرات، ولم تكن تأخذه في الله لومة لائم، ولا غرابة في أن أكرمه الله بالشهادة، حينما وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا ابن محمد علي بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره إبراهيم وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظةً له، ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعاً فمزقوا جسمه، وصعدت روحه إلى باريها بعد حياة بالعطاء والجهاد بالقول والعمل، وذلك في سنة ١٢٣٣هـ، رحمه الله رحمةً واسعةً، وأجزل له المثوبة والأجر العظيم.

أهمية كتاب «تيسير العزيز الحميد»:

توفرت عدَّة أسباب جعلت هذا الكتاب يلقى صدى من القبول والاهتمام لدى المشتغلين في هذا الباب، ومن ذلك أنه كان أول كتاب يتصدى لشرح كتاب «التوحيد» الذي استوفى مصنفه الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، بيان جنس العبادة التي ينبغي إخلاصها لله تعالى، وذلك بالتنبيه على بعض أنواعها وبيان ما يضادها من الشرك بالله تعالى في العبادات والإرادات والألفاظ، ولم يُسهب ـ رحمه الله ـ في كتاب «التوحيد» بالتفصيل والبيان، وإنما اكتفى بالآيات القرآنية الكريمة التي ذكرها وما تبعها من الأحاديث والآثار دون التعرُّض لها بالتوضيح والشرح والتفصيل، فاكتفى بالتلويح دون التصريح، فجاء هذا الشرح الذي أجاد فيه الشارح ـ رحمه الله ـ وأفاد من خلال تفصيل مُجمَله، وتوضيح غريبه، وشرح آياته، والتعليق على أحاديثه، وغير ذلك من الفوائد التي ضمنها ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب؛ هذا من جانب.

ومن جانب آخر تبرز قيمة الكتاب من خلال وضوح المنهج

الذي سار عليه الشارح رحمه الله، والذي حذا فيه حذو الشُّراح القدماء، وهذا لا ينبغي إلا لمن كان ذا علم غزير، وثقافة واسعة في شتى العلوم المتعلقة بالحديث والتفسير والفقه واللغة، ففي جانب الحديث نراه لا يترك حديثاً إلا وأفاد القارئ بالوقوف على إسناده والكلام على رجاله جرحاً وتعديلاً وقول الحُفّاظ فيه، وذكر تخريجه وسرد طرقه والتعليق على متنه واستنباط الفوائد منه.

وتبرز ثقافته اللغوية ـ رحمه الله ـ من خلال تتبعه لأصول وجذور الكثير من الكلمات الواردة في المتن، لإظهار معناها مع بيان الوجوه الإعرابية التي تحتملها، إلى جانب تعريفها لغةً واصطلاحاً، وهذا من جملة ما جعل الكتاب في متناول الجميع بكافة مستوياتهم.

والأمر نفسه يقال فيما يتعلق بوقوفه على الكثير من الآيات الكريمة التي ساقها المصنف في متن الكتاب، فقلما يترك آية إلا ويتبعها بقول أهل التأويل والتفسير، أو بما فتح الله عليه والتعليق عليه.

ولم يخل شرحُه من أقوال من سبقوه في هذا المجال وخصوصاً

في جانب العقيدة، ولهذا قال رحمه الله: وحيث أطلقت شيخ الإسلام فالمراد به أبوالعباس ابن تيمية، والحافظ فالمراد به ابن حجر العسقلاني صاحب «فتح الباري» وغيره رحمهما الله تعالى.

ويتلخص من ذلك كله أن شرحه ـ رحمه الله ـ لم يكن بالطويل المملِّ، ولا بالقصير المخلِّ، وإنما جاء شرحاً وافياً أبرز فيه من التوضيح والبيان والتفصيل ما يجب أن يطلب منه ويراد، ولهذا لم يغفل ـ رحمه الله ـ بعد شرحه لكثير من الآيات والأحاديث وبيان ما فيهما من الفوائد من تبيين مطابقة الآيات والأحاديث للتراجم التي وضعها المصنف، رحمهما الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وصَلَّى الله وسَلَّمَ على نبيِّنا محمَّدٍ وآلِه وصَحْبِه أَجمعينَ.

[القول في «بسم الله»]

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

۞ وذكر ابنُ القيِّم لحذف العاملِ في «بسم الله» فوائدَ عديدةً:

منها: أنه موطنٌ لا ينبغي أن يتقدَّم فيه سوى ذكرِ الله تعالى، فلو ذكرتَ الفعلَ وهو لا يستغني عن فاعله، كان ذلك مناقضاً للمقصود، فكان في حذفه مُشاكَلةُ اللفظِ للمعنى ليكونَ المبدوءَ به اسمُ الله، كما تقول في الصلاة: اللهُ أكبر، ومعناه: من كلِّ شيءٍ، ولكن لا تقول هذا القدْرَ ليكون اللفظُ مطابقاً لمقصود الجَنانِ، وهو أن لا يكون في القلب إلا ذكرُ الله وحدَه، فكما تجرَّد ذِكرُه في قلب المصلي =

= تجرد ذكره في لسانِه[1]. [١]

[شرح١] تعبير اختصره الشارع بحذف المفضل عليه كـ: الله أكبر، والمعنى: مِن كل شيء. هذا من باب الأسرار، فالسر في ذلك ـ والله أعلم ـ أن يكون اللفظ محضاً لتكبير الله وتعظيمه، كما تمحض في قلبه الإخلاص له، وتعظيمه عند افتتاح الصلاة، هكذا «بسم الله»؛ فلو قال: أَقرأُ بسم الله، أو آكلُ بسم الله، بدأ بكلمة قبل بسم الله، ثم قال للناسي فيها أن يبدأ بسم الله قبل كل شيء، فلهذا حذف فصار حذفه أقرب حتى تكون «بسم الله» صالحة لكل شيء؛ عند الأكل، عند الشرب، عند الوضوء، نبدأ بالتعظيم.

هذا البحث لابن القيم في كتاب «بدائع الفوائد»، فيه فوائد مثل البستان فيه فوائد جمة في النحو وفي الفقه وفي الحديث، فهو كتاب جيد*.

---

* س: وهل جائز أن يقال: الله أكبر من كذا ومن كذا؟

ج: ليس فيه شيء، وإنما هو إيضاح للمعنى.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» ص١٤.

والطبعة المعتمدة في العزو إليها من «تيسير العزيز الحميد» هي طبعة دار ابن حزم، ط١، سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

۞ ومنها: أنَّ الفعلَ إذا حُذِف صَحَّ الابتداءُ بالتسمية في كل عملٍ وقول وحركة، وليس فعلٌ أولى بها من فعلٍ، فكان الحذفُ أعمَّ مِن الذِّكرِ، فأيّ فعلٍ ذكرتَه كان المحذوفُ أعمَّ منه.

[الكلام على لفظ الجلالة «الله»]

«الله» علم على الرب تبارك وتعالى، ذكر سيبويه أنه أعرف المعارف، ويقال: إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف بجميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٤] فأجرَى الأسماءَ الباقيةَ كلَّها صفات له.

واختلفوا هل هو اسمٌ جامدٌ أو مشتق؟ على قولين =

= أصحُّهما أنه مشتق.

قال ابنُ جرير: فإنه على ما رُوِي لنا عن ابن عباس، قال: اللهُ ذو الأُلوهيَّة والعبوديَّة على خلقه أجمعين[1]. [٢]

۞ وذكر سِيبَوَيهِ عن الخليل أنَّ أصلَه «إلـهٌ» مثل فِعَالٍ، فأُدخِلَت الألفُ واللامُ بدلاً من الهمزة[2]. [٣]

[شرح٢] مشتق لأن له أصلاً في المصادر والأفعال، وليس اسماً جامداً؛ لأن أصله مِن أله يأله إلاهةً، فهو مشتق من الألوهية، والتأله: التعبد، وسمي «الله» لأنه يُعبَد ﷻ ويُؤلَه ويُحَبُّ ويُخضَع له جلِ وعلا، فكما أن «الرحمن والرحيم» مشتقة فكذلك «الله» مشتق؛ لأن له أصلاً في تصريف الأفعال في لغة العرب، لكنه مختص بالله جل وعلا فلم يسمَّ به غيره سبحانه وتعالى.

[شرح٣] يعني: حذفت الهمزة من الإله، ثم أدغمت لام التعريف في لام الأصل فأصبح الله مشدداً، فالهمزة الأولى سقطت.

---

(١) ص١٥-١٤.

(٢) ص١٥.

۞ قال سيبويهِ: مثل «الناس» أصلُه «أُناس»، وقال الكِسائيُّ والفَرّاءُ: أصلُه «الإله»، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللامَ الأولى في الثانية، وعلى هذا فالصحيحُ أنه مشتقٌّ مِن أَلِهَ الرجل: إذا تَعبَّدَ، كما قرأ ابنُ عباس: «ويَذَرَكَ وإِلاهتَكَ»[1] [الأعراف:١٢٧] أي: عبادتَكَ، وأصلُه الإله، أي: المعبود، فحُذِفَت الهمزةُ التي هي فاء الكلمة، فالتَقَتِ اللامُ التي هي عَينُها مع اللام التي للتعريف، فأُدغِمت إحداهما في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاماً واحدةً مشدَّدةً، وفُخِّمت تعظيماً، فقيل: الله.

قال ابن القيم: القولُ الصحيحُ أن «الله» أصلُه «الإله» كما هو قولُ سيبويه وجمهور أصحابه إلا مَن شَذَّ منهم، وأن اسمَ الله تعالى هو الجامعُ لجميع معاني الأسماء الحُسنَى والصفاتِ العُلَى.

قال: وزعم السُّهَيليُّ وشيخه أبو بكر بن العربيّ: (أنَّ =

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٢٥٦)، و«تفسير القرطبي» (٧/ ٢٦٢).

= اسمَ الله غيرُ مشتقٍّ؛ لأن الاشتقاق يَستلزِم مادةً يُشتَقُّ منها، واسمُه تعالى قديمٌ، والقديم لا مادةَ له، فيستحيل الاشتقاقُ). ولا ريب أنه إنْ أُريدَ بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمدٌّ من أصلٍ آخرَ فهو باطلٌ، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق[1] لم يريدوا هذا المعنى، ولا أَلَمَّ بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دالٌ على صفةٍ له تعالى، وهي الإلهيَّة، كسائر أسمائه الحسنى[2]. [٤]

[شرح٤] يعني: لا يلزم منها مادة قديمة المعنى أن هذا اللفظ له أصل وأساس في الاشتقاق والعمل وهو الإله، وليس المعنى أنه مسبوق بشيء ﷻ، فالله ليس قبله شيء جل وعلا، لكنْ المعنى أن هذا اللفظ له أصل في الاشتقاق وأن له معنى وليس بجامد، ولا يلزم من كون أن له معنى أن يكون قبله شيء، فقول السهيلي وشيخه لا وجه له.

فالرحمن ـ مثلاً ـ لا يلزم من كون لفظ الرحمن مشتقاً أن الرحمة =

---

(١) كسيبويه وغيره.

(٢) ص١٥.

....

= سابقة له، وكذلك العزيز مشتق من العِزَّة، فلا يلزم من ذلك أن العزة سابقة لله جلّ وعلا، وهكذا في بقية الأسماء كلها مشتقة فلا يلزم من الاشتقاق أن المادة التي اشتق منها سابقة له، وإنما المعنى أن هذه الأسماء لها معنى في لغة العرب ، ويكون لها أصل في لغة العرب واصطلاح العرب أخذت منه، وهذا ما يسمى الاشتقاق.

فالرحمن في أصل لغة العرب من الرحمة، وكذلك العزيز من العزة، والحكيم من الحكمة، والقدير من القدرة وهكذا، فليس معنى ذلك أن هذه الأسماء لها سوابق، وأنها مسبوقة بأشياء قبل الله ﷻ، ولكنها ألفاظ لها معانٍ، وكذلك الله لفظ له معنى وليس جامداً*.

---

* س: هل يجوز أن يقال: الله قديم؟

ج: نعم، جائز، ولكن ليس هو من الأسماء الحسنى، فالقديم معناه أن الله لم يسبقه شيء ﷻ، ولكن لا يعد من أسماء الله الحسنى؛ لأنه لم يرد فيها.

والقديم قسمان: قديم لا أول له، وهو قدم الله جل وعلا، وقديم له أولية مثل ما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ =

....

= ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩] يعني: الذي مضى عليه زمن، والحاصل أن القديم ليس من الأسماء الحسنى؛ لأنه لم يرد في الأسماء الحسنى مثل: الأول والآخر إلى آخر ما ورد من أسمائه ﷻ.

س: هل اسم المحسن ورد؟

ج: كلا لم يرد، نعم هو المحسن سبحانه، ولكن لم يرد في الأسماء الحسنى اسم المحسن.

س: اسم عبد المحسن جائز؟

ج: لا مانع إن شاء الله تعالى، لأن المحسن هو الله سبحانه وتعالى، لكن لم يرد في الأسماء الحسنى فيما نعلم، ولو سمى عبد الرحمن وعبد الله وعبد الرحيم وعبد القدير أولى.

س: ورد في الحديث «إن الله تعالى محسن فأحسنوا»[1]؟

ج: لا نعرف مدى صحته.

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٦/ ٤٢٦) من حديث سمرة.

﴿ كالعَلِيم، والقَدِير، والغَفُور، والرَّحِيم، والسَّميع، والبَصِير، فإن هذه الأسماءَ مشتقَّة مِن مصادرِها بلا رَيْب، وهي قديمةٌ، والقديم لا مادةَ له، فما كان جوابُكم عن هذه الأسماء فهو جوابُ القائلينَ باشتقاق اسم الله تعالى.

ثم الجوابُ عن الجميع: أنّا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها مُلاقيةٌ لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولِّدةٌ منه تَوَلُّدَ الفرعِ من أصلِه[1]. [٥]

[شرح٥] نعم، ليس المعنى أنها متولدة تولد الفرع من أصله، كالدجاجة من البيضة، أو العَنَاق مِن العَنز، أو الحَمَل من الشاة وما أشبه ذلك، لا، بل هذه أشياء تتلاقى مع مصادرها، يعني: أن لها معاني مأخوذة من لغة العرب، وليس بالضرورة أن تكون فرعاً له أصل هو سابق له.

---

(١) ص١٥.

۞ وتسميةُ النُّحاة للمصدر والمشتقِّ منه: أصلاً وفرعاً، ليس معناه أن أحدَهما تَوَلَّد مِن الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدَهما يتضمَّن الآخر وزيادةً.

وذكر ابن القيِّم لهذا الاسم الشريف عَشرَ خصائصَ لفظيةٍ، ثم قال: وأمّا خصائصُه المعنوية فقد قال فيها أعلم الخلق به ﷺ: «لا أُحصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ»[1].

وكيف تُحصَى خصائصُ اسمٍ مُسمّاهُ كلُّ كمالٍ على الإطلاق، وكلُّ مدحٍ، وكلُّ حمدٍ، وكلُّ ثناءٍ، وكلُّ مجدٍ، وكلُّ جلالٍ، وكلُّ إكرامٍ، وكلُّ عزٍ، وكلُّ جمالٍ، وكلُّ خيرٍ، وإحسانٍ وجودٍ وبرٍّ وفضلٍ، فلَهُ ومنه، فما ذُكر هذا الاسم في قليل إلا كَثّرَه، ولا عندَ خوفٍ إلا أزاله، ولا عند كَرب إلا كشفَه، ولا عند هَمٍّ وغَمٍّ إلا فرَّجه، ولا عند ضيق إلا وسَّعه، ولا تعلَّق به ضعيفٌ إلا أفاده القوةَ، ولا ذليلٌ إلا =

(١) أخرجه مسلم: الصلاة (٤٨٦).

= أنالَه العِزَّ، ولا فقيرٌ إلا أصارَه غنياً"[1]. [٦]

[شرح٦] هذا في الجملة مراده مع مراعاة ما شرع الله في هذه الأمور، من الخضوع لله، والذل له، والاعتصام به، والإيمان به، فهذه التي أشار إليها المؤلف لا تكون إلا مع مراعاة قيودها وشروطها، أما من ذكر اسم الله مع إعراضه عنه، وإعراضه عن القيام بحقه فلا تفيده، ولا يتحصل له فوائدها، وإنما هذه الفوائد لمن تعلَّق بالله وآمن به وأخلص له، فتحصل له فوائد عظيمة، أمن وعز وسؤدد وخير كثير، وتفريج هَمٍّ إلى غير ذلك، وأما من كان حظّه من ذلك مجرد كلام مع إعراض القلب، وغفلة القلب وقسوته وتلطخه بالسيئات، فهو كثيراً ما تفوته هذه الفوائد لعدم الاستقامة على الطريق السوي.

---

(١) ص١٥-١٦.

۞ ولا مستوحشٌ إلا آنسَه، ولا مغلوبٌ إلا أيَّدَه ونصرَه، ولا مضطرٌّ إلا كشف ضُرَّه، ولا شريدٌ إلا آواه، فهو الاسم الذي تُكشَفُ به الكُرُبات، وتُستَنزَل به البركاتُ والدعوات، وتُقال به العّثراتُ، وتُستَدفع به السيئاتُ، وتُستَجلب به الحسناتُ.

وهو الاسمُ الذي به قامت السماواتُ والأرضُ، وبه أُنزِلت الكُتُب، وبه أُرسِلت الرسلُ، وبه شُرِعت الشرائعُ، وبه قامت الحدود، وبه شُرِعَ الجهاد، وبه انقسمت الخليقةُ إلى السعداء والأشقياء، وبه حَقَّتِ الحَاقَّةُ ووَقَعَت الواقِعَةُ، وبه وُضِعت الموازينُ القِسطُ، ونُصِب الصراطُ، وقام سوقُ الجنَّة والنار.

وبه عُبِد ربُّ العالمين وحُمِد، وبحقِّه بُعِثت الرسُل، وعنه السؤالُ في القبر، ويومَ البعث والنُّشور، وبه الخصامُ، وإليه المحاكمةُ، وبه المُوالاةُ والمعاداة، وبه سَعِدَ مَن عَرَفه وقام بحقِّه، وبه شَقِي مَن جهله وترك حقَّه، فهو سِرُّ الخَلقِ والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق والأمر به وإليه =

= ولأجله، فما وُجِد خَلقٌ ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مُبتدِئاً منه، منتهياً إليه، وذلك موجبُه ومقتضاه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] إلى آخر كلامه ﷺ.

[القول في «الرحمن الرحيم»]

«الرحمن الرحيم» قال ابن كثير: اسمانِ مشتقانِ من الرَّحمة على وجه المبالغة، و«رحمان» أشدُّ مبالغةً من «رحيم».

قال ابن عباس: وهما اسمانِ رقيقانِ أحدهما أرقُّ مِن الآخر؛ أي: أوسعُ رحمةً. وقال ابن المبارك: «الرحمن» إذا سُئل أَعطى، و«الرحيم» إذا لم يُسأَل يغضب.

قلت: كأن فيه إشارةً إلى معنى كلامِ ابن عباس، لأن رحمتَه تعالى تَغلِب غضبَه، وعلى هذا فالرحمن أوسعُ معنًى من الرحيم، كما يدل عليه زيادةُ البناء[1]. [٧]

[شرح٧] منها «الرحمن» أوسع من «الرحيم»، فيه جواب آخر: أن =

---

(١) ص١٦.

....

= الرحمن يعمّ الخلق، والرحيم وصف خاصّ بتعلقه بمن آمن، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧] فهو له تعلق بالمرحومين.

أما الرحمن فهو وصف عامّ لما يتعلق بالذات، وهذا هو معنى وصفه ﷻ بالرحمة العامة الرحمن، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، والرحيم له تعلق بالعباد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧] ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

فهو يشير بالصفة الثابتة المتعدية للمخلوقين منه ﷻ، بخلاف الرحمن أنه وصف ثابت قائم به جل وعلا، ووصف له لا يزال رحمن ﷻ في الدنيا والآخرة، وبرحمته قام الخلق من كافر ومسلم، وجرت الأرزاق، وحصلت الصحة إلى غير هذا، فكل خلقه برحمته ﷻ كافرهم ومسلمهم وحيوانهم، بخلاف الرحمة الخاصة التي خص الله بها أهل الإيمان وأهل التقوى فإنها من فضله وجوده الخاص. =

....

= ورحمته الخاصة قال فيها: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧] غير العامة التي دل عليها معنى الرحمن، ودل عليها قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، والله أعلم.

۞ وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: «الرحمن» اسم عامٌّ في جميع أنواع الرحمةِ يختصُّ به الله تعالى، و«الرحيم» إنما هو في جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] ونحوه(١). [٨]

[شرح٨] المعنى: أن حظهم وغيره من الرحمة أكمل؛ لأنهم شاركوا الناس في عموم النعم والصحة والأرزاق وغير ذلك، وزادوا عليهم أنه تفضل عليهم بالتوفيق والهداية لقبول ما جاء به الأنبياء، فصار حظهم من هذه الرحمة أكثر، وإلا فقد قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

لكن الناس لهم عموم الرحمة والرأفة، وأهل الإيمان لهم خصوصها، فقد وُفِّقوا لقَبول ما جاءت به رسله، ووفقوا لامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، فصار حظ المؤمن من هذه الرحمة أكثر وأبلغ وأكمل من حظ الناس وحظ الدواب.

---

(١) ص١٦.

۞ قال بعض السلف: ويُشكِل عليه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقولُه ﷺ في الحديث: «رحمن الدُّنيا والآخرةِ ورحيمهما»[1].[2] [٩]

[شرح٩] هذا الحديث فيه نظر، لا نعرف له صحة، فلينظر من خرجه وعلق عليه، ما أعرف له سنداً معروفاً، ولكن ينظر.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥١)، وانظر «الترغيب والترهيب» الأحاديث (٢٧١٦) و(٢٧١٧) و(٢٧١٨)، ط٣، ١٤٢٠هـ، دار ابن كثير.

(٢) ص١٦.

۞ فالصوابُ ـ إن شاء الله تعالى ـ ما قاله ابنُ القيِّم: إن «الرحمن» دالٌّ على الصِّفة القائمة فيه سبحانه، و«الرحيم» دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم، فكان الأولُ للوصفِ، والثاني للفعلِ، فالأولُ دالٌّ على أن الرحمةَ صفتُه، والثاني دالٌّ على أنه يرحم خلقَه برحمته.

وإذا أردتَ فَهمَ هذا فتأمَّل قولَه تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧]، ولم يجئ قط: رحمنٌ بهم، فعُلِم أن «رحمن» هو الموصوف بالرحمة، و«رحيم» هو الراحمُ برحمته، والرحمن الرحيم: نعتانِ لله تعالى، واعتُرِض بورود اسمِ الرحمنِ غيرِ تابعٍ لاسمٍ قبلَه قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] فهو عَلَم، فكيف يُنعَت به؟[1]. [١٠]

[شرح١٠] يعني: ورد في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فقد جاء لفظ الرحمن غير نعت، أو غير تابع للفظ الجلالة الله، ولا =

---

(١) ص١٦-١٧.

....

= منافاة، لأن هذا الوصف يأتي مستقلاً ويأتي تابعاً، كالعزيز والحكيم والرؤوف، فكونه جاء مستقلاً لا ينافي كونه تابعاً في آية أخرى.

الرحمن علم على الله جل وعلا، والرحيم كذلك، والعزيز والقدوس والسلام، فكل هذه أسماء لله، ومع هذا تأتي تابعة لأسماء أخرى؛ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣] إلى آخر الأسماء.

۞ والجوابُ ما قاله ابنُ القيِّم: إنَّ أسماءَ الرَّبِّ تعالى هي أسماء ونعوتٌ، فإنها دالَّةٌ على صفات كمالِه، فلا تَنافيَ فيها بين العَلَمِيَّة والوَصفِيَّة، فـ «الرحمن» اسمه تعالى، ووصفُه تعالى لا ينافي اسميَّتَه، فمن حيث هو صفةٌ جرى تابعاً لاسم الله تعالى، ومن حيث هو اسمٌ وَرَد في القرآن غيرُ تابعٍ، بل ورود الاسمِ العلمِ.

ولما كان هذا الاسم مختصّاً به سبحانه حَسُنَ مجيئُه مفرداً غير تابعٍ كمجيء اسمِ الله، وهذا لا ينافي دلالتَه على صفةِ الرحمةِ كاسمِ الله، فإنه دالٌّ على صفة الأُلوهِيَّة، فلم يجئ قطُّ تابعاً لغيره، بل متبوعاً، وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردةً بل تابعةً.

قلتُ: قولُه عن اسم الله: «ولم يجئْ قطُّ تابعاً لغيره» بل لقد جاءَ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم:١-٢] =

= على قراءة الجرِّ، وجواب ذلك من كلامه المتقدم، فيقال فيه ما قالَه في اسم الرحمن(١). [١١]

[شرح١١] يعني: جاء هنا تابعاً لأنه وصف مشتق: «الله الذي...» والغالب أن يأتي مستقلاً، والأسماء كلها تابعة له، أعني للفظ الجلالة، وغالب النصوص أنه يأتي مستقلاً، ويأتي ما سواه تابعاً له من أسماء الله، وجاء في هذه السورة تابعاً لأنه مشتق وصف لله بالألوهية ﷻ.

* * *

---

(١) ص١٧.

۞ القسم الثالث: الشِّرك في توحيد الإلهيَّة والعبادة، قال القرطبيُّ: أصلُ الشِّركِ المُحرَّم اعتقادُ شريكٍ لله تعالى في الإلهيَّة، وهو الشركُ الأعظمُ، وهو شركُ الجاهلية، ويليه في الرُّتبة اعتقادُ شريكٍ لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال: إن موجوداً ما غير الله تعالى يستقلُّ بإحداثِ فعلٍ وإيجادِه وإن لم يعتقد كونَه إلهاً. هذا كلام القرطبي.

وهو نوعان: أحدُهما: أن يجعل لله نِدّاً يدعوه كما يدعو الله، ويسألُه الشفاعةَ كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبُّه كما يحبُّ الله، ويخشاه كما يخشَى الله، وبالجملة فهو أن يجعل لله نِدًّا يَعبُدُه كما يعبُد الله، وهذا هو الشِّرك الأكبر، وهو الذي قال الله فيه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] [1]. [١٢]

[شرح١٢] قوله: (كما يعبد الله) المقصود أنه يفعل العبادة كما يفعلها =

---

(١) ص١٦.

....

= لله عن خضوع، وعن ذل، وعن اعتقاد أن هذا العمل ينفعه، وأنه يؤثر، وما سمعنا أنه يعتقد في الولي مثل ما يعتقد في الله، فليس هذا هو المراد.

المراد الذي يعمل هذه الأشياء كما يفعلها مع الله بنية خضوعه وإيمانه بأن هذا الشيء يفيده وينفعه وما أشبه ذلك، ليس المراد أن العابد يكون في عبادته للمخلوق مثل ما يعتقد في الله، فإن المشركين ما قصدوا هذا، فالمشركون عبدوا المخلوقات ولكن ما قصدوا أنها مخلوقات مثل الله، بل قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفى، فليس مراد الشارع أن العابد لغير الله يكون باتخاذه معتقداً فيه مثل ما يعتقده في الله، بل مراده أن تُؤدَّى هذه العبادة على الوجه الذي يؤديها لله من خضوع، ومن ذل واستكانة وتأثر لهذا الشيء، لأنه لا يجعله على وجه الأفعال الحسية، وأما ما يفعله على وجه الأسباب الحسية كأن يقول: يا زيد ساعدني على هذا، يا أخي عاوني على عمارة بيتي، أو على إصلاح مزرعتي أو سيارتي لا يفعله على وجه العبادة والخضوع والذل ونحو ذلك من التقرب، وإنما يفعله على وجه العادة، أو على وجه الأسباب الحسية =

....

= من باب التعاون بين الناس في هذه الأشياء.

فهذا بخلاف الذي يأتي الصنم أو عند الولي ويدعوه، فإنه يدعوه دعاء عبادة، ودعاء خضوع وتأثر في قلبه، واعتقاد أن هذا الولي له شأن، وأن هذا الدعاء يؤثر في حال الداعي، ويكسبه فوائد من هذا الولي، فيشفع له عند الله، أويقربه عند الله، أو يشفي مريضه، أو يكون سبباً لصلاح مزرعته، وما أشبه ذلك.

فينبغي أن نفهم هذا، ولا يجوز أن يقال: إنهم يفعلون ذلك عن اعتقاد بأن هذا المدعو معبود من دون الله*.

---

* س: قول الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] هل يدخل في هذا؟

ج: ليست داخلة في هذا، فالمقصود أنه يحبه كما يحب الله في ذله له وخضوعه له، واعتقاده فيه أنه ينفعه في شفاء المريض، أو قضاء الحاجة، أو رد الغائب أو ما أشبه ذلك، وليس معناه أنه يحبه كما يحب الله معتقداً أنه يخلق كما يخلق الله، ويرزق كما يرزق الله، لا، ولكن فيه جنس خضوع وذل واستفادة من هذه العبادة.

ولو أنه عبده على أنه شفيع عند الله، فإن هذا يكون كفراً وإن كان لا =

....

= يعتقد أنه لا يتصرف في كون أو أنه يرزق أو يخلق أو ما أشبه ذلك.

وهذا بخلاف الأسباب الحسية؛ فليست داخلة في هذا المعنى، ومن هذا قول الله ﷻ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥] فهذه استغاثة مخلوق بمخلوق، وهي من باب الأسباب الحسية؛ لأن موسى قوي يستطيع أن ينتقم من هذا القبطي، وهذا هو وجه الفرق، كذلك إذا استغاث بفلان أن يمنعه من عبيده، أو يمنعه من خدمه الآخرين، أو يمنعه من زوجته إن آذته، أو ما أشبه ذلك، فكل هذا من الأمور الحسية، وليس لها تعلق بالعبادة.

س: سؤال غير مسموع.

ج: هذا من الخوف الطبيعي الحسي، وليس بداخل في خوف السر، فالخوف الطبيعي الحسي مثل أن يستشعر أن هناك لصوصاً فيحرص على وضع الحرس، أو إغلاق الأبواب أو ما أشبه ذلك، ومثل أن يهم بفاحشة بامرأة فيستشعر أن لها أقارب في البيت، أو لها ولياً في البيت، أو حولها جيراناً يراقبونه فيحذر- هذه كلها أسباب حسية.

ومن هذا القبيل ما ذكره الله جل وعلا عن موسى ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١] خرج من مصر خائفاً يترقب، فهذا خوف طبيعي، يخاف عَسَس فرعون وجنوده ومراقبيه الذين يتبعون المجرمين وما أشبه ذلك. =

....

= والخوف ثلاثة أنواع:

النوع الأول: خوف السر.

النوع الثاني: الخوف الذي يحمل على فعل محرم أو ترك واجب.

النوع الثالث: الخوف الطبيعي أو الحسي الذي لا يحمل على ترك واجب أو فعل محرم.

فالأول شرك، والثاني معصية، والثالث جائز، فخوف السر شرك بالله، والخوف الذي يحمل على ترك واجب أو فعل محرم، معصية، والخوف الذي لا يحمل على شيء من ذلك وهو الخوف الطبيعي كاتقاء الحر والبرد والحيات والسباع، والظلمة والسُّرّاق وأخذ الأسباب لذلك، فهذا خوف لا بأس به ولا حرج فيه، بل قد يؤجر عليه إذا كان له نية صالحة.

فالخوف الطبيعي والحسي غير الخوف السري الذي يعتقد صاحبه أن هذا الولي يؤثر فيه، (شاور به) على ما يقولون، يعني: أن عنده شيئاً من المغيَّبات حتى إنه ليعلم عدوه من صديقه في سره.

س: هل يفضي هذا الخوف الحسي إلى ثواب أو عقاب؟

ج: لا؛ لا يفضي إلى شيء، فالخوف الحسي لا حرج فيه، فالإنسان مأمور أن يتقي الشرور، ولكن قد يفضي إلى ثواب أو عقاب إذا حمله خوفه الحسي على ترك الواجبات وفعل المحرمات، وإذا حمله الخوف الحسي على =

....

= أداء ما أوجب الله عليه وعلى صيانة محارمه فقد يثاب على هذا الشيء؛ لأنه مأجور في صيانة محارمه، وفي حفظ أولاده، وفي حفظ ما أنعم الله به عليه، حتى يستعين به على طاعة الله، فيثاب عليه وإن كان خوفاً حسياً.

فهو مأمور ـ مثلاً ـ بأن يتقي المهالك ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] فإذا اتقى الأسد أو الذئب أو الحية أو العقرب، وأخذ بأسباب الوقاية طاعة لله بنية صالحة أُجِر على ذلك.

س: وردت هذه الآية ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ في آيات الإنفاق خاصة أم يصح الاستدلال بها عامة؟

ج: العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، نعم هي نزلت في الأنصار لما أرادوا أن يجلسوا في حروثهم حتى لا تضيع، ويتركوا الجهاد؛ لأن المسلمين كانوا قد كثروا والجهاد قد اتسع، فأنزل الله ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ فذكر أن التهلكة هي أن يَدَعُوا الجهاد، ويجلسوا في المزارع[1]، ولكن عند العلماء قاعدة أن الاعتبار في النصوص بعموم ألفاظها لا بخصوص أسبابها، فإذا جاء النص في سبب من الأسباب فالعبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه.

فهذا عامّ، فليس لك أن تلقي بنفسك من الجبل وتقول: إذا كان مقدراً =

(١) انظر: الترمذي: تفسير القرآن (٢٩٧٢)، وأبو داود: الجهاد (٢٥١٢).

....

= لي أن أموت فسوف أموت، أو تلقي نفسك في بئر، أو تذبح نفسك بسكين، أو تأكل السم؛ لأنه معروف أن هذا يضر بك، وهذا مأخوذ من عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء:٢٩].

س: هل يدخل في هذا الذي يشرب الدخان؟

ج: نعم؛ فالذي يشرب الدخان يلقي بيده إلى التهلكة، لا سيما إذا أكثر منه فإن التهلكة تكون أكثر، وقد أجمع الأطباء، وأجمع العارفون به أنه من أعظم المواد المضرة بالإنسان وبصحته، وذكر الأطباء أخيراً أنه يفضي إلى أمراض متعددة منها السرطان، نعوذ بالله منه، نسأل الله السلامة.

س: هل يدخل في الإلقاء إلى التهلكة من يقود السيارة بسرعة فيصدم أحداً؟

ج: هذا ليس ظالماً لنفسه فقط، بل هو مجرم وظالم، فإذا أسرع السرعة التي يخشى منها، أو تساهل في السير بالتحدث مع أصحابه وما يبالي، أو يقود وفيه شيء من النوم، كل هذا لا يجوز، بل يجب عليه أن يحذر من هذه الأشياء؛ لأنه لا يضر نفسه فقط ولكن يضر الناس أيضاً، ولا شك أن هذا من قبيل التهلكة، ومن الظلم للناس، ومن العدوان عليهم، فقد جمع بين أسباب الظلم وبين إلقاء نفسه في التهلكة. نسأل الله العافية. =

....

= س: سؤال عن الشرك.

ج: لا، شرك عام، عبادة الأصنام والأوثان والأشخاص ما هو خاص، المشركون عبدوا الأصنام، وعبدوا غير الأصنام، لا، هذه أقوال بعض المشركين، الشرك في الأصنام وغير الأصنام، قد عبدوا غير الأصنام، عبدوا الأشجار، ولا تسمى أصناماً وقد عبدوا أحجاراً، وهي ليست بصنم، الصنم منحوت على صورة تسمى صنم، فهم عبدوها وعبدوا غيرها، عبدوا العزى وليست صنماً، عبدوا اللات وليست صنماً، وإنما هي حجر منقوش، وعبدوا مناة وهي حجر فقط، وعبدوا أشياء كثيرة غير الأصنام، وعبدوا الكواكب وعبدوا غيرها.

س: ما حكم من يسافر إلى بلاد الكفار لدعوتهم؟

ج: النبي ﷺ اكتفى بمراسلة رؤسائهم، وهم يسمعون كل شيء في الإذاعة ولا يدعون شيئاً، هذه سياستهم يعرفون ما في الشرق الأوسط والشرق الأقصى.

ثم إن السفر إليهم خطر على المسلم، والرسول ﷺ لم يأمر الصحابة أن يسافروا إلى بلادهم أو يدخلوا ويتجولوا فيها، وإنما كتب إلى رؤسائهم؛ لأن الأمم تابعة للرؤساء، ثم أمر بالجهاد، فالجهاد هو الواجب، فيجاهد الناس أولاً ثم يبلغهم عند الجهاد، عسى الله أن يكتب لنا الجهاد. =

....

= س: ولكن هم يعتقدون أن الإسلام الآن أتاهم مشوهاً، حتى إنهم يأتون إلى السعودية فيرون ما يرون من كثرة المخالفين للإسلام فيقولون: الإسلام ما نفع أهله فكيف ينفعنا؟

ج: الإسلام لا يؤخذ من نفس أهله، وإنما يؤخذ من الأدلة التي تقام من كتاب الله الذي أنزل لعباده وسنة الرسول ﷺ وطريقته ومن أصحابه الذين حملوا سنته، فكم لله من داعية يخالف قوله فعله وفعله قوله، ولكن الراغب في الحق يسأل عما جاء به النبي ﷺ وعما بعث الله به رسوله، وعن الكتاب المنزل، ويتفقه في اللغة، ويتعلم ويصير حريصاً، ويسأل أهله عما يجهل.

ثم يجب على الدعاة أنفسهم أن يبذلوا وسعهم، ويجب عليهم أن يطبقوا أقوالهم وأعمالهم على ضوء الكتاب والسنة، وأن تكون أقوالهم لا تخالف أفعالهم، وأفعالهم لا تخالف أقوالهم؛ حتى يكونوا دعاة بالفعل والقول جميعاً، هذا هو الواجب عليهم، ولكن عدم قيامهم به لا يدل على أنه ليس بواجب، فعدم القيام نقص فيهم ويخشى عليهم من معرته وتبعته.

ثم أمر آخر ينبغي أن يعلم، أنه ليس من شرط الداعي أن يكون كاملاً في كل شيء، وإنما الواجب أن يبذل وسعه، وأن يجتهد في أن يكمل نفسه وأن يستقيم، ولكن ليس من شرطه ذلك، بل يجب على كل أحد أن =

....

= يدعوَ الله حسب علمه وطاقته وبصيرته وإن كان عنده نقص.

س: هل يجوز شرعاً إرسال أشخاص للدعوة إلى الله وهم تاركون للجانب العملي من الإسلام؟

ج: الواجب عند إرسال الدعاة أن يختار باعثهم الأخيار الذين يدعون إلى الله بأفعالهم وأقوالهم، ولا يكون سُبَّةً للمسلمين، بل يختار من الدعاة مهما أمكن الأخيار في أقوالهم وأفعالهم وعلمهم وسيرتهم، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فإذا لم يتيسر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

فبعث الدعاة وإن كان فيهم نقص خير من عدم بعث الدعاة؛ لأنهم يرسلون إلى أناس فيهم الشر الكثير والبلاء العظيم، ولكن إذا تيسر أن يختار فلا شك أنه يختار الأخيار الذين هم دعاة بأقوالهم وأفعالهم، والله يكثرهم ويجعلنا منهم.

۞ وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨][1]. [١٣]

[شرح١٣] هذا يبين لنا فائدة عظيمة جداً جداً جداً؛ لأن بعض المشركين يشبهون، إذا قيل له: لماذا تدعو البدوي أو تدعو الحسين أو النبي ﷺ أو عبد القادر الجيلاني يقول: أنا لا أعتقد أنهم ينفعوني أو يضروني. يا سبحان الله! لقد قال قبلك المشركون مثل قولك؛ قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾.

فالذين قبلك مثل أبي جهل وأشباهه قصدوا أن هذه الآلهة تشفع لهم، فيحصل لهم مقصودهم من شفاء مريض، أو نصر على عدو أو ما أشبه ذلك، فأنت مثلهم؛ فإذا دعوت البدوي أو دعوت الحسين أو النبي محمداً ﷺ أو عبد القادر الجيلاني أو فلاناً أو فلاناً أو ابن عَلْوان أو الهادي أو المهدي، فقد أشركت بالله، وإن كنت لا =

---

(١) ص٢٦-٢٧.

....

= تعتقد أن الهادي أو البدوي أو الحسين يصرفون الكون، فالمشركون لم يقصدوا هذا.

بل نفس اعتقادك أن هذه الدعوة تنفعك، وأنه يشفع لك عند الله حتى تجاب دعوتك، وحتى يشفى مريضك، وحتى تسلم زراعتك، وحتى تسلم حيواناتك، فهذا كاف للقول بالشرك، فقصدك كقصد المشركين الأولين.

فالأولون لم يقصدوا أن آلهتهم تنفعهم من دون الله، أو تضرهم من دون الله، أو أنها تصرف الكون ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] فالمقصود أنهم معترفون بأن الله هو الضار النافع، المعطي المانع، القادر على كل شيء، ولكنهم يزعمون أن آلهتهم تشفع وتقرب فقط، هذا هو قصد أولئك، وهذا قصد المتأخرين.

بل زاد بعض المتأخرين شرّاً آخر، فظنوا أن آلهتهم تصرِّف الكون، حتى حكوا عن بعض المصريين أنهم يقولون: لا تخرج ذرة من مصر ولا تدخل ذرة في مصر إلا والبدوي يعلم ذلك، وذُكِر =

....

= عنهم أنه قِيل لبعضهم: ألا تدعو الله؟ قال: لا، الولي أعجل. يعني: أسرع إجابة، أي: أن ما عند الله يبطئ، أما هذا فأسرع، فندعو الأولياء لأنهم أسرع إجابة.

هكذا تلعب بهم الجن والشياطين، فقد يدعو أحدهم الله ولا يحصل له مطلوبه، وقد يدعو الولي فتقضيه الشياطين له، يطلب من الولي كذا وكذا فتأتي الشياطين له بمطلوبه، فيقع في الشرك والعياذ بالله*.

---

* **س: هل ندعو هؤلاء على أنهم مسلمون الإسلام الصادق أم ندعوهم على أنهم مشركون؟**

ج: تدعوهم على أن عملهم هذا شرك، وأن الواجب عليهم انتقالهم من العمى إلى توحيد الله، ويبين لهم أن هذه الأعمال شركية، وأن هذا كفر وضلال، والواجب على الداعية وعلى العلماء أن يوضحوا لهم ولا يحابوهم، فعليهم أن يوضحوا لهم أن هذا نفسه شرك صريح، وأن هذا فعل الجاهلية الأولى.

وأما الحكم على شخص معين فلان بن فلان أنه مشرك فهذا محل بحث عند العلماء، هل تبينت الحجة له؟ وهل بلغته أم لا؟ وهل شبه عليه؟ وهذا =

....

= بحث آخر، ولكن نفس أعمالهم شرك بلا شك.

س: وإذا حاول أحد أن يدعوهم فقالوا له: أنت وهابي، وأنت كذا وكذا.

ج: يكون قد أدى ما عليه والحمد لله، والرسول نفسه ﷺ بلغهم فقالوا له: أنت صابئ، وأنت شاعر، وأنت مجنون، ما ضره ﷺ.

س: قضية العذر بالجهل بالنسبة للحلال والحرام وبالنسبة للعقيدة، إذا ارتكب إنسان محرماً وهو لا يدري، لم يبلغه النهي أو الحديث وما إلى ذلك، وكان مستحلاً له، فما حكمه؟

ج: إذا كان مثله من عامة الناس يجهل يبلغ ولا يأثم بذلك، لكن يخشى عليه من جهة تساهله وعدم العناية بالسؤال، النبي ﷺ لما جاءه الرجل الذي لبس جبة وقد أحرم بعمرة لم يجبه حتى أوحى الله إليه، ثم قال له: «انزِع الجُبَّةَ، واغسِل أثرَ الخَلُوق، واصنَع في عُمرَتِك كما تصنَع في حَجَّتِكَ»[1]، ولم يقل: عليك كذا وعليك كذا؛ لأنه جاهل، كذلك الذي صلى وعجل في الصلاة وقال له النبي ﷺ: «ارجِعْ فصَلِّ، فإنَّك لم تُصَلِّ»[2]، فعلها ثلاث مرات، وأعادها النبي ﷺ ثلاث مرات، ثم علَّمه ولم يأمره بإعادة الصلوات الماضية، في الأوقات الأخرى السابقة، بل أقره، ترك ذلك =

(١) أخرجه البخاري: العمرة (١٧٨٩)، ومسلم: الحج (١١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري: الأذان (٧٥٧)، ومسلم: الصلاة (٣٩٧).

....

= لأجل جهله.

فالحاصل أن الإنسان الذي جهل الحكم الشرعي لا يؤخذ بالماضي، ولكن يُعَلَّم في الوقت الحاضر ويؤمر وينهى ويرشد وينصح، فإذا كان بين المسلمين وبين أهل العلم ثم لا يسأل، فهو مؤاخذ بجريمته وعدم سؤاله وعدم عنايته بهذا الشيء الواجب عليه، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وقد بعث الرسول، وأنت بين أهل العلم، وأنت بين أهل كتاب الله، فعليك أن تسأل.

ولكن إذا كان هناك مثله من الجهلة الأغبياء أو العامة الذين لا يحسنون فالظاهر ـ والله أعلم ـ أن مثل هذه الأمور لا بد من تبليغه إياها إذا لم تكن من الأمور الظاهرة، وأما إذا كانت من الأمور الظاهرة؛ مثل الزنى، أو الخمر، أو ظلم الناس، أو العدوان عليهم في أموالهم، أو غير ذلك مما لا يخفى أنه محرم، فهذا ما لا يعذر به الجهلة؛ لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة، يعرفه العامي وغير العامي.

ولكن الأمور الدقيقة التي قد تخفى على العامي ينبغي ألا يؤاخذ بها حتى تقام عليه الحجة ويبلغ؛ مثل بعض مسائل الحج، وبعض مسائل الصيام التي قد تخفى على العامي.

س: ورد عن بعض الصحابة أنهم كانوا يشربون الخمر.

ج: شرب بعضهم اعتقاداً منهم أنه يحل لمن استقام على دين الله واستقام =

....

= على الإيمان، ولكن استتابهم الصحابة واستتابهم عمر، وقالوا في حقهم: إن أقروا به أقيم عليهم الحد، وإن جحدوا تحريمه كفروا، فاعترفوا بعد ذلك، وعرفوا أنهم مخطئون فتابوا وتاب الله جل وعلا عليهم ، فقد تأولوا قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا﴾ [المائدة:٩٣].

فظنوا أنهم إذا اتقوا وآمنوا لم يكن عليهم حرج، ولا يمكن تقوى مع الخمر، فمن التقوى ترك الخمر، ومن التقوى ترك المعاصي، فلا يكون حرج على من اتقى الله إذا أخطأ في شيء أو جهل شيئاً قد يخفى على مثله.

وأما الأمور الظاهرة التي قد أبان الله حكمها فلا عذر لأحد في تعاطيها؛ كالزنى، والخمر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، وأكل الربا، والغيبة والنميمة، وما أشبه ذلك من الأمور الظاهرة.

وأعظم من ذلك الشرك بالله؛ فإن الله فطر العباد على إنكاره، فلقد جاءت الآيات والنصوص بإنكاره؛ فلهذا ذهب جمع من أهل العلم إلى أنه لا عذر لأحد في الوقوع في الشرك، ولا يسمع قوله: إنه جاهل؛ لأن الله أوضح في كتابه العظيم وسنة نبيه الكريم أمر الشرك.

فهذا الجاهل إنما أُتي من جهة إعراضه، ومن جهة عدم سؤاله، ومن عدم تقصيه الحق، فهو قد ابتلي؛ فلهذا يحكم بكفره وشركه ولو زعم أنه جاهل؛ لأن هذه أمور معلومة من الدين بالضرورة، وقال آخرون: بل يعذر =

....

= بالجهالة في عدم تكفيره بعينه فلان بن فلان حتى تقام عليه الحجة، فيقال: عملك كفر، أو دعوتك البدوي كفر وضلال وشرك، ولكي نحكم عليه بالردة لا بد أن نبلغه هذا الشيء، فإن أصر وجب قتله مرتداً، وإن رجع إلى الحق فالحمد لله، ولكن اسم عمله كفر وشرك.

فسواء دعا البدوي أو الحسين أو المرسي أو فلاناً أو فلاناً كان هذا ولا شك كفر وضلال، أما أنت بنفسك يا فلان ابن فلان، يا زيد بن عمرو أو عمرو بن زيد، يا فلان بن فلان أنت كافر، فلا بد أن نقيم عليه الحجة ونبين له: قال الله كذا، قال الرسول كذا، حتى يفهم أن عمله هذا شرك، فإذا أصر ولم يستجب إلى الدعوة، ولم يتب حينئذ نحكم عليه بالردة والقتل.

س: هل بالنسبة للحلال والحرام يعذر بالجهل؟

ج: الأمر على إطلاقه في الحلال والحرام، ولأنه هناك من الأمور الدقيقة التي قد تخفى على من بين المسلمين، أما الذين في الغابات البعيدة والمحلات البعيدة والمجاهل التي لا يصل إليها القرآن ولا السنة فهذا يعتبر من أهل الفترة، فإذا كان في محل لا يبلغه الإسلام فهؤلاء لهم شأن أهل الفترات فيعاملون يوم القيامة معاملة أهل الفترة.

وأما المسلم بين المسلمين فلا، بل يؤخذ بالأمور الظاهرة ولا يعذر، فلو زنى وقال: ما أدري أن الزنى حرام، لا يسمع، بل يقام عليه الحد؛ لأن هذا أمر لا يخفى على المسلمين، وهكذا إذا شرب الخمر أو المسكر فلا يخفى =

....

= على المسلمين، كذلك إذا ضرب إنساناً يُقاد له منه حتى وإن قال مثلاً: ضربته وأحسب ضربه جائز لي.

وكذلك إذا قتله يقام عليه القصاص والدية، ولا يعذر بقوله: إني جاهل، ففي الأمور الظاهرة لا يعذر فيها بالجهالة، وأما الأمور الخفية فقد يعذر في بعضها بالجهالة، وهي محل اجتهاد للقاضي وولي الأمر.

س: إذا تعارض فعل سنة مع أمر الوالدين بتركها، فماذا يفعل وطاعة الوالدين واجبة وهذه سنة؟

ج: إذا كان لهم مصلحة في ذلك تترك السنة، فإذا كان لهم مصلحة كأن تدون لهم بعض الأشياء، أو تعينهم على إعاشتهم، أو أن يكون أحدهما مستوحشاً ويريد أن تجلس عنده تؤنس وحشته وما أشبه ذلك.

يقول شيخ الإسلام: إن طاعة الوالدين تجب إذا اشتملت على أمرين: أن يكون لهم فيها منفعة، وليس على الولد فيها مضرة، فإذا كانت لا منفعة لهم فيها أو عليه مضرة فلا تجب طاعتهم فيها، لقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[1].

فإذا قالوا مثلاً: لا تطلب العلم، فهذه مضرة على الإنسان، فلا يطعهم في عدم طلب العلم، ويطلب العلم؛ لأنه واجب عليه أن يتعلم ويتفقه في =

---

(١) أخرجه ابن ماجه: الأحكام (٢٣٤٠).

....

= دينه، أو قالوا: لا تصل في الجماعة، وأي شيء يضرهم في ذلك، بل صل في الجماعة، ولكن لو قدر أن أباه مريض أو على خطر أو مثلاً عنده والدة مستوحشة ما تستطيع البقاء في البيت وحدَها لأسباب اضطرت إلى ذلك فهذا عذر له في ترك الجماعة وما أشبه ذلك.

فالحاصل أنه إذا أمروه بشيء أو نهوه عن شيء فإن كان معصية لله فلا طاعة لمخلوق في معصية، وإن كان غير معصية ينظر، فإن كان فيه منفعة ولا مضرة على الولد وجبت طاعتهم؛ لأن طاعتهم واجبة، أما إذا كان لا منفعة لهم فيه أو عليه مضرة فيه فلا، إنما الطاعة في المعروف.

فإذا كانوا أمروه بشيء يضره وإن كان غير معصية فهو في الجملة معصية إذا نظر فيه، مثل أمره أن لا يطلب العلم، أو لا يحضر حلقات العلم، أو لا يخرج إلى صلاة الجماعة، أو لا يزكي أو ما أشبه ذلك، فهذه في الحقيقة معصية، لأنه يلزمه التفقه في الدين، ويلزمه حضور الجماعة، إلى غير ذلك.

س: حديث: «**ففيهما فجاهد**»[1].

ج: هذا في جهاد التطوع.

س: **وطلب العلم؟**

ج: طلب العلم تطوع إذا كان قد استوفى المعلومات اللازمة له، وأما =

(١) أخرجه البخاري: الجهاد (٣٠٠٤)، ومسلم: البر والصلة (٢٥٤٩).

....

= إذا كان لم يتعلم بعد فطلب العلم واجب عليه في الجملة «مَن يردِ اللهُ به خيراً يفقهه في الدين»[1].

س: ماذا إذا أراد أن يجعل مثلاً ثوبه إلى نصف الساق لتطبيق السنة؟

ج: أولاً السنة من النصف إلى الكعب، وليست السنة خاصة بنصف الساق، فإزارته تبتدئ من نصف الساق إلى الكعب، هذا هو المحل، فإذا قالا له: أرخ إلى الكعب، يلزمه طاعتهم بالمعروف، وما تحت الكعب فهذا منكر: «ما أسفل الكعبين فهو في النار»[2]، لكن إلى الكعب جائز والحمد لله فلا يخالف والديه.

س: أليست السُّنة نصف الساق؟

ج: السُّنة نصف الساق إلى الكعب لا فوقه ولا تحته، فما بين هذين الموضعين هو السنة نصف الساق إلى الكعب.

س: سؤال غير مسموع.

ج: ينبغي أن يقول: هذا كفر، وأما أن يكفره فلا، لأنه قد يكون له أعذار، فقد يكون له أسباب تمنع من كفره، فيقول: عملك هذا كفر، ثم ينظر في تكفيره بعينه، فالداعية يوضح أولاً، ولا يبادر فيقول: كافر؛ لأن =

(١) أخرجه البخاري: العلم (٧١)، ومسلم: الزكاة (١٠٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود: اللباس (٤٠٩٣)، وابن ماجه: اللباس (٣٥٧٣).

....

= هذا تنفير له، وفيه صدّ عن الحق وعن التفهم، فلا يعجل، وليوضح له، فإذا أصر يقول: أنت تكون بهذا كافر، إذا كان في الأمور التي قد تخفى، والمحكمة تنظر فيه وتحكم عليه بما يقتضيه الشرع.

س: سؤال يبدو أنه: رجل يرتكب بعض المحرمات (أظنه: يحلق لحيته) وهو يعمل الصالحات، فهل يوصف بأنه من المتقين؟

ج: يقال: مسلم أو مؤمن عاص، وأما أن يقال: من المتقين فمحل نظر، فالمتقون هم الذين اتقوا محارم الله، فيقال: مسلم عاص، أو مؤمن عاص، وهذا هو الأولى، وأما أن يقال: بر أو تقي أو مؤمن وهو يتعاطى المعاصي فلا، فهذا عند أهل السنة والجماعة نقص في الإيمان.

س: ولو كان يقصها قصاً؟

ج: القص معصية، والحلق أكبر.

س: ومن له قطعتان عوارض؟

ج: العوارض من اللحية.

س: الشخص الذي لا يشهد الصلاة، ولا يرى في أي نوع من أنواع الصلاة، كيف يكون الحكم عليه؟

ج: يقال له: ترك الصلاة كفر، فقد يكون يصلي في بيته، **فتقول له: ترك** الصلاة كفر، اتق الله، صل في الـمسجد، **صل مع الجماعة، صلاة الجماعة =**

....

= واجبة، ترك صلاة الجماعة نفاق، فاتق الله، أما أن تقول: أنت كافر رأساً، فلا؛ لأنه قد يكون له أعذار في ترك الجماعة، فقد يكون يصلي في بيته، فيكون عاصياً لله لا كافراً.

س: سؤال غير واضح عمن لا يصلي في المسجد جماعة!

ج: هذا نفاق، فتقول له مثل ما قال ابن مسعود: ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق[١]، والنفاق قسمان:

نفاق عملي أصغر، ونفاق اعتقادي أكبر، وهذا من النفاق العملي، فلا يكون كفراً وردة، فتقول مثل ما قال الصحابة: منافق، قصدك بها النفاق الأصغر، فترك صلاة الجماعة بغير عذر نفاق، الكذب من النفاق، الغدر من النفاق، وما أشبه ذلك من باب التنفير، ولكن لا تحكم عليه بالكفر حتى تستبرئ، يعني: حتى تقيم عليه الحجة حتى تستبرئ لدينه.

ثم إن المسارعة إلى هذه الأشياء خطيرة؛ لأن النبي ﷺ قال: «مَن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: يا عدوَّ الله، وليس كذلك إلا حارَ عليه»[٢]، يعني: رجع عليه قوله، وهذا في «الصحيحين» عن أبي ذر وغيره، فدعوة الناس بالكفر خطيرة فالأولى التثبت فيها. =

---

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٤).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٦١).

....

= س: بعض الدعاة ينعت بعض الناس بالفسق والنفاق؟

ج: الداعي إلى الله يتجنب هذه الألفاظ إلا بعد التثبت، فالداعي إلى الله يسلك وسائل أفضل لا تنفر، حتى يقربهم من الخير ولا ينفرهم من الخير، إلا إذا أقام عليه الحجة بعد ذلك وعاند، فيقول: أنت بهذا فاسق، أنت بهذا منافق، أنت بذلك كذا، ولكن إذا أراد أن يدعوه إلى الله قال: يا أخي، هذا لا يجوز، الواجب عليك صلاة الجماعة، الواجب عليك توفير اللحية ... ولا يقول: يا فاسق ... فلا يبدأ بهذا الكلام، فينفره من الحق ويصير بينه وبينه نزاع ومضاربة.

س: ماذا في رجل دعوته إلى الصلاة فلم يجب، وتمادى في ذلك حتى إنه مات وإنه لا يصلي ولا يشهد الجماعة ولا الجمعة؟

ج: إذا أصر تُبيِّن له أن هذا فسق وهذا نفاق، ولا تيأس، وإذا مات على هذا فله رب يحاسبه وأنت أديت ما عليك.

س: فهل تجب علي الصلاة على جنازته؟

ج: إن صليت عليه فلا بأس؛ لأنك تظن أنه يصلي في بيته، وإذا تجنبت الصلاة عليه لأنك تشك فيه فلا بأس، فأنت معذور إذا تركت الصلاة عليه.

س: حتى الجمعة ما كان يصليها؟

ج: ظاهره الكفر والعياذ بالله، فإذا تركت الصلاة عليه فهو الأحوط، إلا أنه قد يصلي الجمعة في محل آخر وأنت لا تدري، ولكن على كل حال =

....

= العمل بالظواهر ينفع.

س: المساجد قليلة، ونحن نعلم أن ليس هناك مسجد قريب إلا هذا المسجد، فهذا ظاهر.

ج: مثل هذا ينكر عليه ويغلظ عليه، ويؤدب من ولاة الأمور ولا يترك هكذا.

س: الجار إذا كان لا يصلي هل أجيب دعوته؟

ج: يستحق الهجر، فإذا رأيت مصلحة في الهجر فلا تجب دعوته ولا تسلم عليه؛ لعل الله يهديه، وإن رأيت المصلحة في أن تواصل الدعوة والكلام معه وأن هذا أولى من هجره فافعل الذي تراه مصلحة، لا الذي يوافق دنياك ولا هواك، ولكن الذي تراه مصلحة في الدين.

فإذا رأيت المصلحة في الدين تقتضي أنك تواصل الدعوة، وتواصل الكلام معه، وتقربه من الله فافعل، وإن رأيت الهجر أنفع فاهجره ولا تجب دعوته، ولا تتكلم معه بشيء، وإذا قال لك شيئاً فقل: أنا دعوتك ولا نفع فيك.

س: ما حكم رجل ينكر وجود الله؟

ج: يبلغ عنه ولاة الأمور لعله يقتل إن شاء الله.

س: مارأيك برجل مثلاً يتعبد في كنيسته بحسن نية، ورجل نشأ بين أب يهودي وأم نصرانية ولا يستطيع أن يعرف هذا الدين؟ =

....

= ج: إذا ما بلغه الدين فهو من أهل الفترة، ما بلغه القرآن ولا السنة فهو من أهل الفترة.

س: مَن هم أهل الفترة؟

ج: أهل الفترة من لم يبلغهم دعوة الرسول.

س: فما حكمهم؟

ج: يمتحنون يوم القيامة، يمتحنهم الله يوم القيامة، فمن لم يجب إلى ما أمر الله به يوم القيامة صار إلى النار، وهذا أحسن ما قيل فيهم.

۞ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة:٤] والآياتُ في النهي عن هذا الشِّركِ وبيانِ بُطْلانِه كثيرةٌ جدّاً.

الثاني: الشِّركُ الأصغرُ؛ كيَسيرِ الرِّياءِ، والتصنُّعِ للمخلوقِ، وعدمِ الإخلاصِ لله تعالى في العبادة، بل يعمل لِحَظِّ نفسِه تارةً، ولطلبِ الدنيا تارةً، ولطلبِ المنزِلَة والجاه عند الخَلقِ تارةً، فلله مِن عمله نصيبٌ، ولغيرِه منه نصيبٌ[١]. [١٤]

[شرح١٤] ومن هذا الحديث الصحيح: «مَن سمَّع سَمَّع الله به، ومَن رَاءَى رَاءَى الله به»[٢]، والحديث الآخر: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصغر» قالوا: وما الشركُ الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياءُ، يقول الله ﷻ لهم يومَ القيامة إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتُم تُراؤُون في الدّنيا، فانظُروا هل =

(١) ص٢٧.

(٢) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٤٩٩)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٨٦).

....

= تجدونَ عندهم جَزاءً»[١] .

والحديث الآخر: «ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الشركُ الخفيُّ؛ أن يقومَ الرجلُ يصلِّي فيُزيِّنُ صلاتَه لما يَرَى مِن نظرِ الرجلِ إليه»[٢]. فكونه يرائي بقراءته، أو يرائي بصلاته، أو يرائي بأمره بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يرائي بالدعاء والاستغفار عند الناس، أو ما أشبه ذلك، من هذا الجنس، من هذا الرياء الذي هو الشرك الأصغر، نعوذ بالله.

وأما الرياء الأكبر والشرك الأكبر، فكونه يتبع الحق رياء، يصدق بمحمد في الظاهر، ويتبعه في الظاهر رياء، ولكنه لا يؤمن بمحمد كالمنافقين في الاعتقاد ـ نعوذ بالله ـ فهذه ردة، وهذا كفر أكبر ـ نعوذ بالله ـ وإنما تابع الحق رياء، ولا يعتقد أنه حق، كعمل المنافقين الذين قال فيهم جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]. =

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه: الزهد (٤٢٠٤)، وأحمد (٣/ ٣٠).

....

= هؤلاء مراؤون رياء أكبر؛ يعني: كفراً أكبر ـ نعوذ بالله ـ بخلاف ما يعرض للمسلم الذي يؤمن بالله ويوحده ويعلم أنه حق، وأن نبيه حق عليه الصلاة والسلام، ولكن يعرض له في بعض الأعمال نوع من مراءاة الناس ليثنوا عليه أو ليمدحوه أو ليعطوه شيئاً، هذا هو الرياء العارض، الرياء العملي*.

---

* **س: قول أبي موسى الأشعري ﷺ للنبي ﷺ: «أما إني لو علمت بمكانك لحبَّرته لك تحبيراً»[1]؟**

ج: الظاهر أنه غير داخل في هذا؛ لأن القصد ليس قصد المراءاة، ولكن قصده أن يرتاح لذلك النبي ﷺ ويأنس به ويتلذذ بهذا الشيء، لا من قصد الحظ العاجل، هذا هو المحمل الذي يريده أبو موسى ﷺ، وتحسين الصوت ليستفيد الناس، ولتخشع قلوبهم، ولترق قلوبهم، ليس من قصد الرياء، بل هذا مطلوب، بخلاف من يحسن صوته ليمدح أو يثنى عليه، أو يقرأ أصلاً قراءة ليمدح أو يثنى عليه، بخلاف ما إذا كان أراد بذلك أن المستمعين يرتاحون لهذا الشيء ويتلذذون ويخشعون في سماعه فيستفيدون أكثر، فهو في هذا مأجور.

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٢).

۞ ويَتبعُ هذا النوعَ الشركُ بالله في الألفاظ؛ كالحَلِف بغيرِ الله، وقولُ ما شاءَ اللهُ وشئتَ، وما لي إلا الله وأنتَ، وأنا في حَسْبِ الله وحَسْبِكَ ونحوه، وقد يكون ذلك شِركاً أكبرَ بحسب حالِ قائله ومقصده، هذا حاصلُ كلامِ ابن القيم وغيره[1]. [١٥]

[شرح١٥] من هذا قول الحديث: «لا تقولوا: ما شاءَ الله وشاءَ فلانٌ، ولكن قولوا: ما شاء اللهُ ثم شاء فلانٌ»[2]. من هذا حديث الثلاثة الأبرص والأقرع والأعمى، الذين جاءهم الملَك وقال: أنا رجل غريب ولا أبلغ إلا بالله ثم بك[3].

قال: بالله ثم بك، هذا هو الطريق السويّ، وهذا هو الحق، بخلاف ما إذا قال: أنا بالله وبك، إلا بالله وبك، فهذا من نوع الشرك الأصغر؛ لأن الواو تقتضي مطلق الجمع، مطلق التشريك، والله جل وعلا لا شريك له في تصرفاته ﷻ، وإن كان العبد لا =

---

(١) ص٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود: الأدب (٤٩٨٠)، وأحمد (٥/ ٣٩٨).

(٣) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٦٤)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٦٤).

....

= يعتقد هذا، ولكن هذه الألفاظ ينبغي التأدب فيها، فيؤتى بالعبارة التي تليق بالله ﷻ، ويكون العبد متأخراً متراخياً.

ولأن (ثم) للترتيب والتراخي، فينبغي أن توجد هنا؛ لأن العبد لا يدنو من الله ولا يقرب منه ﷻ، بل الله مستقل بكل شيء وله التصرف الكامل، والعبد ضعيف وقدرته محدودة، فالإتيان بـ(ثم) هو المناسب في هذا المقام في هذه الألفاظ، ما شاء الله وشاء فلان، لولا الله وفلان، هذا من الله وفلان، وما أشبه ذلك، فهذا فيه نوع من المساواة، نوع من التشريك المطلق، وهذا لا يليق بالعبد مع ربه ﷻ، فلهذا جاءت النصوص بـ(ثم) لبيان انفصال العبد عن الله وأنه لا يساويه، بل بينه وبينه مسافة ﷻ.

لكن قد يقع شرك وقد يكون شركاً أكبر إذا اعتقد أن العبد له تصرف في الكون، فهذا يكون شركاً أكبر بسبب الاعتقاد، قال: أنا بالله وبك؛ يعتقد أن هذا الولي له تصرف في الكون، وأن الله جعل له تصرفاً في الكون، فهذا كفر أكبر وشرك أكبر، أو قال: هذا من الله ومنك؛ يعتقد أن له تصرفاً في الكون، وأن له قدرة واستقلالاً في =

....

= هذه الأشياء، ولكن قد أتى بهذه الألفاظ من باب التأدب، وإلا فهو يعتقد في وليه أنه يتصرف، فهذا يكون شركاً أكبر بسبب العقيدة لا بسبب اللفظ.

وهكذا الحَلِف بغير الله، إذا قال: بالنبي أو بعبد القادر أو بالحسين أو بعليّ، وهو يعتقد أن هؤلاء لهم من العظمة مثل عظمة الله، أو أن تصرفهم متساوٍ مع الله، أو ما أشبه ذلك، يكون حلفه بهم حلفاً بغير الله كفراً أكبر لعقيدته الخبيثة.

وأما إذا كان يقولها باللسان، ويعلم أنهم ليس لهم استقلال ولا تصرف في الكون، وأنهم من عبيد الله، وأنهم ليس لهم في تصرف ملك الله نصيب، وأنهم لا يصلحون لأن يعبدوا من دون الله، وإنما قال هذا عادة لقومه، أو جرياً على لسانه من باب تعظيم الخاص الذي يليق بالمخلوق أو ما أشبه ذلك، فهذا يكون من باب الشرك الأصغر.

وهكذا الحلف بالكعبة، وبالأمانة، وبرأس فلان، وحياة فلان، وشرف فلان، فهذه بلايا تقع على ألسنة الناس، ولا سيما في هذا =

....

= الوقت في هذا العصر، في الإذاعات وفي المقالات وفي التلفاز وفي كل مكان.

كل هذه الألفاظ تقع من الجهلة من بعض الذين يذيعون ويتحدثون، ومن بعض الجهلة هنا المقلدة لغيرهم، ومن بعض المصريين وغير المصريين، تقع مثل هذه الكلمات من أناس اعتادوها وتربوا على هذا الشرك الخاص، وربما عاش أكثرهم على الشرك الأكبر، فلا يستغرب أن يقع منهم هذا الشرك*.

* س: ما حكم قوله: بذمتي؟

ج: لا أعلم فيها شيئاً، فهذه ليست من باب الحلف؛ يعني: أؤكد هذا في ذمتي وأتحمله في ذمتي.

۞ وقد استوفَى المصنِّفُ ـ رحمه الله ـ بيانَ جنسِ العبادةِ التي يجبُ إخلاصُها لله بالتنبيه على بعضِ أنواعِها، وبيانَ ما يضادّها مِن الشركِ بالله تعالى في العبادات والإرادات والألفاظ؛ كما سيمرُّ بك إن شاء الله تعالى مفصَّلاً في هذا الكتاب، فالله تعالى يرحمه ويرضَى عنه(1). [١٦]

[شرح١٦] الحقيقة أن هذا الكتاب لا نعرف أنه سُبِق إلى مثله، وفي جمعه ما ينبغي أن يعلم من التوحيد وبيان الشرك، وبيان ما قد يظن أنه جائز وليس بجائز، فقد اعتنى في هذا الكتاب بأشياء كثيرة رحمه الله، ولا نعرف أن المؤلف سُبِق إلى مثل هذا، فالله وفقه رحمه الله وقدس روحه، ونفع الله به العباد نفعاً كثيراً من يوم أن ألفه المؤلف إلى يومنا هذا، وإلى ما شاء الله ﷻ.

وهذا من فضل الله ورحمته وإحسانه على هذا الرجل جزاه الله خيراً، وعلى الأمة في هذه الجزيرة وغيرها من حيث نبهوا على ما فيه، وأرشدوا إلى ما ينبغي أن يعتقد، وكان هذا الكتاب على ما فيه من الآيات العظيمة والأحاديث الصحيحة والآثار، كان نبراساً =

---

(١) ص٢٧.

....

= لدعاة الحق، وسبيلاً لمن أراد أن يعرف الحق بدليل في باب التوحيد وباب العقيدة، فجزاه الله خيراً، ورفع درجاته في المهديين*.

---

* س: هل قرأتم كتاب «التوحيد» لمحمد قطب؟

ج: ما أتذكر ذلك، لكن ذكر لي بعض الإخوة عنه خللاً في بعض المنهج.

كتاب المقريزي في التوحيد «تجريد التوحيد» يشبه شيئاً من أبواب المؤلف، ولعل المؤلف اطلع عليه واستفاد منه، ونسج على منواله في هذه الأبواب، ولكن ليس مثله من كل وجه، وهذا ما اطلعت عليه من سنوات كثيرة، ويغلب على ظني أنه المقريزي، لكن ما أدري أطبع أم لم يطبع، وفي الجملة لا بأس به، فلا يخلو من أشياء غلط فيها رحمه الله، ولكن كتابه فيه أشياء كثيرة حول العقيدة طيبة، ولكن أنا ما قرأته، وإنما قرأت بعض الشيء.

۞ فإن قلت: هل أتى المصنِّفُ ـ رحمه الله ـ بخُطبَة تُنبِئ عن مَقصَده كما صنَع غيرُه؟ قيل: كأنه ـ والله أعلم ـ اكتفَى بدلالة الترجمة الأولى على مقصوده، فإنه صدَّره بقوله: «كتاب التوحيد» وبالآيات التي ذكرها وما يتبعُها، مما يدلُّ على مقصوده.

فكأنه قال: قَصَدت جمعَ أنواع توحيدِ الإلهيَّة التي وقع أكثرُ الناسِ بالإشراك فيها، وهم لا يشعرون، وبيانَ شيءٍ مما يضادُّ ذلك من أنواع الشرك، فاكتفَى بالتلويح عن التصريح، والألف واللام في «التوحيد» للعَهدِ الذِّهنيِّ[1]. [١٧]

[شرح١٧] كما فعل البخاري رحمه الله، فإن البخاري لم يجعل لكتابه خطبة، وإنما سمى، ثم ذكر باب الوحي وذكر حديث: «إنما الأعمال بالنيات» ثم ذكر ما يتعلق بالوحي ولم يجعل ترجمة، واكتفى بما يظهر من مقدمة كتابه من حديث: الأعمال بالنيات، وبدء الوحي، بأنه سوف يذكر ما صح لديه من الأحاديث فيما أوحى الله =

---

(١) ص٢٧.

....

= إلى نبيه عليه الصلاة والسلام.

فالمقصود أن البخاري رحمه الله لم يجعل خطبة فيما ثبت عنه رحمه الله، وإنما بدأ بالتسمية، واكتفى بما فيها من الثناء على الله جل وعلا، واكتفى بما يكتبه من الأحاديث على بيان مقصده، وأن مقصوده جمع الأحاديث، فالخطبة جعلها أحسن، وإن تركت فلا حرج*.

---

* س: يقول: **الألف واللام في التوحيد للعهد الذهني.**

ج: للذي في ذهن الطالب والقارئ؛ فالعهد الذهني الذي في ذهن الطالب مثلاً: جاء الرجل أعطانا كذا وكذا، فأنت تخاطب إنساناً، والرجل لم تصرح به؛ لأنك تقصد الرجل الذي في ذهنكما وبينكما معروف، عبد الله ابن فلان، جاء الرجل أعطاني كذا وكذا وأعطيته كذا وكذا، فهو معروف عندك وعند صاحبك.

هذا هو معنى العهد الذهني، وقد يأتي العهد الذكري: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل:١٥-١٦] فالعهد الذكري الذي مضى قريباً، وهو هنا «الرسول» القريب، والعهد الذهني هو الذي في ذهن المخاطِب والمخاطَب معروف، ولا يجب التصريح به، فالمخاطب به هو التوحيد، والمخاطب بهذا أهل الإسلام، والتوحيد عندهم معروف؛ =

....

= فتوحيد الله جل وعلا في ذهن كل مسلم.

وهذا الكتاب وضع لبيان توحيد الله؛ توحيد العبادة وما يضاده من الشرك الأكبر، أو يضاد كماله كالشرك الأصغر، أو يقدح فيه، أو يدع أو يسخر بأهله من المعاصي، وذكر فيه أيضاً جملة من الوسائل والذرائع التي تصلح الشيء وتقرب منه، هذا موضوع هذا الكتاب.

وذكر فيه ـ رحمه الله ـ ما يتعلق بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ضمناً، وفي بعض الأبواب من باب تكميل المطلوب، فمقصوده الأول بيان توحيد العبادة الذي وقع فيه الشرك من أغلب الناس.

وأما توحيد الربوبية والأسماء والصفات فالأغلب من الناس عدم الشرك به، وإنما وقع من بعض المبتدعة أخيراً في توحيد الأسماء والصفات، وإلا فالأصل أن الكفرة يؤمنون بتوحيد الربوبية، وأن الله ربهم، وأنه كامل في أسمائه وصفاته، هذا محل إجماع بين الكفرة إلا النادر والشاذ من المجوس وأشباههم ، وإلا فغالب الكفرة معترف بأن لهم رباً مدبراً خالقاً رازقاً متصرفاً في الكون ، هذا حال غالب الكفرة.

ولكن وقع منهم الشرك في الآلهة التي جعلوها شفعاء، وجعلوها وسائط كما فعلت العرب وغير العرب،كل طائفة وكل أمة من الأمم لها وسائط توسطها فيما تريد من ربها، فجاءت الرسل بإنكار هذه الوسائط، =

....

= وبيان أن العبادة حق الله وحده، وأنه يدعى بدون واسطة، ويرجى بدون واسطة، ويتقرب إليه بدون واسطة، وأن الواسطة لا تكون في العبادة، إنما تكون في التبليغ والبيان، فالرسل واسطة في البلاغ والبيان لا في أن يعبدوا من دون الله، لا.

فالرسل والعلماء واسطة في البلاغ والبيان، هكذا، وأما العبادة فليس لله واسطة، بل يجب أن يعبد وحده من دون واسطة، فالرسل بعثوا لهذا الأمر ليبينوا أن الواسطة في العبادة باطلة، وإنما الواسطة في البلاغ والبيان من طريق الرسل ومن طريق أتباعهم من علماء الحق.

۞ قوله: وقولُ الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. يجوز في (قول الله) الرفعُ والجرُّ، وهكذا حكمُ ما يمرُّ بك من هذا البابِ(١). [١٨]

[شرح١٨] يعني: كتاب التوحيدِ، باب قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ التوحيد بالجر، ويجوز: قوله، بالرفع؛ فيكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: وهذا قولُ الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ولكن الجر أظهر: كتاب التوحيدِ، باب قولِ الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

---

(١) ص٢٧.

۞ قال شيخ الإسلام: العبادةُ هي طاعةُ الله بامتثالِ ما أمرَ به على أَلسِنَة الرُّسُل. وقال أيضاً: العبادة اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطِنَة والظاهرة[1]. [١٩]

[شرح١٩] والذي عرفناه من هذين التعريفين: العبادة هي طاعة الله ورسوله، وهي امتثال أوامره وترك نواهيه، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فكل هذه العبارات متقاربة؛ فالمقصود أن العبادة التي أمر بها هي التوجه إليه بفعل ما أمر، وترك ما نهى على وجه الإخلاص له، والمحبة له والتعظيم، لا لمجرد العادة، ولهذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله:

وعبادَةُ الرحمَنِ غايَةُ حُبِّهِ ... مَعَ ذُلِّ عابِدِهِ هُما قُطبانِ
وعليهما فَلَكُ العبادةِ دائرٌ ... ما دارَ حتى قامتِ القُطبانِ
ومدارُهُ بالأمرِ أمرِ رسولِهِ ... لا بالهوَى والنَّفْسِ والشَّيطانِ

فالمقصود أن العبادة هي التوجه إلى الله بما شرع من أعمال وأقوال ظاهرة وباطنة، فإذا صرف هذا لغيره أو بعضه لغيره صار عبداً لغيره.

---

(١) ص٢٧.

۞ قال ابنُ القيِّم: ومدارها على خمسَ عشرةَ قاعدةً مَن كمَّلها كمَّل مراتبَ العبوديَّة، وبيانُ ذلك أن العبادةَ منقسمةٌ على القلب واللسانِ والجوارحِ، والأحكامُ التي للربوبية خمسةٌ؛ واجبٌ، ومستحبٌّ، وحرامٌ، ومكروهٌ، ومباحٌ، وهنَّ لكلِّ واحدٍ من القلب واللسانِ والجوارحِ[1]. [٢٠]

[شرح٢٠] ومن هذا يخرج خمسة عشر؛ ثلاثة في خمسة بخمسة عشر؛ واجب يتعلق بالثلاثة بالقلب واللسان والعمل، وحرام يتعلق بالقلب واللسان والعمل، ومكروه كذلك، ومندوب كذلك، ومباح كذلك، فهذه الخمسة من واجب، ومحرم، ومكروه، ومندوب، ومباح، هذه عبادات الاعتقاد، فالواجب أداؤه في اعتقاد ذلك؛ لأنه واجب ولأنه قربة إلى الله ﷻ، وهكذا المندوب، وهذا واضح في أنه عبادة يؤديها على وجه قربة إلى الله، وأما الحرام والمكروه والمباح كيف يكون عبادة؟

هو عبادة باعتقاد تحريم ما حرم الله، وباعتقاد كراهة ما كرهه الله، وباعتقاد إباحة ما أباحه الله، فهذه عبادة، فهو يعتقد أن الله =

(١) ص٢٨.

....

= حرم الزنى، وحرم الخمر، ويعتقد أن ترك الرواتب شيء مكروه، وترك الوتر شيء مكروه، وتضييع الأوقات بغير فائدة شيء مكروه، وما أشبه ذلك، فهذه الأشياء عبادة يتقرب بها إلى الله جل وعلا.

كذلك اعتقاده أن الله أباح لعباده ما أباح من النكاح الشرعي، ومن أمور الشعيرة من الإبل والغنم والبقر، وما أشبه ذلك مما أباح الله اتخاذه، وأن هذا أباحه الله لعباده عبادة أيضاً، وهذا يكون بالقلب في اعتقاد ذلك، ويكون باللسان بالنطق بذلك، ويكون بالعمل بتعاطي ذلك عند الحاجة إليه، هذه خمسة عشر يستقي بها العبد العبادات؛ خمسة في ثلاثة بخمسة عشر؛ قلب ولسان وعمل مضروب في واجب ومحرم ومكروه ومندوب ومباح.

۞ وقال القرطبيُّ: أصلُ العبادةِ التذلُّلُ والخضوعُ، وسُمِّيَت وظائفُ الشرع على المكلفين عباداتٌ؛ لأنهم يلتزِمونها ويفعلُونها خاضعين متذللينَ لله تعالى[1]. [٢١]

[شرح٢١] والعبادة أصلها الخضوع والذل في لغة العرب، والتعبد: التذلل والخضوع، ومنه قولهم: طريق معبد: مذلل قد ظهرت فيه آثار الأقدام، وبعير معبَّد: قد شُدّ ورُحل وليس بصعب، فالتكاليف التي أمر الله بها وشرعها سمِّيت عبادات؛ لأنهم يؤدونها بذلٍّ لله وخضوع لهُ واعتراف بأنهم عبيده سبحانه، ولهذا قيل: عبادات؛ فالصلاة عبادة، والصوم عبادة، والحج عبادة، والجهاد عبادة.

وكل ما أدوه من الطاعات وترك المعاصي فيسمى عبادة؛ لأنه يؤدى بذلٍّ وخضوع منهم، وهذا واجب عليهم أن يخضعوا لله، وأن يذلوا لعظمته، ويعترفوا بأنهم عبيده، وأنهم تحت تصرفه ﷻ، فهم أذلاء بالنسبة إليه، عبيد مأمورون منهيون، وعزهم ونجاتهم وسعادتهم في هذا الذل وفي هذا الخضوع، فإذا استكبروا صار شقاء لهم، ومن أسباب هلاكهم في الدنيا والآخرة. =

---

(١) ص٢٨.

....

= فالحاصل أن العبادات سميت عبادات؛ لأنها تؤدى بالخضوع والذل لله، ولهذا قيل لجميع ما شرعه الله: عبادات، وقيل للعبد وللإنسان: عبد؛ لأنه خاضع لله، ذليل لله، مملوك لله، يؤدي حق الله في ذل وخضوع، والخضوع للمخلوقين نقص، والخضوع لله عز وشرف.

۞ وقال ابنُ كثيرٍ: العبادةُ في اللغة من الذِّلَّة، يقال: طريق مُعَبَّد وبعيرٌ[١] مُعَبَّدٌ؛ أي: مذلَّل.

وفي الشرع: عبارةٌ عما يجمعُ كمالَ المحبة والخضوع والخوفِ، وهكذا ذَكَر غيرُهم من العلماء[٢]. [٢٢]

[شرح٢٢] يعني: كمالها أن تصدر عن خضوع وذل ورغبة ورهبة وحب للمعبود، فإذا كانت العبادة هكذا وقعت موقعها، وإذا أداها الإنسان على غير خضوع، وعلى غير ذل ولا محبة، صارت عادة لا عبادة، ولهذا تقدم قول ابن القيم رحمه الله:

وعبـادَةُ الـرحمنِ غايَـةُ حُبِّـهِ مـعَ ذُلِّ عابِـدِهِ همـا قُطبـانِ

فلا بد من محبة الله ﷻ، ولا بد من الخضوع له وخوفه ورجائه ﷻ والرغبة إليه، قال جل وعلا للرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

---

(١) في الأصول المطبوعة: «وغير»، وما أثبت من «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٤) ط١، ١٤١٨هـ، دار طيبة.

(٢) ص٢٨.

۞ ومعنى الآيةَ: أن اللهَ تعالى أخبرَ أنَّه ما خَلَق الإنسَ والجنَّ إلا لعبادتِهِ، فهذا هو الحكمةُ في خَلقِهم، ولم يُرِد منهم ما تُرِيدُه السادةُ من عبيدِها من الإعانةِ لهم بالرزقِ والإطعامِ، بل هو الرازِقُ ذو القوَّة المتين، الذي يُطعِم ولا يُطعَم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٤](١). [٢٣]

[شرح٢٣] ولهذا قال قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨] قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ سبحانه وتعالى.

ولم يخلقهم ﷻ لحاجة به إليهم؛ لا ليعز بهم من ذلة، ولا ليتكثَّر بهم من قِلَّة، ولا لحاجة به إليهم يعينوه على مخلوقاته لأنه عاجز، بل خلقهم لمصلحتهم، خلقهم ليوفقهم وليعينهم، وليكلفهم بما فيه نجاتهم وسعادتهم، ليس لحاجة به إليهم ﷻ ، فهو خلقهم ليطيعوه =

---

(١) ص٢٨.

....

= ويعظموه، وهذه الطاعة والتعظيم والخوف والرجاء من مصلحتهم هم، فإذا أطاعوه واستقاموا على هذه الأمور التي خُلِقوا لأجلها، صاروا إلى الكرامة والسعادة يوم القيامة والنجاة من النار، وإذا أبوا واستكبروا صاروا إلى النار، نعوذ بالله من ذلك.

فهم خُلِقوا لأمر ينفعهم ويصلحهم في الدنيا والآخرة، خُلِقوا ليطيعوا ربهم وليعبدوه ويعظموه، ويؤثروا فضله وعظمته وعلمه وقدرته تبارك وتعالى.

وفي الآية الأخرى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢] سبحانه وتعالى، فهو خلقهم لهذه الأمور؛ ليعظموه ويطيعوه ويعترفوا بأنه ربهم وإلههم وخالقهم، وأنه قادر على كل شيء، وأنه العالم بكل شيء تبارك وتعالى *.

---

* س: كيف يقال في حق الله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ ويقال في حق غيره: هذا رجل متين؟

ج: هذه الأشياء مشتركة، فيقال: هذا رجل قوي، وكذا: الله ذو قوة، =

....

= ولكن بلا مشاكلة، فلكلٍّ ما يناسبه؛ فلله قوة تناسبه، وللمخلوق له ما يناسبه.

س: لكن متين هذه بمعنى القوي الشديد.

ج: كلٌّ له وصفه، فالمخلوقين بمتانتهم لهم وصفهم، وهو في حق الله على وجه يليق به، وهذا لا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه، فوصف الله بالمتين وصف يليق به لا يعلم كيفيته إلا الله جل وعلا بخلاف المخلوقين، فوصفهم يليق بهم من متانة من جهة الجسم وغير الجسم، والقوة أو المتانة من جهة العظام، وكبر العظام وقوتها وصلابتها أو غير ذلك

س: يقال: رجل عظيم.

ج: كذلك، عظيم، قوي، سميع، بصير... فلهم ما يليق بهم، والله له ما يليق به ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فهذه أسماء مشتركة، يسمونها متواطئة ـ أي: تجتمع في معنى واحد ـ في جنس القدرات؛ في جنس القوة، في جنس العظمة، وينفرد الرب عز وعلا بما يليق به، وينفرد المخلوقون بما يليق بهم.

فالمخلوق سميع والله سميع، والله بصير والمخلوق بصير، والله عظيم وبعض المخلوقين عظيم، ولكن ليست عظمة الله مثل عظمة المخلوقين، وليس سمعه كسمعهم، ولا بصره كبصرهم، ولا قوته كقوتهم وهكذا، فلله ما يليق به من الصفات، ولسائر المخلوقين ما يليق بهم.

۞ وعبادتُه هي طاعتُه بفعلِ المأمورِ وتَركِ المحظورِ، وذلك هو حقيقةُ دين الإسلامِ؛ لأن معنى الإسلامِ هو الاستسلامُ لله المتضمِّنُ غايةَ الانقياد في غاية الذُّلِّ والخضوعِ[1]. [٢٤]

[شرح٢٤] وبهذا سمي الدين إسلاماً؛ لأنه انقياد لله وذلٌّ لعظمته، فلهذا قيل دين الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] لأنه الانقياد لله ﷻ بفعل المأمور وترك المحظور، يقال: أسلم فلان لفلان: انقاد له، وهم مسلمون: منقادون ذليلون خاضعون، فسمي دين الله إسلاماً لما تضمنه من الذُّلِّ لله والانقياد لأمره ونهيه.

---

(١) ص٢٨.

۞ قال عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ في الآية: إلا لآمُرَهم أن يعبُدوني، وأدعُوَهُم إلى عبادتي.

وقال مجاهدٌ: إلا لآمُرَهم وأنهاهُم. واختاره الزَّجّاجُ وشيخُ الإسلام.

قال: ويدلُّ على هذا قولُه: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] قال الشافعيُّ: لا يُؤمَرُ ولا يُنهَى.

وقوله: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾ [الفرقان:٧٧] أي: لولا عبادتُكم إيّاه.

وقد قال في القرآنِ في غيرِ موضعٍ: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء:١] فقد أمرهم بما خُلِقوا له، وأرسل الرسُلَ إلى الجنِّ والإنسِ بذلك.

وهذا المعنَى هو الذي قُصِد بالآية قطعاً، وهو الذي يفهمُه جماهيرُ المسلمين ويحتجُّون بالآية عليه، ويُقِرُّون أن اللهَ إنما خلقَهم ليعبُدوه العبادةَ الشرعيةَ، وهي طاعتُه وطاعةُ رسُلِه، لا ليضيِّعُوا حقَّه الذي خَلَقهم له. =

= قال: وهذه الآيةُ تشبه قولَه تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤].

ثم قد يُطاع وقد يُعصَى، وكذلك ما خَلَقَهم إلا للعبادة، ثم قد يعبُدُون وقد لا يعبُدُون، وهو سبحانه لم يقل: إنه فَعَلَ الأولَ وهو خَلَقَهم ليفعلَ بهم كلَّهم الثاني، وهو عبادتُه، ولكن ذَكَر الأولَ ليفعلُوا هم الثاني فيكونوا همُ الفاعلينَ له، فيحصُل لهم بفعله سعادتُهم، ويحصُل ما يحبُّه ويرضاه منهم ولهم. انتهى[1]. [٢٥]

[شرح٢٥] والمعنى في هذا أنه ﷻ خلق العباد، فقد يعبدون وقد لا يعبدون، كما أرسل الرسل ليطاعوا، فقد يطاعون وقد لا يطاعون، وكذلك أمرهم بصيام رمضان، وشرع لهم ما شرع ليكملوا العدة وليكبروا الله، ثم قد يكملون وقد لا يكملون، فقد يعصون وقد لا =

(١) ص٢٨-٢٩.

....

= يكبرون الله جل وعلا.

فالمقصود أنه فعل هذه الأشياء لهذه الحكم؛ الحكمة من خلق الجن والإنس أن يعبدوا الله ويطيعوه ويعظموه، والحكمة من إرسال الرسل أن يطاعوا حتى يحصل السعادة للعباد، فإن لم يفعلوا قامت عليهم الحجة، وهكذا شرع لهم ما شرع من الصيام؛ ليكملوا العدة، وليكبروا الله على ما هداهم ويشكروه، ثم قد يشكرون وقد يكفرون، وقد يكملون وقد لا يفعلون ذلك، ولم يقل: إنه فعل الأول وهو خلقهم ليفعل بهم كلهم الثاني وهو عبادته؛ لأنه قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ما قال: إلا لأجعلكم عابدين، بل قال: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ فنسب العبادة إليه، فهذه الحكمة في خلقهم ليعبدوا الله ويعظموه ويطيعوه، فمن هداه الله منهم امتثل، ومن سبقت له الشقاوة لم يمتثل، وصار مع العاصين ومع المشركين، نسأل الله السلامة.

كذلك الرسل أُرسلوا ليطاعوا، فأكثر الخلق لم يطيعوهم، بل عصوهم وخالفوهم وحاربوهم، بل قتلوا بعضهم، وهذا يبين لك =

....

= أن الحكمة في خلقهم هذا المعنى هو ليعبدوا الله، ولكن ليس المعنى أنهم كلهم يفعلونه، بل قد يفعلون وقد لا يفعلون، فالسعداء الذين سبقت لهم من الله الحسنى، ووفقهم سبحانه وهداهم، واستقاموا وعبدوا، وأكثر الخلق أعرضوا وانحرفوا، نسأل الله السلامة*.

---

* س: هل صحيح أن بني إسرائيل قتلوا في يوم سبعين نبياً، منهم زكريا ويحيى؟

ج: مشهور في الأخبار، ولكن لا أذكر فيه شيئاً صحيحاً عن النبي ﷺ، وإنما هو في أخبار بني إسرائيل، لكن كلام الله يكفي، فهم يقتلون الأنبياء بغير حق؛ يعني: هم قتلوا الأنبياء وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس، أما العدد فالله أعلم.

۞ والآيةُ دالَّةٌ على وجوب اختصاصِ الخالق تعالى بالعبادةِ؛ لأنه سبحانه:

١- هو ابتَدأكَ بخَلقِكَ والإنعامِ عليكَ بقدرته ومشيئتِهِ ورحمته من غير سببٍ منكَ أصلاً، وما فعلَه بك لا يقدِرُ عليه غيرُه، ثم إذا احتجتَ إليه في جلبِ رزقٍ أو دفعِ ضُرٍّ، فهو الذي يأتي بالرزقِ لا يأتي به غيرُه، وهو الذي يدفعُ الضُّرَّ لا يدفعُه غيرُه، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢٠-٢١].

٢- وهو سبحانه ينعِمُ عليك ويحسِنُ إليك بنفسه، فإن ذلك موجبُ ما تسمَّى به ووصفَ به نفسَه.

إذ هو الرحمنُ الرحيمُ الودودُ المجيدُ، وهو قادرٌ بنفسِه، وقدرتُه من لوازمِ ذاته، وكذلك رحمتُه وعلمُه وحكمتُه لا يحتاج إلى خلقه بوجهٍ من الوجوه، بل هو الغنيُّ عن العالمين ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ =

= [النمل:٤٠].

فالربُّ سبحانه غنيٌّ بنفسِه، وما يستحِقُّه من صفات الكمالِ ثابتٌ له بنفسِه، واجبٌ له من لوازم ذاتِه، لا يفتقِرُ في شيءٍ من ذلك إلى غيره، فَفِعلُه وإحسانُه وجُودُه من كمالِه، لا يفعل شيئاً لحاجةٍ إلى غيرِه بوجهٍ من الوجوه، بل كلُّ ما يريده فَعَلَه فإنه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧، البروج:١٦]، وهو سبحانه ﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق:٣]، فكلُّ ما يَطلُبه فهو يبلُغه ويناله ويَصِلُ إليه وحدَه، ولا يعينُه أحدٌ، ولا يعوقُه أحدٌ، لا يحتاجُ في شيءٍ من أمورِه إلى مُعينٍ، وما له من المخلوقين ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢] وليس ﴿لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء:١١١]. قاله شيخ الإسلام[1].

قال: وقولُه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الآية [النحل:٣٦]، قالوا: الطاغوتُ مشتقٌّ من الطُّغيانِ، وهو مجاوزة الحدِّ، وقد فسَّره =

(١) قال سماحة الشيخ: يعني: قال هذا البحث. اهـ. وانظر: «مجموع الفتاوي» ١/ ٣٧-٣٨.

= السلفُ ببعض أفرادِه.

قال عمرُ بن الخطاب ﷺ: الطاغوتُ: الشيطانُ.

وقال جابر ﷺ: الطواغيتُ: كُهّانٌ كانت تَنزِلُ عليهم الشياطين. رواهما ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد: الطاغوتُ: الشيطانُ في صورةِ الإنسانِ، يتحاكمون إليه، وهو صاحبُ أمرِهم.

وقال مالكٌ: الطاغوتُ: كلُّ ما عُبِد من دون الله.

قلت: وهو صحيحٌ، لكن لا بُدَّ فيه مِن استثناءِ مَن لا يرضَى بعبادتِه(١). [٢٦]

[شرح٢٦] يعني: يقول: المعنى صحيح لكنه عام. ومراد مالك رحمه الله: من يرضى بعبادة الجمادات وأشباهها، وليس مراد مالك ـ رحمه الله ـ أنه يدخل في ذلك الأنبياء والرسل والأولياء الذين لا يرضون بالشرك، فهو غير داخل عند الجميع، وإنما أراد بهذا ما عُبِد من دون الله وهو راضٍ بذلك، أو ليس بعاقل كالأصنام والأشجار =

---

(١) ص٢٩.

....

= والأحجار والكواكب، تسمى طواغيت.

فما عُبِد من دون الله فهو طاغوت، لكن إذا كان لا يرضى بهذا فالطاغوت الشيطان إذا دعا إلى ذلك وزين عبادته من دون الله، فشيطانه هو طاغوته الذي زين له الباطل، وتسمى الأوثان طواغيت، ويسمى الكهان طواغيت، وتسمى الكواكب المعبودة من دون الله طواغيت.

وقد ذكر لك أنهم قالوا: إنه مشتق من الطغيان، والذي قاله أهل اللغة؛ أنه مشتق من الطغيان، وهو تجاوز الحد، وقد طغى الماء إذا جاوز حدوده، وطغى فلان إذا جاوز حده الذي ينبغي له، فالطغيان تجاوز الحدود في عمل الإنسان، أو في عقيدته أو في قوله، وسمي المعبود من دون الله وهو أحق أن يشبه بالطاغوت؛ لأنه جاوز حده؛ لأن حد الناس أن يكونوا كلهم عبيد الله، وكلهم في حكم العبيد لله، ليسوا بآلهة معبودة مع الله جل وعلا، فكلهم يجب عليه أن يكون متقيداً بشرع الله إذا خرج عن ذلك صار طاغوتاً بهذا المعنى. =

....

= لكن إذا كان لم يرض بذلك، وإنما أخرجه الناس وعبدوه من دون الله، فهذا ليس هو الطاغوت، وإنما الطاغوت الشيطان الذي زين ذلك، والذين فعلوا ذلك هم طواغيت لخروجهم عن حد الله، وأنبأ أنه يبرأ إلى الله منهم؛ الرسول والملك والنبي والرجل الصالح والجني الصالح وما أشبه ذلك، كلهم يبرؤون مِن عَمَل مَن عَمِل بهم ما عمل من الشرك، وكلهم لا يرضون بذلك ويبرؤون إلى الله منه. ويدخل في هذا فرعون الطاغوت الداعي إلى هذا*.

*** س: بعض المتكلمين إذا تكلم خصوصاً عن آلات اللهو وآلات الطرب يقول: وهذه الأوثان عبدت من دون الله، يقصد التلفاز وغيره. هل هذه العبارة صحيحة؟**

ج: يروى عن علي هذا المعنى في ما يفعله الناس من آلات الملاهي، يروى من باب الزجر ومن باب التحذير، لكن المقصود بالتماثيل، والمقصود بالطواغيت حقيقة هي المعبودة من دون الله مثل ما قال إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٢-٥٣].

فهذه الأصنام تماثيل؛ لأنها تصور على صورة ملك من الملائكة أو =

....

= ملك من الملوك، أو صورة عابد، أو صورة صنم مشهور عندهم على صورة أسد أو على صورة نمر، أو على غير ذلك. فالحاصل أن الأصنام في الأصل شيء ينحت ويصور على ما يعظمونه على صورة ملك أو نبي أو ملك من الملوك أو كذا أو كذا مما يعظمون.

س: والشطرنج؟

ج: يروى عن علي أنه قال في الشطرنج: ما هذه التماثيل التي نراكم عليها عاكفين؟ ولعلها الآن في الملاهي، وشبههم بعباد الأصنام وأشباههم لعكوفهم عليها، وأُنسِهم بهذا اللهو وشغلهم به عن الحق، وهذا من باب التنفير.

س: هل قول علي هذا صحيح؟

ج: ما أتذكر هذا، هو مروي ولكن ما أتذكر حاله[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ١/ ٢١٢.

۞ وقال ابنُ القيِّم: الطاغوتُ ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ، فطاغوتُ كلِّ قومٍ مَن يتحاكمون إليه غيرَ الله ورسولِه، أو يعبدونه مِن دون الله، أو يتبعُونَه على غيرِ بصيرةٍ من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعةٌ لله.

فهذه طواغيت العالَمِ، إذا تأمَّلتَها وتأمَّلتَ أحوالَ الناسِ معها رأيتَ أكثَرهم ممن أعرضَ عن عبادةِ الله إلى عبادةِ الطاغوتِ، وعن طاعته ومتابعة رسوله ﷺ إلى طاعة الطاغوت ومتابعته[1].[2] [٢٧]

[شرح٢٧] هذا المعنى ما تجاوز به العبد حده يعني: ما حدَّه الله له، سواء كان المتجاوز معبوداً كفرعون وأشباهه، أو متبوعاً في غير شريعة الله، أو مطاعاً فيما يحكم به بين الناس بغير الحق، هذا حدٌّ جامع يجمع بين الطواغيت، فيدخل في ذلك المعبود من دون الله، والحاكم بغير شريعة الله، والمتبوع في غير الحق؛ لرياسته في قبيلة، أو لكونه عالماً، أو لكونه ملكاً، أو ما أشبه ذلك. =

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٤٨)، ط. دار الحديث ١٤٢٥هـ.

(٢) ص٣٠.

....

= فإذا تبعوه في الباطل، ولم ينظروا في الدليل، فقد جعلوه طاغوتاً، فهو لهم طاغوت، لكن إذا كان لم يرض بذلك، ولم يدع إليه فهم الآثمون؛ إذ هم الذين جعلوه طاغوتاً وهو ليس بطاغوت بنفسه؛ لأنه لا يرضى بذلك، ولا يقرهم على هذا الباطل لو كان حياً.

هم يكونون طواغيت بالحدِّ هذا لأنهم جاوزوا حدودهم، جاوزوا الحد الذي حد لهم أن يستقيموا على شرع الله، وأن يعبدوا الله، فإذا جاوزوه بعبادة غيره، أو تحكيم غير شريعته، كانوا هم الطواغيت، وهم المسؤولون، لكن هم مع ذلك عملوا الطاغوت أيضاً وحكموه، وهو الشيطان الذي دعاهم إلى هذا الشيء، الشيطان طاغوت أيضاً.

۞ وأما معنى الآيةِ فأخبرَ تعالى أنه بعث ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٣٦]، أي: في كلِّ طائفةٍ وقَرنٍ من الناس ﴿رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦] بهذه الكلمة: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] أي: اعبدوا اللهَ وحدَه واتركُوا عبادةَ ما سواه، فلهذا خُلِقَت الخليقةُ، وأُرسِلت الرُّسُل، وأُنزِلت الكُتُب، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد:٣٦].

وهذه الآيةُ هي معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» فإنها تضمَّنت النفيَ والإثباتَ كما تضمَّنته «لا إلهَ إلا اللهُ» ففي قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الإثباتُ، وفي قوله: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النفيُ.

فدلَّت الآيةُ على أنه لا بُدَّ في الإسلام من النفي والإثباتِ، فيُثبِت العبادةَ لله وحدَه، وينفي عبادةَ ما سواه، وهو التوحيدُ =

= الذي تضمَّنته سورةُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وهو معنى قولِه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦] [1]. [٢٨]

[شرح٢٨] معنى الكفر بالطاغوت هو معنى «لا إله» لأن «لا إله» تقتضي إنكار عبادة غير الله، وإبطالها واعتقاد بطلانها بالقلب، والبراءة من ذلك ومن فاعله، ويؤمن بالله معناه «لا إله إلا الله» يؤمن بالله رباً وإلهاً ومعبوداً بالحق دون كل ما سواه ﷻ، فهذا يتضمن أيضاً معنى «لا إله إلا الله» وهذه الحكمة في إرسال الرسل كما هي الحكمة في خلق الخليقة.

فالخلق خُلِقوا ليعبدوا الله وحده، ويطيعوا أمره، ويستقيموا على شريعته، والرسل بعثوا لهذا الأمر للدعوة إليه، وتقريره وإيضاحه، وضرب الأمثال له، وبيان حق أهله الذين استقاموا عليه، وبيان عقوبات من خالف ذلك في الدنيا والآخرة، وبيان صفات هؤلاء، وبيان صفات هؤلاء، هكذا جاءت الرسل، وهكذا =

---

(١) ص٣٠.

....

= جاءت الكتب.

فالرسل أرسلوا لهذا الغرض، والخلق خلقوا لهذا الغرض، خلقوا ليعبدوا الله ويطيعوه، فيكون لهم الثواب العظيم، والعاقبة الحميدة، والله غني عنهم وعن أعمالهم ﷻ، وأُرسِلت الرسل؛ ليدعوا الناس إلى هذا الخير الذي خلقوا له، وليوضحوا لهم أنهم خلقوا لهذا، ولم يخلقوا من أجل أن يأكلوا ويشربوا، أو يبنوا القصور، أو يغرسوا الأشجار، أو يشقوا الأنهار، أو ما أشبه ذلك.

وإن كانت هذه لهم، يسرها الله لهم، وأباحها لهم، ليستعينوا بها على طاعته، لكن لم يخلقوا لها وإنما خلقت لهم هي؛ ليستعينوا بها على طاعته وعبادته جل وعلا، وإنما خلقوا هم ليعبدوا الله ويعظموه، سواء في البر أو في البحر أو في الجو أو في الأرض أو في أي مكان، وسواء في البناء أو في الصحراء أو في أي مكان، ولكن الله يسر لهم ما يعينهم على اتقاء الحر والبرد والشمس والمطر وغير ذلك، وما يعينهم على قوام حياتهم من الأكل والشرب ونحو ذلك.

فالله خلق الخلق ليعبدوه، وخلق لهم ما في الأرض ليستعينوا به =

....

= على طاعته: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، ويسر لهم الأرزاق؛ ليقيم الحجة، ويقطع المعذرة بإرسال الرسل وإيجاد ما يعينهم على طاعة الله ﷻ.

فأكثر الخلق أعرض عن هذا وتبع هواه وشيطانه، هذا حال أكثر الخلق كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] والقليلون هم الذين أجابوا الرسل، وانقادوا للحق الذي خالف أهواءهم، واستقاموا عليه، ووالوا عليه، وعادوا عليه، هؤلاء هم الأقلون كما قال ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ:٢٠]، وقال في بعض قصص الأنبياء: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:٨-٩].

فأكثر الخلق إنما يستجيب لهواه، وما تميل له نفسه من عمل أو =

....

= أكل أو شرب أو صداقة أو بغضاء أو غير ذلك، هذا حال أكثر الخلق إلا من آمن بالله وما جاءت به الرسل، فآثر ما أمر الله به ورسوله على هوى نفسه، وعلى ميل نفسه، وعلى شهوته، وهم الأقلون، وهم الأخيار من عباد الله، وهم الصفوة من الجن والإنس.

۞ قال ابنُ القيِّم: وطريقةُ القرآن في مثلِ هذا أن يَقرِنَ النفيَ بالإثباتِ، فينفي عبادةَ ما سوى الله ويُثبتَ عبادتَه، وهذا هو حقيقةُ التوحيد، والنفيُ المحضُ ليس بتوحيدٍ، وكذلك الإثباتُ بدون النفي، فلا يكون التوحيدُ إلا متضمِّناً للنفي والإثباتِ، وهذا حقيقة «لا إله إلا الله». انتهى[1].[2] [٢٩]

[شرح٢٩] وهو كلام موجز واضح، فالتوحيد والإخلاص لله إنما يكون بالنفي والإثبات، النفي «لا إله» للألوهية لغير الله، ونفي الشريك، وإثبات العبادة لله وحده ﷻ، فالنفي المحض ليس بتوحيد بل تعطيل وإلحاد، إذا قال: لا إله، وسكت، فهذا معناه الإلحاد والتعطيل، وإنكار وجود الله ﷻ، وهذا كفر وضلال.

والإثبات المحض كذلك، الله إله لا يكفي، والإله هو ﷻ لكن هناك آلهة كثيرة تعبد من دون الله، فلا يكفي قولنا: الله إله، أو ربنا إله، لا يكفي، فهو إله بلا شك، لكن هل هناك إله معه، هذا هو محل البحث، فلا يكفي هذا إلا بالنفي، ولا يستقيم التوحيد إلا =

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ١٤١)، ط١. مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٦هـ..

(٢) ص٣٠.

....

= بالنفي بأن تقول: «لا إله إلا الله»، فبهذا يستقيم التوحيد، تثبت الإلهية لله وحده، وتنفيها عمن سواه وإن كانت موجودة.

وبهذا يعلم بطلان قول من قال: معنى «لا إله» يعني: لا إله موجود ـ قدم خبر موجود ـ وهذا خطأ، فالآلهة موجودة تعبد من دون الله في كل زمان، ولكنها ليست آلهة حق، وإذا قيد وجوده بحق استقام المعنى، لا إله موجود بحق إلا الله ﷻ.

فالمقصود أن التفسير بالموجود فقط من غير تقييد، لا يستقيم؛ لأن الآلهة موجودة في عهد النبي وقبل النبي ﷺ وبعده، الآلهة موجودة الآن أصنام تعبد، وأوثان تعبد، وأشخاص يعبدون، أموات وأحياء، لكن المقصود نفي أحقيتها، وبيان أنها عُبِدت بالباطل كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

هذا هو معنى لا إله إلا الله، فالآلهة موجودة في كل مكان إلا ما شاء ربك، موجودة تعبد من دون الله، من حيوانات، ومن جمادات، ومن أموات، ومن أحياء، وطائفة تعبد القبور ومن فيها، =

....

= وطائفة تعبد الكواكب، وطائفة تعبد الأصنام، وطوائف تعبد أشياء أخرى، حتى وجد طائفة تعبد الشيطان الآن، جعلوه إلهاً يعبدونه، أعوذ بالله من ذلك.

فالحاصل أن الآلهة موجودة، فالدين والإسلام، والإيمان بأنه لا إله بحق إلا الله، يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وما عبده الناس قديماً وحديثاً كله معبود بالباطل من دون الله، وهذا هو معنى الآية الكريمة في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، وكذلك في سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠].

فالمقصود أن الآيتين تبينان أن المعبود بالحق هو الله وحده، وما سواه معبود بالباطل، وهكذا بقية الآيات*.

---

* س: من قال: إن معنى (لا إله إلا الله) الاستفادة من قدرة الله، وأنه قادر على الاختراع أيكون موحداً؟

ج: لا يكون موحداً لأن المشركين قد أقروا بهذا، أقروا بأن الله =

....

= متصرف وقادر على الاختراع، ولكن أشركوا به، جعلوا معه اللات والعزى وأشباهها آلهة تعبد مع الله، ويعتقدون فيها الشفاعة إلى غير ذلك.

وهذا معنى كلام كثير من المعتزلة وغيرهم من أهل الكلام: لا قادر على الاختراع إلا الله، لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله، ما خرجوا بهذا عن توحيد المشركين، كذلك: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧] لأن من صفة الإله أنه يحكم بشرعه وما أنزل على رسله، ولهذا يقال: توحيد المتابعة؛ متابعة الرسل، فالحاصل أن الحكم لله وحده ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾.

فمن جعل حاكماً مع الله فقد أشرك بالله، لكن إن كان الحاكم بالاعتقاد أنه يجوز أو يستحسن هذا كفر أكبر والعياذ بالله، أما إذا فعل بهواه بعض الأحيان لرشوة، هذه معصية كبرى عظيمة، ولا يكون كافراً عند أهل العلم، بل يكون ضعيف الإيمان عاصياً فاعلاً كبيرة؛ لأنه يعتقد أنه مجرم، وأنه ظالم، ولكنه حكم لفلان، أو وثق شهوده بالباطل بالرشوة، فهذا يكون عاصياً وضعيف الإيمان، وجديراً بالعزل والعقوبة.

ولكن لا يكون مثل من استحل ذلك، أو استحسن ذلك، فذاك كافر مرتد، وهذا عاص فاعل كبيرة، نسأل الله العافية.

س: إذا كان الإنسان بوظيفة مثلاً وأُلزِم بحلق لحيته، وهو يعرف أن ذلك محرم فحلقها، فهل يصير بهذا قد أشرك في المتابعة؟ =

....

= ج: هذه معصية من باب «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(١) لكن إذا اعتقد أنه يجوز أن يطاع المخلوق في معاصي الله، وأنه لا بأس بطاعة الملك أو غير الملك أو الشيخ فيما يخالف شرع الله وأنه يشرع، فهذه ردة، أما إذا أطاعه لهواه لأجل مال أو لأجل كذا أو لأجل منزلة، وهو يعلم أن هذا محرم، فهذه معصية.

هذا هو الفرق بينهما، ففعل المعاصي على حالين: إذا فعلها ويعلم أنها معاصٍ فهو عاص، وإذا فعلها وهو يعتقد حلَّها، وهي مما يعرف من الدين بالضرورة أن الله حرم ذلك، فأحل الزنى أو أحل الخمر فهذه ردة عن الإسلام، أما إذا كانت مسألة اختلاف وليس فيها دليل واضح، فليست من هذا الباب، بل هي محل نظر.

س: يدخل في قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]؟

ج: يدخل فيه إذا استحله، إذا استحل ذلك وظهر به، هذا إذا كانت معصية فقط، إذا يعتقد أنها معصية كما يفعل أهل الكبائر وأهل المعاصي.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٣١).

۞ ويَدخل في الكفر بالطاغوتِ بُغضُه وكراهتُه، وعدمُ الرضا بعبادته بوجهٍ من الوجوه.

ودلت الآية على:

١- أن الحكمةَ في إرسال الرُّسُلِ هو عبادةُ الله وحدَه، وتَركُ عبادةِ ما سواه.

٢- وأن أصلَ دينِ الأنبياءِ واحدٌ، وهو الإخلاصُ في العبادةِ لله وإن اختلفت شرائعُهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

٣- وأنَّه لا بدَّ في الإيمانِ من العَمَل ردّاً على المرجِئَةِ[1]. [٣٠]

[شرح٣٠] المرجئة الإيمان عندهم قول وتصديق؛ تصديق بالقلب وقول باللسان، والعمل ليس عندهم من الإيمان وإن أوجبوا العمل، ولكن لا يسمونه إيماناً، وهذا من أغلاطهم، والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان يشمل الثلاث: العقيدة، والقول، =

---

(١) ص٣٠.

....

= والعمل، وأنه يزيد وينقص، كذلك رد على من يقول: إن الإيمان مجرد قول كبعض المرجئة وكالكرّامية وأشباههم، أو مجرد معرفة، كما يقوله طوائف أيضاً *.

---

* س: هل ثبت أن الحنفية يقولون بالإرجاء؟

ج: المشهور أنهم مرجئة الفقهاء لا يسمون العمل إيماناً، وإن كانوا يرون وجوب العمل، لكن ما يسمى عندهم إيماناً، يقولون: إن قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف:٣٠] يدل على ذلك؛ لأن في العطف المغايرة، إذاً فالعمل غير الإيمان. وهذا غلط عند أهل السنة: لأنه يعطف على غيره، وإن كان جزءاً منه للمغايرة، ويعطف على غيره لكونه ليس منه، بل شيء آخر كجاء زيد وعمرو، فيعطف الخاص على العام ليعلم أنه داخل فيه، وأنه ينص عليه من باب الإيضاح لأهميته، مثل:

﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] الصلاة الوسطى من الصلوات ولكن لأهميتها ذكرها، مثل: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] «كونوا مع الصادقين» من التقوى أيضاً.

كذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٢٧٧] وإقام الزكاة وإيتاء الزكاة من العمل ومن الإيمان ولكن للتنبيه، كذلك قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] =

....

= معطوف على الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهو داخل في العمل التواصي بالحق عمل، والتواصي بالصبر عمل، ولكن لعظم أهميتهما نبه عليهما وفي آية أخرى لم يذكرا لأنهما داخلان في الإيمان وفي العمل.

س: هناك من يعتقد أن أبا حنيفة لم يخالف أهل السنة في مسألة الإيمان.

ج: بعض أهل العلم يقولون: الخلاف لفظي، وأن ما سماه إيماناً هو واجب عليه، من حيث اللفظ، وإلا فهو يوجب ما أوجب الله، ويحرم ما حرم الله، فيكون الخلاف لفظياً، والتحقيق ليس بلفظي وله شأن.

فإن أهل السنة والجماعة يسمون هذا العمل إيماناً، والصلاة تسمى إيماناً، والتواصي بالصبر يسمى إيماناً، والتواصي بالحق يسمى إيماناً، يعني: الإيمان العملي، بحيث يكون ناقص الإيمان إذا ضيع ذلك، وأنه يلزم على ذلك أن من ترك العمل صادق الإيمان كامل الإيمان، ولا يستقيم هذا.

س: لكن أبو حنيفة لا يقول بهذا.

ج: نعم، لا يقول بهذا، لكنه لا يسمي العمل إيماناً.

س: إذاً الخلاف لفظي.

ج: لا، لا يستقيم أن يكون الخلاف لفظياً، لأن الله وعد المؤمن الجنة، فإذا كان عمله من الإيمان، فمعنى ذلك أن المؤمن الذي صدق بقوله وقلبه ولم يأت بالعمل مؤمن يستحق الجنة، وأهل السنة والجماعة يقولون: لا، ما يستحق الجنة إلا بالأمور الثلاثة يكون مؤمناً بالقلب، مؤمناً بالقول، مؤمناً =

....

= بالعمل، يعني: مؤدياً للواجبات.

س: وفي الحديث، أي: من حيث التوثيق؟

ج: أكثر أهل العلم لا يوثقونه من جهة الحفظ، وإن عني بالقياس والمسائل، وبعض أهل العلم يمشيه في الرواية، لكن المشهور كما قلت: إنه ليس بذاك في روايته، فهو متكلَّم فيه من جهة الحفظ لا من جهة العدالة.

س: ابن حبان ذكره في كتاب «المجروحين»؟

ج: أما ابن حجر فقال في «التقريب»: فقيه مشهور، وأعرض عن البحث في التعديل والتضعيف.

۞ قال: وقولُه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا...﴾ الآية [الإسراء:٢٣] هكذا ثبت في بعض الأصول، لم يذكر الآية بكمالها.

قال مجاهدٌ: ﴿وَقَضَىٰ﴾ يعني: وَصَّى، وكذلك قرأ أُبيٌّ بن كعب، وابنُ مسعود، وابنُ عباس، وغيرُهم.

وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: يعني: أَمَر.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ «أنْ» هي المصدريةُ، وهي في محلِّ جرٍّ بالباء، والمعنى: أن تعبدُوه، ولا تعبدُوا غيرَه ممن لا يملِكُ ضَرّاً ولا نفعاً؛ بل هو:

١ - إما فقيرٌ محتاجٌ إلى رحمةِ ربِّه، يرجُوها كما ترجُونها.

٢ - وإما جمادٌ لا يستجيبُ لمن دعاه(١). [٣١]

[شرح٣١] وإما ميت ليس له تصرف ولا حراك في شيء؛ فمدعوُّوهم بين فقير لا يستطيع شيئاً ـ وكل إنسان عاجز يدعو =

---

(١) ص٣١.

....

= رحمة ربه ويرجوه ويخافه – وإما ميت لا إحساس له ولا شعور له في داعيه ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر:١٤].

وإما جماد كالصنم والشجر والحجر والكوكب وأشباه ذلك، فهذه هي معبوداتهم؛ إما جمادات وإما أموات وإما أحياء لا يملكون شيئاً، وكل إنسان وكل حي هو عاجز لا يملك إلا ما ملَّكه الله إياه، فهو في قبضة الله تعالى أو بتدبيره وتصرفه، ليس له ملك في نفسه، بل هو مدَبَّر مصرَّف تحت يد الله ﷻ فكيف يُدعَى من دون الله.

قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ يعني: أمر وأوصى كما قال المفسرون، وإنما قالوا هذا لئلا يظن ظان أن ﴿وَقَضَىٰ﴾ بمعنى قدر وأنه قضى في قدره السابق أن لا تعبدوا إلا إياه، فإن هذا التفسير باطل، ولو كان قضى أن لا يعبد إلا إياه سبحانه ما خالف الناس ذلك؛ فإن القضاء والقدر ماض في العباد، فلو قدر ـ سبحانه ـ وقضى أن جميع العباد يعبدونه ما بقي مشرك في الأرض ولا كافر، وصار الناس كلهم على التوحيد. =

....

= والواقع يخالف ذلك؛ فعلم أن المراد بالقضاء هو الأمر بالوصية كما في الآيات الأخرى ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦] إلى غير ذلك، فقضى هنا بمعنى الأمر والوصية، والتوجيه إلى هذا الخير العظيم، وليس بمعنى القضاء الذي بمعنى التقدير السابق والكتاب السابق أن لا تعبدوا إلا إياه، وإلا لكان هذا باطل من أبطل الباطل.

۞ وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: وقضى أن تُحسِنُوا بالوالدينِ إحساناً، كما قضَى بعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، وعَطفُ حَقِّهما على حقِّ الله تعالى دليلٌ على تأكُّد حقِّهما، وأنه أَوجَبُ الحقوقِ بعد حقِّ الله، وهذا كثيرٌ في القرآن، يَقرِن بين حقِّه ﷻ وبين حقِّ الوالدين؛ كقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤].

وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣] ولم يخصَّ تعالى نوعاً من أنواع الإحسانِ؛ لِيَعُمَّ أنواعَ الإحسانِ.

وقد تواترت النصوصُ عن النبيِّ ﷺ بالأمر بِبِرِّ الوالدين، والحثِّ على ذلك، وتحريمِ عقوقِهما كما في القرآن.

ففي «صحيح البخاري» عن ابنِ مسعود، قال: سألتُ النبيَّ، ﷺ: أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله؟ قال: «الصلاةُ على وَقتِها» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «بِرُّ الوالدين» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «الجهادُ في سبيلِ الله» حدَّثني بهنَّ، ولوِ استَزَدتُه =

= لَزادَني[1].»[2] [٣٢]

[شرح٣٢] قد خرج مسلم أيضاً هذا الحديث فهو في «الصحيحين»، وهو موافق لما في الآية الكريمة من وجوب حق الله، ثم حق الوالدين، فالصلاة من حق الله تابعة للتوحيد، فحق الله مقدم، ثم حق الوالدين بعد ذلك؛ ولكن لعظم حقهما، وكونهما السبب في وجوده بإيجاد الله له ﷻ، وعظيم ما يقومان به من خدمة وإحسان، جعل الله حقهما كبيراً وعظيماً ومقروناً بحقه ﷻ، وجعل الشرك مقروناً بالعقوق؛ لعظم شأن العقوق وخطره، وأيضاً لفساده، وكونه مقابلة الإحسان بالإساءة جعل الله العقوق من الشرك، كما في حديث أبي بَكْرَةَ الثقفيِّ: «ألا أُنبِّئُكُم بأكبرِ الكبائرِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين»[3].

فالمقصود أن البر بالوالدين من آكد الفروض، وعقوقَهما من أكبر الكبائر، ومن المؤلم المحزن في هذا العصر قلة العناية بهذا الواجب، وكثرة من يؤذي الوالدين، ويتعدى عليهما، ويسيء إليهما =

---

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٧٠)، ومسلم: الإيمان (٨٥).

(٢) ص٣١.

(٣) أخرجه البخاري: الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم: الإيمان (٨٧).

....

= في المقال والفعال، وهذا كله من قلة العلم، ومن قلة البصيرة، ومن ضعف الإيمان أو عدم الإيمان.

وقد يكون من سببه أيضاً جهل الوالدين، وسوء تصرفهما، وعدم صبر الولد على ذلك، فالمقصود أنه قد يترتب من الأمرين من جهل هذا وجهل هذا، أو من سوء تصرف هذا وسوء تصرف هذا، قد يترتب منهما العقوق، فالواجب العناية بهذا الأمر، وتوجيه الناس إليه، وإرشادهم إليه، وتحذيرهم من العقوق الذي يضرهم ويضر مجتمعهم، والله المستعان.

۞ وعن أبي بَكْرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا أُنبِّئُكم بأكبرِ الكبائرِ؟» قلنا: بلى، يا رسولَ الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوقُ الوالدين» وكان مُتَّكِئاً فجلسَ، فقال: «ألَا وقولُ الزُّورِ، ألا وشهادةُ الزُّورِ» فما زالَ يُكرِّرُها، حتى قلنا: ليتَه سَكَت. رواه البخاري ومسلم[1].[2] [٣٣]

[شرح٣٣] لماذا جاء في الحديث (حتى قلنا: ليته سكت)؟ أتراهم لا يحبون أن يكرر، حتى قالوا: ليته سكت؟ بل من شدة المعصية، (ليته سكت) إشفاقاً عليه من التعب، وإبقاء عليه لما رأوا شدة غضبه وتكراره، فقالوا: ليته سكت، لئلا يتضرر ﷺ من كثرة تكراره لهذا الكلام، وتحمسه له، وحرصه على تبليغه للناس لا كراهة لكلامه، ولا كراهة لتكراره، ولكن من باب الإبقاء والعطف ومحبة ألا يتألم بشيء، عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٧٦)، ومسلم: الإيمان (٨٧).

(٢) ص٣١.

۞ وعن أبي هريرةَ ﵁ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله، مَن أحقُّ الناسِ بحُسنِ صَحابَتي؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثم مَن؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثم مَن؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثم مَن؟ قال: «أَبوكَ». أخرجاه[1].

وعن عبدِ الله بنِ عَمرٍو، قال: قال رسول الله ﷺ: «رِضَا الرَّبِّ في رِضَا الوالدينِ، وسَخَطُه في سَخَط الوالدينِ».

رواه الترمذي، وصححه ابن حبان والحاكم[2].

وعن أبي أُسَيدٍ الساعديِّ، قال: بَيْنا نحن جلوسٌ عندَ النبيِّ ﷺ، إذ جاء رجلٌ مِن بني سَلِمةَ، فقال: يا رسولَ الله، هل بَقِيَ مِن بِرِّ أَبَوَيَّ شيءٌ أَبَـرُّهُما به بعدَ موتِهما؟[3] [٣٤]

[شرح٣٤] أبر من باب فرح، بر يبر إذ برر يبر فيدغم، من باب فرح =

---

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٧١)، ومسلم: البر والصلة (٢٥٤٨).

(٢) الترمذي: البر والصلة (١٨٩٩)، وابن حبان في «صحيحه»: البر والإحسان (٤٢٩)، والحاكم: البر والصلة (١/ ١٥١-١٥٢)، وعندهم: الوالد بدل الوالدين في الموضعين.

(٣) ص٣٢.

....

= يفرح وعلم يعلم، القاعدة أن الماضي إذا أتى فعل فالمضارع يفعل بالفتحه، إلا في ألفاظ معدودة.

۞ فقال: «نعم، الصلاةُ عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذُ عَهدِهما مِن بعدِهما، وصِلَةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقِهما».

رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»[١].

والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ، قد أفردها العلماءُ بالتصنيف، وذكر البخاريُّ منها شطراً صالحاً في كتاب «الأدب المفرد»[٢]. [٣٥]

[شرح٣٥] وهذا الحديث الجليل عن أبي أُسَيدٍ الساعدي، فيه بيان حق الوالدين بعد وفاتهما.

وقوله: (الصلاة عليهما) يدخل فيها صلاة الجنازة، ويدخل فيها الدعاء، فإنه يسمى صلاة، ومنه الاستغفار، وكذلك من حقهما بعد وفاتهما الإكثار من الدعاء لهما بالمغفرة، والرحمة، ورفع الدرجات، ونحو ذلك. =

---

(١) أبو داود: الأدب (٥١٤٢)، وابن ماجه: الأدب (٣٦٦٤)، وابن حبان (٤١٨).

(٢) ص٣٢.

....

= ولهذا في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابنُ آدمَ انقطعَ عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَع به، أو وَلَدٍ صالح يدعُو لَه»[1]، فمن أعظم نفع الولد الصالح أن يدعو لوالديه، ويستغفر لهما، وإذا تصدق عليهما فكذلك، لكن ليس كل أحد يستطيع الصدقة، أما الدعاء فميسور لكل أحد، للفقير والغني.

ومن حقهما كذلك (إنفاذ عهدهما من بعدهما) هذا أمر ثان، وإنفاذ وصاياهما، إذا أوصيا بشيء فمن حقهما وبرهما إنفاذ هذه الوصايا، لكن بشرط أن تكون غير مخالفة للشرع، بل على طريقة الشرع؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولو كان والداً.

فإذا أوصى بوصايا تخالف الشرع لم تنفذ، وإذا أوصى بوصايا، والأم كذلك أوصت بوصايا، وهي موافقة للشرع، نفذت، هذا من حقهما.

كذلك من حقهما صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وصلة أرحامهما، من عم، وأب لأبيك، وجد، وعمات، وما أشبه ذلك، =

(١) أخرجه مسلم: الوصية (١٦٣١).

....

= أي: أقارب والديك.

والرابع إكرام صديقهما، إن كان لهما أصدقاء في حياتهم، فمن برهما إكرام أصدقائهما، والإحسان إليهم، بمواساة الفقير، بزيارته، وبالدعاء له، وبالهدية له، وكف الأذى عنه، وما أشبه ذلك.

هذا من إكرام صديق الوالد، وثبت عن ابن عمر ﷺ: أنه كان في طريقه في بعض أسفاره إلى الحجاز، وكان معه حمار يستريح عليه إذا تعب من ركوب البعير، فقابله أعرابي، وسلم عليه، قال: أنت ابن فلان، قال: نعم، فأمر له بالحمار، وبعمامة كانت عليه، فأعطاهما إياه، وقال: إن والد هذا كان صديقاً لعمر، فقال بعض الحاضرين: لو أعطيته دون ذلك؛ لأن الأعراب يكفيهم الشيء اليسير، فقال: لا، إن والده كان صديقاً لأبي، فأردت أن أكرمه بهذا الشيء[(١)]. فالمقصود أن إكرام أصدقاء الوالد من بر الوالد*.

---

* س: كيف يجمع بين صلة الرحم مع العصاة وبين الحب في الله والبغض في الله؟ =

---

(١) أخرجه مسلم: البر والصلة (٢٥٥٢) (١١) و(١٣).

....

= ج: لا منافاة بين الحب في الله والبغض في الله، وصلة الرحم، أسماء بنت أبي بكر كانت أمها كافرة، وهي تريد مساعدتها، فاستشارت النبي ﷺ، قالت: يا رسول الله، إن أمي قدمت عليَّ، وهي راغبةٌ، وهي لا تزال على الشرك، أفأصِلُها؟ قال النبي ﷺ: «صِلِيها»(١)، فوصل الرحم قد يكون من أسباب إسلام الوالد إذا كان كافراً، ومن باب تأليفه على الخير.

كذلك ورد في القرآن الكريم، يقول جل وعلا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

وكان عمر يهدي إلى أخ له مشرك في مكة(٢).

والحاصل أن صلة الأقارب والإحسان إليهم، وهم ليسوا حرباً لنا، وفي حال أمن ومعاهدة وصلح أو ذمة، لا تنافي بغضهم في الله، وهذا بإجماع المسلمين.

وليس هناك نزاع بحمد الله أن يصل المؤمن أرحامه ويواسيهم ويحسن إليهم، ولو كانوا كفاراً، وفي هذا من الفوائد: صلة الرحم، والدعوة إلى الهدى، والصلاة، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، فإذا =

---

(١) أخرجه البخاري: الجزية والموادعة (٣١٨٣)، ومسلم: الزكاة (١٠٠٣).

(٢) أخرجه البخاري: الهبة وفضلها (٢٦١٩)، ومسلم: اللباس والزينة (٢٠٦٨).

....

= أحسنت إلى الناس، كان هذا من أسباب رجوعهم عن الباطل الذي تدعوهم إلى تركه، سواء أكان كفراً أم معصية، وإذا أسأت إليهم وقاطعتهم فهو من أسباب بقائهم على ما هم عليه من الباطل إلا من شاء الله.

فالمقصود أن في الإحسان خيراً كثيراً، ولهذا جاءت الشريعة بالإحسان مع العدو، ومع الصديق، ولا يخفى قول النبي ﷺ للرجل الذي قال: يا رسولَ الله، إن لي قرابةً أَصِلُهم ويقطعونني، وأُحسِنُ إليهم ويسيئُون إليَّ، وأحلُم عنهم ويجهلون عليَّ، قال: «لئن كنتَ كما قلتَ، فكأنما تُسِفُّهم الـمَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم، ما دمت على ذلك»[1] أي: معين، وهكذا يقول ﷺ: «ليسَ الواصلُ بالمكافئ، ولكنِ الواصلُ إذا قُطِعت رحمُه وصلَها»[2]، فالقطيعة معصية منهم، ومع هذا يقابلها بالإحسان.

س: إذا كان أهل رَحِمه على معصية ويخوضون في الباطل؟

ج: لا يلزم من وصلهم الاستماع للباطل، فيصلهم ولا يجلس معهم على الباطل، فيصلهم من بعيد، ويرسل لهم الدراهم والكسوة، ولو كان ـ يعني منهم ـ شيء من الباطل فلا يلزم أن يجلس معهم على الباطل. =

(١) أخرجه مسلم: البر والصلة (٢٥٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٩١).

....

= فعلى المسلم أن لا يقطع رحمه ويقطع الصلة وإن كانوا عصاة، بل ينصحهم، ويدعوهم إلى الله جل وعلا، ويرغبهم بالخير، فيصلهم بالمال، ولا يقطعه، أو بغير المال مما ينفعهم، أو الشفاعة لهم، أو رد الظلامة عنهم، وما أشبه ذلك.

س: قد يكون لي مثلاً إخوان فقراء، ولكنهم رجال يشربون الدخان ويشربون التنباك؟

ج: صلهم، وادعهم إلى الله، وواسهم بما عندك من المال، ومن الزكاة، وادعهم إلى الله، فقل: هذا منكر، وهذا لا يجوز، يا إخواني هذا يضركم، وأحسن إليهم حتى تجمع بين المصلحتين.

س: قد يصرفون هذا الذي أعطيتهم إياه على شرب الدخان؟

ج: لا عليك منهم، إذا أعطيتهم إياه فقد فعلت الخير، وأمرهم بينهم وبين الله، لكن لا تعينهم أنت وتأت لهم بالدخان تشتريه لهم. وأمر الكافر أعظم من شارب الدخان.

۞ قال: وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ الآيات [الأنعام].

قال ابنُ كثير: يقولُ الله تعالى لنبيِّه ورسولِه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاءِ المشركينَ الذين عبدوا غيرَ الله، =

= وحَرَّموا ما رزقَهم اللهُ، وقتلُوا أولادَهم، وكلُّ ذلك فعلوه بآرائِهم الفاسدةِ، وتسويلِ الشيطانِ لهم: ﴿تَعَالَوْا﴾ أي: هَلُمُّوا وأَقبِلُوا ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أَقصُصْ عليكم، وأُخبِركم بما حرَّم ربُّكم عليكم حقّاً لا تخرُّصاً، ولا ظَنَّا، بل وحياً مِن الله، وأمراً مِن عِنده ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ قال: وكأنَّ في الكلامِ محذوفاً دلَّ عليه السياقُ، وتقديرُه: وصّاكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، ولهذا قال في آخرِ الآيةِ: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ [الأنعام:١٥١][1].

قلتُ: ابتدأَ تعالى هذه الآياتِ المحكماتِ بتحريمِ الشركِ والنهي عنه[2]. [٣٦]

[شرح٣٦] هذا قول لبعض العلماء.

والقول الثاني أن «لا» هنا زائدة؛ كما جاءت في مواضع كثيرة، والمعنى: أتلو ما حرم ربكم عليكم أن تشركوا به شيئاً، =

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٥٩-٣٦٠).

(٢) ص٣٢-٣٣.

....

= فـ «لا» هنا صلة.

وفي الآية الأخرى ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد:٢٩] أي: ليعلم أهل الكتاب، فقد تأتي في الكلام زيادةً وصلةً لظهور المعنى، فإذا روعي هذا، وأنها صلة في الكلام كما في مواضع أخرى، فالمعنى: حرم عليكم أن تشركوا به شيئاً.

أما إذا بقيت «لا» على حالها، فهذا يحتاج إلى تقدير: وصاكم بألا تشركوا شيئاً، فالتقدير: وصاكم، ولكن مهما أمكن الاستغناء عن الحذف فهو أولى، ثم صار الكلام على الحذف واستقام أمر الكلام بدون حذف، فهو أولى عند أهل العلم وعند أهل العربية.

وهذا مستقيم من دون حذف: «قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم أن تشركوا به شيئاً» أي: أنها صلة قد تزاد في مواضع؛ لظهور المعنى في لغة العرب، ومن هذا قوله تعالى في آخر سورة الحديد ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد:٢٩] أي: ليعلم أهل الكتاب.

۞ فحرم علينا أن نشرك به شيئاً، فشَمِلَ[1] ذلك كلَّ مُشرَكٍ به، وكلَّ مُشرَكٍ فيه من أنواع العبادةِ، فإن «شيئاً» من النكرات، فيعمُّ جميعَ الأشياء، وما أباح تعالى لعبادِهِ أن يشركوا به شيئاً، فإن ذلك أظلمُ الظُّلمِ، وأقبحُ القبيح.

ولفظُ «الشرك» يدلّ على أن المشركينَ كانوا يعبدون اللهَ، ولكن يشركون به غيرَه من الأوثانِ والصالحينَ والأصنامِ، فكانت الدعوةُ واقعةً على تَركِ عبادةِ ما سوى الله وإفرادِ الله بالعبادة[2]. [٣٧]

[شرح٣٧] ولا شك أن لهم أنواعاً من العبادة، فيحجون، ويتصدقون، ويقدرون قدر الله في حال الشدائد، ويخلصون له العبادة، فلهم أنواع من العبادة، لكنهم لا يمحضونها لله، بل يفعلونها لله، ويفعلون مع ذلك الشرك بغيره، والعبادة لغيره، فلهذا سموا مشركين؛ لكونهم شركوا في العبادة غير الله ﷻ، وإلا فهم بلا شك يقع لهم عبادات: من حجهم، وصدقاتهم، وغير هذا من الطاعات =

---

(١) قال سماحة الشيخ: شَمِل ـ بالكسر ـ أفصح، وقد يجوز شمَل بالفتح.

(٢) ص٣٣.

....

= التي يفعلونها لله ﷻ، وهكذا يفعلون وقت الشدائد من إخلاص العبادة لله وحده كل هذا واقع.

وكل إنسان يجد من ضميره ومن إحساسه شيئاً من الأهواء في عبادة من هو فوقه، ومن هو أعظم منه ومن هو أعلى منه، ومن هو صبٌّ فيه، وإن اختلفت عقائدهم في هذا الإله، في هذا القاهر: هل هو يسمى الله؟ أو غير ذلك؟ لكن كل إنسان مفطور في أصل خلقته على أن له رباً وخالقاً ومدبراً، لكنهم في معرفته وتفاصيل عبادته أنواع لا تحصى، والله المستعان.

والرسل هي التي دلت على ذلك، أن لها معبوداً، وخالقاً، ومربياً، ومدبراً، فجاءت الرسل تبين هذا الإله، وهذا المعبود، وهذا الخالق، وتوضحه بأسمائه وصفاته، وتوضح جهته التي يسأل منها، ويدعى، وأنه من جهة العلو ﷻ، فالرسل جاءت بإيضاح هذا الأمر، وبيانه أكمل إيضاح، وأعظم بيان.

۞ وكانت «لا إلهَ إلا اللهُ» مُتضمِّنةً لهذا المعنى، فدعاهم النبيُّ ﷺ إلى الإقرارِ بها نُطقاً وعملاً واعتقاداً، ولهذا إذا سُئِلوا عما يقولُ لهم؟

قالوا: يقول: اعبُدُوا الله، ولا تُشرِكوا به شيئاً، واترُكُوا ما يقولُ آباؤُكم، كما قاله أبو سفيان[1].[2] [٣٨]

[شرح٣٨] لما سأله هرقل عما يقوله محمد، قال مثل هذا الكلام، يقول: اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصلة، والصدق، والعفاف.

---

(١) انظر ما أخرجه البخاري: بدء الوحي (٧).

(٢) ص٣٣.

۞ وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام:١٥١].

قال القُرطبيُّ: الإحسانُ إلى الوالدين بِرُّهما، وحِفظُهما، وصيانتُهما، وامتثالُ أمرِهما، وإزالةُ الرِّقِّ عنهما، وتركُ السلطنة عليهما، و«إحساناً» نصب على المصدرية، وناصِبُه فعلٌ مُضمَرٌ مِن لفظه، تقديره: وأحسنوا بالوالدينِ إحساناً[1].[2] [٣٩]

[شرح٣٩] تقدم الكلام في الإحسان للوالدين، وهو يشمل أنواع الإحسان مما تقدم، من بر، وصلة، وإحسان، وكف أذى، وترك السلطنة عليهما، وطاعتهما في المعروف، وجمع ما يكون فيه خير لهما، وإحسان لهما، وكف سائر الشر عنهما، فإن كلمة البر كلمة جامعة.

لكنه مقيد بالمعروف، مثل ما تقدم من طاعة ولاة الأمور، وطاعة الوالدين، وطاعة الأزواج، كل ذلك وما أشبهه مما جاء في النصوص، مقيد بالمعروف «إنما الطاعة في المعروف»[3] كما قال

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٣٢).

(٢) ص٣٣.

(٣) أخرجه البخاري: الأحكام (٧١٤٥)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠).

....

= النبي ﷺ، فليس لأحد أن يطاع في المعاصي مهما كان فضله، ومهما كانت منزلته، ومهما كان سلطانه، فلا يطاع أحد في معاصي الله جل وعلا: «إنَّما الطاعةُ في المعروفِ».

۞ وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

الإملاقُ: الفقر، أي: لا تَئِدُوا بناتِكم خشيةَ العَيلَةِ والفقرِ، فإني رازِقُكم وإيّاهم، وكان منهم مَن يفعلُ ذلك بالإناثِ والذكورِ؛ خشيةَ الفقرِ، ذكره القرطبي(١).

وفي «الصحيحين» عن ابنِ مسعودٍ، قال: قلت: يا رسولَ الله، أيُّ الذَّنبِ أعظمُ عندَ الله؟ قال: «أنْ تجعلَ لله نِدّاً، وهو خَلَقَكَ» قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «أنْ تقتلَ ولدَك خشيةَ أن يَطعَمَ معك» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تُزانيَ حَلِيلةَ جارِكَ» ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٨](٢).(٣) [٤٠]

[شرح٤٠] يبين هذا الحديث أن الشرك أعظم الذنوب، ولهذا لما =

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٧٦١).

(٣) ص٣٣.

....

= سئل، عليه الصلاة والسلام: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً، وهو خلقك»، وهذا يبين أن الشرك أعظم الذنوب.

واتخاذ الند معناه المثل والنظير، يقال: فلان ند فلان، أي: نظيره ومثيله، فكل من اتخذ مع الله إلهاً يعبده بالدعاء أو الخوف أو الرجاء أو التوكل أو الصلاة أو ما أشبه ذلك، فقد جعله لله نداً، وإن لم يسمه نداً.

يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وذمَّ من يفعل هذا بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

فكل من اتخذ مخلوقاً مع الله جماداً أو حيواناً، ملكاً أو نبياً أو غير ذلك، يدعوه مع الله، ويستغيث به، أو ينذر له، أو يصلي له، أو يسجد له، أو يخصه بشيء من العبادة، فقد اتخذه بهذا نداً لله ﷻ، وجعله إلهاً مع الله، وإن سماه بغير هذه الأسماء، سواء سماه سيداً، أو سماه ولياً، أو سماه غير ذلك من الأسماء التي تسميها الأمم.

فالاختلاف في الأسماء لا يضر، ولا يغير المعنى، إذ الاعتبار =

....

= بالمعاني، لا بالأسماء، فمهما سمى الناس هذه الآلهة، فهي آلهة مع الله، وعبادتها شرك بالله عَجَلّ، واتخاذ للأنداد معه تَعَالَىٰ، فليسموها ما سموها، فلا يتغير المعنى أبداً، إنما الاعتبار بالحقائق والمعاني، لا بالألفاظ التي تتغير باصطلاحات الناس وعرفهم.

ولهذا في حديث أبي بكرة في «الصحيحين» يقول ﷺ: «ألا أُنبِّئُكُم بأكبرِ الكبائرِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله، كررها ثلاثاً، ثم قال: «الإشراكُ باللهِ»[1] وجعله أكبر الكبائر، ثم جعل بعده العقوق، ثم شهادة الزور، فدل ذلك على أن الشرك أعظم الكبائر، ثم تتفاوت الكبائر بعد هذا: كالعقوق، وشهادة الزور، وقتل النفس بغير حق، والزنى، كلها من أكبر الكبائر، والعياذ بالله.

وكان في المشركين من يقتل الأولاد جميعاً خشية الفقر والعالة والحاجة، وبعضهم يخص البنات فقط، فيقتل البنت خشية العار والفتنة بها بعد كبرها، وهذا كله منكر، وكله من خصال الجاهلية المذمومة، التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير منها؛ فالله هو =

(١) أخرجه البخاري: الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم: الإيمان (٨٧).

....

= الرزاق لعباده، وهو ـ سبحانه ـ الذي عليه أرزاقهم جميعاً، وهو ـ سبحانه ـ المعين لمن صدق في كفالة البنات وصيانة البنات، وهو معين ـ سبحانه ـ لهم على مهمتهم العظيمة في صيانة بناتهم، وحفظ بناتهم عما حرم الله ﷻ، كما أن عليهم أن يحفظوا أولادهم أيضاً، عما حرم الله بكل جهد وبكل استطاعة، والله يعين الصادقين ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦].

أما قتلهم فلا محل له، وهو منكر وظلم وعدوان، وأما أن تزاني حليلة جارك، قال الشراح من أهل العلم: معنى ذلك أن يراودها وأن يسعى في إفسادها على زوجها، من المزاناة، وهو أشد من كونه يزني ثم يذهب ويتركها؛ لأن الزنى بها مرة أسهل من مزاناته بها، واتخاذها صاحبة له وخدناً له، يفعل بها متى شاء؛ فإن في هذا إفسادها على زوجها، وذهاب عفتها، وهذا أكبر وأشد وأنكر في المصيبة نعوذ بالله، ثم إذا كان مع زوجة الجار كان أيضاً أعظم في الإثم؛ لأن حق الجار الإحسان والمراعاة، وهذا عامله بضد ذلك من خيانته في أهله، وإفساد أهله عليه نعوذ بالله.

۞ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١]، قال ابنُ عطية: نهيٌ عامٌّ عن جميع أنواع الفواحش، وهي المعاصي، و﴿ظَهَرَ﴾ و﴿بَطَنَ﴾ حالتان تستوفيان أقسامَ ما جعلت له من الأشياء.

وفي «التفسير» المنسوبِ إلى أبي علي الطبريِّ من الحنفية ـ وهو تفسيرٌ عظيم ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أي: القبائحَ، وعن ابنِ عباس، والضحاكِ، والسُّديِّ، أن مِن الكفار مَن كان لا يرى بالزنى بأساً إذا كان سِرّاً[1]. [٤١]

[شرح٤١] ولا يستغرب عليهم ذلك؛ لأنهم لا شرع عندهم ولا إيمان لهم ولا بصيرة؛ فلهذا يستحسنون ما يناسب أهواءهم؛ ولهذا كان بعضهم لا يرى به بأساً سراً؛ كما هو الحال الآن لكثير من الكفرة والعياذ بالله، ويمنعونه علانية لئلا يفضح ولئلا يتكلم فيه.

أما الآن فالأمر أشد علانية، كانوا في الجاهلية يدعون له سرّاً، وأما اليوم فيجعلون له محلات، كفار اليوم أشد من الكفار الأولين =

---

(١) ص٣٣.

....

= بأضعاف مضاعفة من جهة إعلانهم الفواحش، والكفر بالله ـ جل وعلا ـ في الشدة والرخاء، ومن جهة إعلانهم الفواحش كذلك، ومن جهة الدعوة إليها، وتحبيبها وتسهيلها للناس، وأخذ المال عليها إلى غير ذلك، نسأل الله العافية.

۞ وقيل: «الظاهر» ما بينكَ وبين الخَلقِ، و«الباطن» ما بينَكَ وبينَ الله، انتهى.

وفي «الصحيحين» عن ابنِ مسعودٍ مرفوعاً: «لا أحدَ أغيرُ مِن الله، مِن أَجْلِ ذلكَ حرَّم الفواحشَ ما ظَهَر منها وما بَطَن»[١].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، قال ابنُ كثير: هذا مما نَصَّ تعالى على النهي عنه تأكيداً، وإلا فهو داخلٌ في النهي عن الفواحشِ[٢]. [٤٢]

[شرح٤٢] هذا تخصيص بعد تعميم، والقتل بغير حق من أقبح الفواحش، ولكن لما كان القتل عظيماً نبه عليه مرة أخرى بخصوصه في آيات كثيرات، فنهى عن القتل بخصوصه؛ لعظم الجريمة، ولما يترتب عليها من الفساد بين الأمم والتقاتل والفتن، ونص عليها بعد التعميم؛ ليعلم الناس عظم الجريمة ويحذروها.

---

(١) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٦٣٤)، ومسلم: التوبة (٢٧٦٠).

(٢) ص٣٣-٣٤.

۞ وفي «الصحيحين» عن ابنِ مسعود مرفوعاً: «لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنّي رسولُ الله، إلا بإحدى ثلاثٍ: الثيِّبُ الزاني، والنَّفْسُ بالنفسِ، والتاركُ لدينِه المفارِقُ للجماعةِ»(١).

وعن ابنِ عَمرٍو مرفوعاً: «مَن قتلَ مُعاهَداً لم يَرَحِ رائحةَ الجنَّةِ، وإنَّ ريحَها ليوجدُ مِن مَسيرةِ أربعينَ عاماً»(٢). رواه البخاري.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١]، قال ابن عطية: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى هذه المحرماتِ، و«الوصية»: هي الأمرُ المؤكَّدُ المقرَّر.

وقولُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تَرَجٍّ بالإضافة إلينا، أي: مَن سَمِع هذه الوصيةَ يُرجَى وقوعُ أثرِ العقلِ بعدَها.

قلت: هذا غيرُ صحيحٍ، والصواب أن «لعلَّ» هنا للتعليل، أي: أنَّ اللهَ وَصّانا بهذه الوصايا لنَعقِلَها عنه، =

---

(١) أخرجه البخاري: الديات (٦٨٧٨)، ومسلم: القسامة والمحاربين (١٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري: الديات (٦٩١٤).

= ونعملَ بها، كما قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة:٥].

وفي «تفسير الطبريّ الحنفيّ» ذكَر أولاً ﴿تَعْقِلُونَ﴾ ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ثم ﴿تَتَّقُونَ﴾ ؛ لأنهم إذا عَقَلوا تذكَّروا، فإذا تذكَّروا، خافوا، واتَّقَوا المهالكَ[١]. [٤٣]

[شرح٤٣] هذا كلام حسن؛ لأن التعقل وسيلة التذكر لما يجب، والتذكر وسيلة العمل؛ ولهذا جاءت الآيات هكذا ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، ثم بعدها ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ثم بعدها ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ والترجي من الله لا يليق به ﷻ؛ لأنه ـ سبحانه ـ لا يرجو أحداً، ولا يخاف أحداً، فهو المالك لعباده، والقاهر فوق عباده ﷻ، وبيده قلوبهم وتصرفاتهم، جل وعلا.

لكن قول ابن عطية ـ تَرَجٍّ بالإضافة إلينا ـ ما يرد على هذا؛ لأن ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يعني: لعلكم إذا سمعتم هذا الأمر والنهي، وهذه الوصايا لعلكم أنتم تعملون بها لكم فتعقلون وصايا الله، ولكن السياق يأبى أن هذا في حق الله ﷻ، بل المعنى فعلنا ووصينا =

---

(١) ص٣٤.

....

= ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أي: لتعقلوا فالتعليل بالنسبة إلى الله جل وعلا هو الواجب.

ولهذا قال الشارح هذا خطأ، والصواب أنه للتعليل مستقيم بهذا السياق في وصف الله ﷻ في بيان هذه الأشياء، ثم عللها تعالى بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يعني: وصيناكم وأمرناكم ونهيناكم لتعقلوا عنا الأمر والنهي؛ لتعقلوا وتفهموا وتذكروا وتتقوا حسب سياق الآيات كلها؛ فهو راجع إلى الله لا إلى العباد؛ ولهذا لا يناسب فيه هذا المقام أن يقال: للترجي؛ ولكن للتعليل، أمرته بكذا لعله يعقل ويفهم، والله أمرنا بهذه الأشياء، ونهانا عن هذه الأشياء لنعقلها عنه ونفهمها، ثم نتذكر ونعمل بما فيه رضاه وبما فيه نجاتنا وسلامتنا*.

---

* س: أين هو تفسير الطبري الحنفي؟

ج: لعله موجود ولكن ما سمعت عنه.

س: المعاهد هو الذمي؟

ج: المعاهد يشمل الذمي ويشمل المستأمن. =

....

= س: أي ذمي؟

ج: المعاهد قد يكون ذمياً بالجزية، وقد يكون مستأمناً بدون جزية مثل عهد أهل مكة بعد صلح الحديبية، سماهم معاهدين في هدنة، يقال: ذمي ولكن لا يخرج الجزية.

س: تفسير الصنعاني صاحب «المصنف»؟

ج: الصنعاني صاحب «السبل»، ولم أقرأ تفسيره.

س: من هو التارك لدينه المفارق للجماعة؟

ج: هو «المرتد» ويعني ذلك أن من شأن المرتد أنه يخالف الجماعة بعقيدته وإن كان معهم في الوطن، ومفارقة الجماعة يعني: الإتيان بناقض من نواقض الإسلام، هذا يسمى مفارقاً للجماعة فيقتل؛ لقول النبي ﷺ: «من فارق دينه فاقتلوه»[1]؛ لأنه باعتقاده الباطل فارق الجماعة وإن كان معهم في الحجرة أو البيت أو البلد، فهو وصفٌ لازم.

س: هل هزُّ الرأس أو هزُّ الجسم عند قراءة القرآن مأثور عن السلف الصالح؟

ج: ما سمعت فيه شيئاً عن السلف، يقال عنه: إنه من عمل اليهود كما ذكر بعض أهل العلم، ولكن ما أعرف صحة هذا، والأولى أن هذا =

---

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠١٧).

....

= إقبال على الخشوع والتأمل والتدبر؛ حتى يستفيد الإنسان من كلام الله ﷻ فيحضر قلبه ويخشع؛ أما الحركة فما سمعت عنها شيئاً، ولا أذكر فيها شيئاً، إلا أنه قد ذكر بعض أهل العلم أنه من عمل اليهود، ولكن لا أعلم صحة القول.

۞ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام:١٥٢] .

قال ابنُ عطية: هذا نَهيٌ عن القُربِ الذي يَعُمُّ وجوهَ التصرُّف، وفيه سَدُّ الذريعة، ثم استثنى ما يَحسُنُ، وهو التشميرُ والسَّعيُ في نَمائِه.

قال مجاهد: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ التجارةُ فيه، فمن كان مِن الناظرين له مالٌ يعيشُ به، فالأحسنُ إذا ثَمَّرَ مالَ اليتيمِ ألا يأخذَ منه نفقةً ولا أُجرةً ولا غيرَهما، ومَن كان من الناظرين لا مالَ له، ولا يتَّفِق له نظرٌ إلا بأن ينفقَ على نفسِه من رِبحِ نظرِه، وإلّا إذا دعت الضرورةُ إلى تَركِ مالِ اليتيمِ دون نظرٍ، فالأحسنُ أن ينظرَ ويأكلَ بالمعروف، قاله ابنُ زيد[1]. [٤٤]

[شرح٤٤] قال الله جل وعلا: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:٦]، فالله جل وعلا جاء في هذه =

(١) ص٣٤.

....

= الآية بالمراد بالتي هي أحسن.

وولي اليتيم قد يكون غنياً، فينبغي التعفف عن مال اليتيم، وأن يتبرع بعمله فيه، وأن يعمل في بيعه وشرائه لتنميته لليتيم حتى ينفعه ويكثر هذا المال، أما إذا كان الولي فقيراً، ولا يستطيع العمل في مال اليتيم إلا بأن يجد مالاً ينفقه على عائلته، فليأكل بالمعروف، وليتجر في مال اليتيم، وليأخذ بالأصلح، وهو العمل في مال اليتيم وينمي فيه، ومع هذا يأكل بالمعروف من غير إسراف ولا تبذير.

۞ وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام:١٥٢]. قال مالكٌ وغيرُه: هو الرشدُ، وزوالُ السَّفَهِ مع البلوغ(١). [٤٥]

[شرح٤٥] هذا معنى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام:١٥٢] حتى يبلغ الحُلُمَ، وحتى يكون رشيداً في التصرف، كما ورد في الآية الآتية في سورة النساء: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ الآية [النساء:٦].

---

(١) ص٣٤.

۞ قال ابنُ عطية: وهو أصحُّ الأقوالِ، وأَليقُها بهذا الموضع.

قلت: وقد روي نحوُه عن زيدِ بنِ أسلَمَ، والشعبيِّ، وربيعةَ، وغيرِهم، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء:٦] فاشترطَ تعالى للدفع إليهم ثلاثةَ شروطٍ:

الأول: ابتلاؤُهم، وهو اختبارُهم، وامتحانُهم بما يظهرُ به معرفتُهم لمصالح أنفسِهم وتدبيرِ أموالهم.

والثاني: البلوغُ.

والثالث: الرُّشدُ.

﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام:١٥٢] قال ابنُ كثير: يأمرُ تعالى بإقامةِ العدلِ في الأخذِ والإعطاءِ؛ كما تَوَعَّدَ عليه في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾، وقد أهلكَ اللهُ أُمةً مِن الأمم كانوا يَبخَسُون المكيالَ =

= والميزانَ، وقال غيرُه: القِسطُ: العَدلُ[1]. [٤٦]

[شرح٤٦] يريد بالأمة التي هلكت لبخسها المكيال والميزان قوم شعيب، وهم لم يهلكوا فقط لبخسهم المكيال والميزان، ولكن فوق ذلك كفر بالله.

---

(١) ص ٣٤-٣٥.

۞ وقد روَى الترمذيُّ وغيرُه بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ لأصحابِ الكيلِ والميزانِ: «إنَّكُم وُلِّيتُم أمراً هلكَت فيه الأممُ السالفةُ قبلَكُم»[1].

وقد رُوي عن ابنِ عباس موقوفاً بإسنادٍ صحيح.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢] قال ابن كثير: أي: مَن اجتهدَ في أداءِ الحقِّ وأَخذِه، فإن أخطأَ بعدَ استفراغِ وُسعِه وبَذلِ جهدِه، فلا حرجَ عليه[2]. [٤٧]

[شرح٤٧] قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، والمقصود أن الواجب على المسلم أن يبذل وسعه في أداء الحق الذي عليه، والحذر من أخذ أموال الناس بالباطل، كما أن عليه أن يبذل وسعه في أداء الواجبات الأخرى والبعد عن المحرمات، فإذا غلبه شيء بعد استفراغ الوسع والاجتهاد والنية الصالحة، في نظر ذلك الشيء الذي قصده وأراده ولم يقصر فلا حرج عليه.

---

(١) أخرجه الترمذي: البيوع (١٢١٧).

(٢) ص٣٥.

۞ وقد روى ابنُ مَردَوَيْه، عن سعيد بن المسَيّب مرفوعاً: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢] فقال: «مَن أوفَى على يدِه في الكيلِ والميزانِ، واللهُ يعلَم صحَّةَ نيَّته بالوفاءِ فيهما، لم يُؤاخَذْ» وذلك تأويل ﴿وُسْعَهَا﴾. قال: هذا مرسل غريب[1].

قلت: وفيه رَدٌّ على القائلين بجوازِ تكليفِ ما لا يُطاق.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢]

هذا أمرٌ بالعدلِ في القول والفعلِ على القريبِ والبعيد.

قال الحنفيُّ: العدلُ في القولِ في حقِّ الوليِّ والعدوِّ، لا يتغيرُ بالرضا والغضبِ، بل يكون على الحقِّ والصدقِ، وإن كان ذا قُربَى، فلا يميلُ إلى الحبيبِ ولا إلى القريبِ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام:١٥٢]. قال ابنُ جرير: =

---

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤).

= يقول: وبوصيةِ الله التي وصّاكُم بها فأَوفُوا وانقادُوا لذلك، بأن تطيعُوه فيما أمرَ به ونهاكُم عنه، وتعملُوا بكتابِه وسُنَّة رسولِه، وذلك هو الوفاءُ بعهدِ الله، وكذا قال غيرُه.

قلت: وهو حَسَنٌ، ولكن الظاهر أن الآيةَ فيما هو أخصّ؛ كالبيعةِ، والذِّمَّة، والأمانِ، والنَّذرِ، ونحو ذلك.(١) [٤٨]

[شرح٤٨] قال بعضهم: بعض عهد الله، فهذه الآية العامة أجمل وأشمل، وهو غالباً يساوي عهد الله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠] أي: ما عهد الله لعباده من الأوامر والنواهي، فعليهم أن يفوا بهذا العهد، فيستقيموا على فعل الأوامر وعلى ترك النواهي، وأن يقفوا عند الحدود تعظيماً لله وطاعة له، ومما يكون في ذلك عدم الغدر بالبيعة، والوفاء بالنذور والأيمان، هذا من جملة العهد وليس المراد وحده، ولكن يخصص أولاً فيما تقدم من النهي عن الفواحش، وقتل النفس بغير حق، والإحسان للوالدين.

ومن هذا الباب أكل مال اليتامى إلا بالحق، وصون اللسان =

(١) ص٣٥.

....

= ثم عمم: ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ﴾ [الأنعام:١٥٢] بما عهد إليكم في هذه الأمور لا في هذه الأشياء وحدها، بل في هذه الأمور عليكم أن توفوا بعهد الله، بأداء ما وصل إليكم على يد الرسل، فعليكم أن توفوا بذلك، والمعنى أن تؤدوا الواجبات، وأن تدعوا المحرمات، وأن تقفوا عند الحدود التي حدها لكم مولاكم، وبذلك تحصل لكم السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة.

۞ وهذه الآيةُ كقوله: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل:٩١] هذا هو المقصودُ بالآية، وإن كانت شاملةً لما قالوا بطريقِ العمومِ.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٢]، يقول تعالى: هذا وصّاكُم وأمركُم به، وأكَّد عليكُم فيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٢]، أي: تتعظون، وتنتهون عما كنتم فيه[1]. [٤٩]

[شرح٤٩] من فعل بما وصى ربُّه سعد كل السعادة، ومن ضيع هلك، والله المستعان، ونسأل الله السلامة!

* * *

---

(١) ص٣٥-٣٦.

۞ قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

قال ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى: ولنذكُر في الصراطِ المستقيمِ قولاً وَجِيزاً، فإنَّ الناسَ قد تنوَّعت عباراتُهم عنه، وتَرجَمتُهم عنه بحَسَبِ صفاتِه ومتعلَّقاته، وحقيقتُه شيءٌ واحد، وهو طريقُ الله الذي نصبَه لعبادِه مُوصِلاً لهم إليه[1]. [٥٠]

[شرح٥٠] صراط الله المستقيم شيء واحد، كلمة واحدة تجمعه، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده، وجعله الموصل إليه لمن استقام عليه، وهو فعل الأوامر وترك النواهي، هذا صراط الله، من استقام عليه وصل إلى النجاة، ومن حاد عنه صار إلى الهلاك.

---

(١) ص٣٧.

۞ ولا طريقَ إليه سواه، بل الطُّرقُ كلُّها مسدودةٌ على الخلقِ إلا طريقَه الذي نصبَه على ألسنِ رسلِه[1]. [٥١]

[شرح٥١] وبهذا يعلم أن من يقول: إن الأديان كلها موصلة، أو إن اليهودية موصلة، أو النصرانية موصلة، أن هذا من أبعد الناس عن الهدى، وأنه من أضل الناس عن الحق، وأنه كافر بالله، فلا طريق للناس أبداً إلى الله وقرابته، وإلى الجنة والنجاة من النار إلا طريق محمد، عليه الصلاة والسلام.

ومن زعم أن هناك طرقاً أخرى يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، أو بوذية، أو قاديانية أو غير ذلك، أي طرق زعموها فهي طرق باطلة، واعتقادها ضلال وكفر بالله، وردة عن الإسلام، ومن زعم أنه يسع أحداً من هذه الأمة الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، وهكذا الأنبياء الآخرون، فهذا ضال مضل وكافر، جاء به الرسول ﷺ.

فالطريق الوحيد هو طريق الله الذي جاء به محمد ﷺ، فهو صراط الله المستقيم ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ =

---

(١) ص٣٧.

....

= ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، نسأل الله العافية*.

*** س: هل يظهر من القرآن أن الخَضِر أخذ عن موسى، إلا أن الله ﷻ علمه شيئاً لم يعلمه موسى؟**

ج: ظاهر السياق القرآني أنه مستقل، مثل ما قال الخضر نفسه لموسى كما في «الصحيحين»[1]: إنك على علم من علم الله علَّمك الله إياه لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله عَلَّمنيه لا تعلمه أنت. هكذا قال الخضر لموسى.

وكذلك يقول: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾ [الكهف:٨٢]، فهو أمرٌ من الله جل وعلا، فالصحيح أنه نبيٌّ يوحى إليه، وليس كما قيل: إنه رجل صالح فقط. ولهذا قال الله لموسى لما سأله رجل: هل هناك في الأرض أعلم منك؟ قال له: بلى، عبدي الخضر.

(١) البخاري: التفسير (٤٧٢٥)، ومسلم: الفضائل (٢٣٨٠).

ﷺ وجعلَه مُوصِلاً لعبادِه إليه، وهو إفرادُه بالعبوديةِ وإفرادُ رسولِه بالطاعة، فلا يُشرَك به أحدٌ في عبوديَّته، ولا يُشرَك برسولِه أحدٌ في طاعتِه، فيُجرّد التوحيد[1]. [٥٢]

[شرح٥٢] فالعبادة لله وحده، والطاعة والاتباع للرسول ﷺ، فطاعته واتباعه طاعة لله ﷻ؛ لأنه مبعوث من الله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، فإن من طاعة الرسول معنى طاعة الله والرسول، فإن طاعة الرسول طاعة للمرسل، فالله أرسله إلينا لنطيعه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤].

فطاعتنا الرسول طاعة للذي أرسله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، فلا مطاع مُحكَّم إلا محمد عليه الصلاة والسلام، ولا إله يعبد بحق إلا الله وحده ﷻ.

هذا هو الطريق، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فالله هو المعبود بحق، والرسول هو المتبع بحق، فمن نصب شخصاً آخر يحل ما أحل، ويحرم ما حرم غير =

---

(١) ص٣٧.

....

= الرسول ﷺ فقد جعله رسولاً، وجعل له شريعة خاصة، فيكون كافراً والعياذ بالله*.

*** س: إذا عمل إنسان عملاً مخالفاً للشرع وهو يعلم أنه محرم، ولكن ألزم بهذا الشيء؟**

ج: هذا فيه تفصيل، فقد يكون فعله اتباعاً لهواه، فهذه معصية، وعليه التوبة إلى الله، وذلك كأن يزني، وهو يعلم أن الزنى محرم، ويشرب الخمر، وهو يعلم أن شرب الخمر محرم، ويغتاب بعض الناس، ويعلم أن الغيبة محرمة، ويرابي، ويعلم أن الربا محرم، فهذه كبائر ومعاصٍ عليه التوبة إلى الله منها، وهو باقٍ على إسلامه خلافاً لرأي الخوارج المكفرين له.

فأهل السنة لا يكفرونه بهذا، والخوارج تكفره بهذا، فتجعله كافراً مرتداً، والمعتزلة لا تقول: إنه كافر، لكن تقول: هو بمنزلة بين المنزلتين، ولكنه في الآخرة مخلد في النار كرأي الخوارج، وأما أهل السنة والجماعة فيقولون: هو ناقص الإيمان، أو ضعيف الإيمان، ولا يكون كافراً إلا إذا استحل هذا المحرم المعروف.

وأما إذا أكره على ذلك فالإكراه له أحكام، فإذا أكره على شيء من المحرمات فإن كان إكراهاً صحيحاً بالضرب والإيلام أو بالوعيد، ويظن أنه قادر على إيقاعه به، فهو معذور، حتى في الكفر ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ =

....

= ﴿بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

فمن أكره على أن يسب محمداً، أو يشرك بالله، أو أي كلمة، إكراهاً صحيحاً؛ فهو معذور ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ هذه هي الشريطه؛ أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، ثابتاً على الحق، وإنما فعل ما فعل متابعة للمكره للتخلص من شره.

وهكذا بقية المعاصي من باب أولى، فإذا كان هذا في الشرك ففي المعاصي من باب أولى، أما مجرد التساهل، كأن يقال: افعل كذا وافعل كذا من الشرك، فليس من الإكراه، ولا يسمى إكراهاً أن يفعل المعاصي من جهة: افعل واترك، بل الإكراه يكون بالضرب والإيلام أو التهديد به من قادر يظن أن يفعل ما يهدد به، فبعض الناس يبرق ويرعد وما عنده شيء، فالإكراه أن يهدده ويظن أنه قادر على إيقاع تهديده أو يضربه ويؤذيه ويقيده.

س: ماذا إذا أتى المحرم راغباً؛ كأن يعلم أن تلك الشركة لا يعمل فيها أحد إلا وهو حالق اللحية؟

ج: هذه معصية؛ إذا كان يعلم أنه محرم وفعله لأجل حظ عاجل فهذه معصية، كأن يزني أو يشرب الخمر ويعلم أن هذا محرم، ولكن غلبه هواه.

س: الإكراه يكون بالقول والفعل أم بالقول فقط؟

ج: بالقول والفعل جميعاً، فلو قال: اشرب الخمر، وسقاه إياه بالإكراه فهذا فعل.

۞ ويجرّدُ متابعة الرسولِ ﷺ، وهذا معنى قولِ بعضِ العارفين: إن السعادةَ كلَّها والفلاحَ كلَّه مجموعٌ في شيئين: صدقِ محبَّةٍ، وحُسنِ معاملةٍ[1]. [٥٣]

[شرح٥٣] صدق محبةٍ لله جل وعلا، وصدق المحبة لله تقتضي العبادة، فالمحب لمن يحب مطيع كما قال الشاعر:

تعصي الإلهَ وأنتَ تزعُمُ حبَّهُ هذا لَعَمرِي في القياسِ بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعتَهُ إن المحِبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

المقصود أن صدق المحبة تقتضي المتابعة، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١] فصدق المحبة يتضمن ذلك، ويقتضي ذلك من المتابعة للرسول ﷺ في توحيد الله، والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، وحسن المعاملة.

فإذا فعل المحب ما ينبغي، وترك ما ينبغي، فهذا يدل على أنه صادق، فإذا ادعى المحبة، أو ادعى المتابعة، أو ادعى أنه حريص =

---

(١) ص٤٧.

....

= على الخير، أو ادعى أنه يحب الله ورسوله، ولكن معاملته غير طيبة، بل هو يقارف المحرمات، ويؤذي الناس، ويغش الناس في المعاملات، فهذا يقال له: أنت بين أمرين: إما أن تكون كذاباً ومنافقاً، وإما أن تكون ضعيف الإيمان، أو ناقص الإيمان، ولهذا لا يمنعك إيمانك من تعاطي هذه المعاصي.

وأما ما يقوله بعض الناس: إن الدين حسن المعاملة، أو الدين المعاملة، فليس بحديث، فهذا لا أصل له، ولكن هو صحيح من حيث المعني، وليس بحديث*.

---

* س: المحبة الشِّركية التي تخرج صاحبها عن الملة والعياذ بالله، ما تعريفها؟

ج: كما تقدم المحبة الشركية هي المحبة مع الله، هي محبة الأنداد مع الله، أن يحب محبة خاصة تقتضي دعوة المحبوب، أو اعتقاد تصرفه في الكون، أو أن له تصرفاً في أمور العباد، أو يستحق أن ينذر له، أو أن يطاع في معصية الله، أو ما أشبه ذلك، يعني: محبة تقتضي خلاف ما شرع الله، ويقال لها المحبة مع الله، فالمحبة أنواع:

النوع الأول: المحبة لله. =

....

= النوع الثاني: المحبة في الله.

النوع الثالث: المحبة مع الله.

فالمحبة لله لا بد منها، فهي من أهم العبادات بل لا تنفع العبادة إلا بها، والمحبة في الله هي محبة المسلمين والإخوان في الله والأنبياء والرسل، والمحبة مع الله هي المحبة الشركية، وهي التي تقتضي إيجاد ندٍّ لله: في الدعاء، في الخوف، في الرجاء، في الصلاة، في الصوم، في غير هذا من العبادات، وهي محبة الأنداد ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] حباً اقتضى أن يعبدوهم معه، فينذروا لهم، ويذبحوا لهم، ويصرفوا لهم شيئاً من العبادات، أو يعتقدوا فيهم نوعاً من السر خلاف الأسباب الطبيعية، نسأل الله العافية.

س: لو أن إنساناً أمرته زوجته وهو يحبها أن يشتري لها تلفزيوناً أو ولده، فأطاعها أو أطاعه بدافع المحبة لزوجته أو ولده، هل يدخل بذلك في باب المحبة الشركية؟

ج: هذا من باب المعاصي، فحب الزوجة أو الولد من الحب الطبيعي، ولكن هذا الحب الطبيعي إذا حمل على المعصية حرم؛ فحبه لولده مثلاً دعاه إلى أن يعطيه أموالاً يفعل بها ما لا ينبغي، كشراء الخمر، أو شراء التلفزيون، أو شراء الدخان، ومثل ذلك حبه للزوجة جعله يتساهل في خروجها كاشفة سافرة أو متعطرة، أو دعاه إلى التساهل معها في شراء التلفزيون، أو =

....

= شرب الخمر، أو التدخين، أو ما أشبه ذلك من المعاصي، فهذا حب طبيعي حمله على المعصية، فيحرم.

س: ألا يدخل في الشرك؟

ج: لا، لا يدخل في الشرك، فهذا مثل حب السلطان، فحب السلطان أو الخوف منه قد يحمله على أن يطيعه في المعاصي.

س: إذا كان والد الشخص يشرب الدخان والابن صالح، ثم أمره الوالد أن يشتري له دخاناً، فهل تجب طاعته؟

ج: طاعة الوالد إنما تكون في المعروف، فإذا أمره بمعصية يقول: يا أبت، أنا أحب لك كل خير، وبرك واجب علي، لكن الرسول ﷺ فوق الجميع وقد قال: «إنما الطاعة في المعروف»[1]، وهذا يا والدي ليس من المعروف، بل هذا مما يضرك في الدنيا والآخرة، ولا أستطيع أن أؤمن هذا الشيء لك؛ لأنه تأمينه لك معناه معصية للرسول، فلا يجوز أن أطيعك في شيء يكون معصية للرسول.

وهكذا، فيجب أن ينصحه بأسلوب طيب، ولا يطيعه في هذا، لكن يكون بالأساليب الحسنة مثل ما قال الله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥] والشرك أشد من ذلك، فالله قال مع المشركين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ =

(١) أخرجه البخاري: الأحكام (٧١٤٥)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠).

....

= عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥].

فلو جاهداك وقالا: أشرك بالله، أو اعبد المسيح، أو اعبد كذا، أو اعبد البدوي، فمع هذا كله عليه أن يصاحبهما في الدنيا معروفاً، وعليه أن يرفق بهما وينصح لهما، ويتكلم معهما بالكلام الطيب، ويوجههما إلى الخير، ويبين لهما أن هذا منكر، وأن هذا شرك، أو أن هذا معصية على حسب الأحوال، بالأسلوب الذي يرجى فيه النفع من غير عنف ولا شدة على والده ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣].

س: أب صالح وله أولاد والعياذ بالله غير صالحين؟

ج: يبتعد عنهم، فأرض الله واسعة، فلينتقل إلى محل آخر، فإنسان لا يستطيع أن يحكم عليهم فليبعدهم حتى يستريح من شرهم، فإن هداهم الله وإلا فالنار لها ملؤها.

۞ وهذا كُلُّه مضمونُ شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمداً رسولُ الله، فأيُّ شيءٍ فُسِّرَ به الصراطُ المستقيمُ، فهو داخلٌ في هذين الأصلينِ، ونكتةُ ذلك أن تحبَّه بقلبك كلِّه، وتُرضِيه بجُهدِكَ كلِّه؛ فلا يكون في قلبكَ موضعٌ إلا معمورٌ بحبِّه، ولا يكون لك إرادةٌ إلا متعلقةً بمرضاتِه، فالأولُ يحصُل بتحقيق شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، والثاني يحصُل بتحقيقِ شهادةِ أن محمداً رسولُ الله[1]. [٥٤]

[شرح٥٤] الأول: وهو أن يكون القلب معموراً بحب الله ﷻ، وهذا يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فإذا تأمل أن هذا المعبود بحق هو الله سبحانه الذي أحسن إليه، وأعطاه ما أعطاه من الخيرات، وصرف عنه الشرور، وأعطاه العقل والسمع والبصر والصحة، وأعطاه النعم الكثيرة إذا تأمَّل في نعم الله وإحسانه إليه.

وأعظم هذه النعم أن هداه إلى الإسلام وعرفه بالإسلام، وجعله على بصيرة في الإسلام، فهذا يوجب حبه الكامل ﷻ، =

---

(١) ص٣٧.

....

= فيحبه الحب الكامل بكل قلبه، فلا يبقى في قلبه موضع إلا معموراً بحبه ﷻ على إحسانه وإنعامه، وعلى أنه مستحق للتعظيم والعبادة جل وعلا.

وأما إرضاؤه بجهده كله، فيكون ويتحقق بصرفه جميع قواه في جميع طاعته، واتباع منهج شريعته، وهذا يحصل باتباع الرسول ﷺ، والاستقامة على شريعته، وأن تكون إرادة العبد تابعة لما جاء به الرسول ﷺ.

وبهذا يكون أرضى الله بمتابعة الرسول ﷺ، وأحبه بكل قلبه في إحسانه في العمل، وإخلاصه في العمل، وصدقه في العمل، فيكون القلب معموراً بهذا الحب العظيم الذي ينبعث منه المسارعة إلى الخيرات، والكف عن السيئات، والوقوف عند الحدود تعظيماً لهذا المحبوب، وتقديراً لإنعامه وإحسانه وفضله جلَّ وعلا، وملاحظة لكونه مستحقّاً لأن يعبد من دون أيّ شيء من خلقه، وهذا كله يحصل بتحقيق الشهادتين.

۞ وهذا هو الهُدَى ودينُ الحقِّ، وهو معرفةُ الحقِّ والعملِ به، وهو معرفةُ ما بَعَثَ اللهُ به رسولَه والقيامُ به، فقل ما شئتَ مِن العباراتِ التي هذا آخِيتُها وقُطْبُ رَحَاها.

قال: وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦] هكذا أُثبتَ في نسخةٍ بخطِ شيخنا، ولم يذكرِ الآية(١). [٥٥]

[شرح٥٥] قوله: (شيخنا) يعني: الشيخ محمداً رحمه الله؛ لأن الشارح أحد تلاميذه، فهو حفيده وتلميذه رحمهما الله، وأهل العلم قد يقولون: شيخنا، وإن كانوا لم يلقوه، فيقولون: شيخنا لما انتفعوا به من علومه، وإن كانوا ما لقوه.

---

(١) ص٣٧-٣٨.

۞ قال ابنُ كثيرٍ: يأمرُ تعالى عبادَه بعبادتِه وحدَه لا شريكَ له؛ فإنه الخالقُ الرازقُ المُنعِمُ المتفضِّلُ على خلقِه في جميع الحالاتِ، فهو المستحقُّ منهم أن يوحِّدُوه، ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته.

قلت: هذا أولُ أمرٍ في القرآن، وهو الأمرُ بعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، والنهي عن الشركِ، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١][1]. [٥٦]

[شرح٥٦] قوله: (في القرآن) يعني: المصحف، والمصحف على ترتيب الصحابة، فأول أمر يمر بك في القرآن الأمر بعبادة الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ الآية [البقرة:٢١]، هذا أول أمر في القرآن من حيث هذه الحيثية، أما من حيث النزول فأول أمر ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١].

هذا أول ما نزل، لكن مراد الشارح أول أمر في القرآن من جهة =

---

(١) ص٣٨.

....

= المصحف، من حيث إن القارئ إذا قرأ فيه فأول أمر يمر به بعد الفاتحة، وبعد قراءة أول البقرة، هو ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وأول فعل يمر به في الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالمقصود من هذا بيان عظم شأن هذا الأمر.

۞ وتأمَّل كيف أَمرَ تعالى بعبادتِه ـ أي: فِعلِها خالصةً له ـ ولم يخصَّ بذلك نوعاً من أنواع العبادةِ؛ لا دعاءً، ولا صلاةً، ولا غيرَهما؛ ليَعُمَّ جميعَ أنواع العبادةِ، ونهى عن الشركِ به، ولم يخصَّ أيضاً نوعاً من أنواع العبادةِ بجوازِ الشركِ فيه(١). [٥٧]

[شرح٥٧] ولهذا قال: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦] (شيئاً) نكرة تعمّ كل شيء، فقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٣٦] تقتضي توحيده وإفراده في العبادة، لكن أكد هذا المقام لعظم شأنه بقوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ فنهى عن الشرك تأكيداً لمقام التوحيد، وأن التوحيد لا بد فيه من الإخلاص لله في جميع العبادات.

فلا تسامح في شيء من العبادة كالشرك به في الصلاة أو الصوم أو الذبح أو الخوف أو الرجاء، بل جميع أنواع العبادات كلها يجب أن تكون لله وحده وليس لأحد فيها شركة كائناً من كان.

---

(١) ص٣٨.

۞ وفي هذه الآيةِ واللواتي قبلَها دليلٌ على أنَّ العبادةَ هي التوحيدُ، لأن الخصومةَ فيه، وإلا فكان المشركون يعبدون اللهَ ويعبدون غيرَه، فأُمِروا بالتوحيد، وهو عبادةُ الله وحدَه، وتَركُ عبادة ما سواه[1]. [٥٨]

[شرح٥٨] قوله: «الخصومة فيه» المقصود الخصومة بين الأنبياء وأممهم في توحيد العبادة لله، فليس المقصود الخصومة في الله ربهم، فهم يعرفون ربهم، فالخصومة كانت في تخصيص الله بالعبادة؛ لأنهم كانوا يعبدون الله، ويحجون، ويتصدقون، ويبرون والديهم، ويدعون الله في الشدة، ويخلصون له العبادة، وتلك أنواع من العبادة، ولكن المعنى في التشريك.

---

(١) ص٣٨.

۞ وفيهنَّ دليلٌ على أن التوحيدَ أوَّلُ واجبٍ على المكلَّف، وهو الكفرُ بالطاغوتِ، والإيمانِ بالله المستلزمِ لعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ مَن عَبَدَ غيرَ الله بنوعٍ من أنواع العبادةِ فقد أشركَ، سواء كان المعبودُ ملكاً أو نبياً أو صالحاً أو صنماً.

قال ابنُ مسعود: مَن أراد أن ينظرَ إلى وصيَّة محمدٍ ﷺ التي عليها خاتَمُهُ فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣][1].

ابنُ مسعودٍ: هو عبدُ الله بنُ مسعود بنِ غافِلٍ ـ بمُعجَمةٍ وفاءٍ ـ بنِ حبيبٍ الهُذَليّ، أبو عبد الرحمن، صحابيٌّ جليلٌ من السابقين الأولين، وأهلِ بدرٍ، وبيعةِ الرِّضوان، ومن كبارِ العلماء من الصحابة، أَمَّرَهُ عمرُ على الكوفةِ، ومات سنة اثنتين وثلاثين. =

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٠٥٦)، والطبراني في «الأوسط» (١١٨٦) وفي «الكبير» (١٠٠٦٠).

= وهذا الأثرُ رواه الترمذيُّ وحسَّنه، وابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم، والطبرانيُّ بنحوه، ورواه أبو عُبيد وعَبدُ بنُ حُميدٍ، عن الربيع بن خُثَيم[1].

قال بعضُهم ما معناه: أي: مَن أرادَ أن ينظرَ إلى الوصيةِ التي كأنَّها كُتِبَت وخُتِمَ عليها ثم طُوِيَت، فلم تُغيَّر ولم تُبدَّل؛ تشبيهاً لها بالكتابِ الذي كُتِب، ثم خُتِم عليه فلم يُزَد فيه، ولم يُنقَص؛ لأن النبيَّ ﷺ كَتبَها وختمَ عليها، وأوصى بها، فإن النبيَّ ﷺ لم يوصِ إلا بكتابِ الله، كما قال ـ فيما رواه مسلم ـ: «وإنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتُم به لن تَضِلُّوا: كتابَ الله»[2].

قلت: وقد روى عُبادةُ بنُ الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّكُم يبايعُني على هؤلاءِ الآياتِ الثلاث؟» ثم تلا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] حتى فرغ من ثلاثِ آياتٍ، ثم قال: «مَن وَفَى بهنَّ فأجرُه =

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم: الحج (١٢١٨).

= على الله، ومَن انتقصَ منهنَّ شيئاً فأدركَه اللهُ في الدُّنيا كانت عقوبتُه، ومَن أخَّره إلى الآخرةِ كان أمرُه إلى الله، إن شاءَ أخذَهُ، وإن شاءَ عفا عنه» رواه ابنُ أبي حاتم والحاكمُ وصحَّحه[١]، فهذا يدلُّ على أن النبيَّ ﷺ يعتني بهنَّ، ويبالغُ في الحثِّ على العملِ بهنَّ[٢]. [٥٩]

[شرح٥٩] وهذه الآيات مثل ما تقدم قد اشتملت على أوامر ونواه، ثم قال بعدها الرب: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فدل على عظم شأنها وأنها مشتملة على صراط الله المستقيم، إذ صراط الله هو اتباع الأوامر وترك النواهي.

والآيات ذكر فيها جملة من الأوامر وجملة من النواهي، فصراط الله سبحانه المستقيم، هو الأخذ بالأوامر وترك النواهي عن إخلاص، وعن إيمان، وعن رغبة ورهبة، هذا هو صراط الله =

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٠٧٧)، والحاكم في «المستدرك»: التفسير (٢/ ٣١٨). وانظر «مسند أحمد» (٥/ ٣١٤).

(٢) ص٣٨-٣٩.

....

= المستقيم، وأعظم من ذلك توحيده، والإخلاص له، وترك الإشراك به، ثم تطيع الأوامر الأخرى التابعة للتوحيد، وتترك النواهي التابعة للشرك.

فالمعاصي فروع الشرك والكفر، والطاعات فروع التوحيد والإيمان، فصراط الله المستقيم، وتوحيد الله، والإخلاص له، وترك النواهي، وفعل الأوامر، فعل أوامر الله كالصلاة وما بعدها، وترك نواهي الله من العقوق والقطيعة والقتل واليمين الغموس ونحو ذلك مما جاءت به النصوص، وهذا هو صراط الله المستقيم، أوامر تنفذ، ونواهٍ تترك عن إيمان صادق، وعن إخلاص لله، وعن متابعة صادقة للرسول عليه الصلاة والسلام، هذا هو صراط الله المستقيم، من سار عليه نجا، ومن تخلف عن ذلك هلك.

وفي «الصحيح» عن عبد الله بن أبي أَوفَى أنه سئل: هل أوصى رسول الله؟ قال: نعم، أوصى بكتاب الله[1].

فالنبي ﷺ أوصى بكتاب الله، ووصيته التي كأنها ختمت لو =

(١) أخرجه البخاري: الوصايا (٢٧٤٠)، ومسلم: الوصية (١٦٣٤).

....

= وقعت لم تخرج عن هذا، فإنه إنما يوصي بكتاب الله، وما دلَّ عليه كتاب الله، وما يرضي الله ﷻ، وقد هَمَّ أن يوصي وقال: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً» فاختلفوا وكثر اللغط، عندها قال بعضهم لبعض: إن الرسول ﷺ قد شغله المرض، وقال بعضهم: ائتوه بكتاب، فلما رآهم اختلفوا أمر بإخراجهم وقال: «ما ينبغي عند نبي تنازع»[1].

ثم أفاق من ذلك المرض ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يقدر له أن يكتب هذا الكتاب لحكمة بالغة، فلم يطلب الكتاب بعد ذلك، ولم يكتب الكتاب بعد ذلك، وفي كتاب الله ما يكفي، وفي سنته التي رواها عنه أصحابه وحفظوها عنه ما يشفي ويكفي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكنه وصَّى في آخر حياته ﷺ بالصلاة وبالعناية بملك اليمين[2] وبإخراج المشركين من الجزيرة وبإجازة الوفد كما كان يجيزهم ﷺ[3] =

(١) أخرجه البخاري: المغازي (٤٤٣١)، ومسلم: الوصية (١٦٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه: الجنائز (١٦٢٥)، وأحمد (٦/ ٢٩٠).

(٣) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠٥٣)، ومسلم: الوصية (١٦٣٧).

....

= وأوصى بكتاب الله ﷻ[1].

فالنبي أوصى بالقرآن العظيم فهو طريق السعادة وهو حبل الله المتين، فالمقصود أنه أوصى بأشياء في آخر حياته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعند خروج روحه، ومن ذلك أنه أوصى بالحذر من التأسي باليهود والنصارى واتخاذ المساجد على القبور، فقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[2].

وهنا شيء يجب التنبيه عليه، وهو أن كلام ابن مسعود هذا له أسباب، كما تقدم اختلافهم فيه، فهل أتوا بكتاب يوصي فيه أم لا؟ وجاء في الحديث الصحيح أن ابن عباس قال: إن الرزِيَّة كُلَّ الرزِيَّةِ ما حالَ بين الرسولِ ﷺ والكتاب[3]، فعند هذا قال ابن مسعود ما قال من هذه الكلمات، وأن عدم الكتاب ليس فيه شيء من المصيبة، وأن ربنا حكيم جل وعلا، لو شاء ﷻ لكتب هذا الكتاب.

ثم إن النبي ﷺ أفاق من المرض الذي قال فيه ما قال، فإنه قال =

---

(١) أخرجه مسلم: الحج (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٣٧)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠).

(٣) أخرجه البخاري: المغازي (٤٤٣٢)، ومسلم: الوصية (١٦٣٧)(٢٢).

....

= هذا في يوم الخميس حين اشتد به المرض، ثم أفاق وبقي يوم الجمعة والسبت والأحد، وهو والحمد لله جيد وطيب الصحة، ثم اشتد به المرض يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلم يطلب كتاباً يوم الجمعة، ولا يوم السبت، ولا يوم الأحد بعد ذلك من شدة المرض، ولم يكتب شيئاً في هذا الخصوص.

۞ وعن معاذِ بنِ جبلٍ، قال: كنتُ رَديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: «يا معاذُ أَتدري ما حقُّ الله على العبادِ، وما حقُّ العبادِ على الله؟» فقلت: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «حقُّ الله على العبادِ أن يعبدُوه ولا يشرِكوا به شيئاً، وحقُّ العبادِ على الله ألا يعذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئاً» فقلت: يا رسولَ الله، أفلا أُبَشِّر الناسَ؟! قال: «لا تُبشِّرْهُم فيتَّكِلُوا»، أخرجاه في «الصحيحين»(١).

هذا الحديثُ في «الصحيحين»، وبعضُ رواياته نحو ما ذَكَر المصنِّفُ.

ومعاذُ هو معاذُ بنُ جبلِ بنِ عمرِو بن أَوْسٍ الأنصاريُّ الخَزْرَجيُّ، أبو عبدِ الرحمن، صحابيٌّ مشهورٌ من أعيانِ الصحابةِ، شهدَ بدراً وما بعدَها، وكان إليه المنتهَى في العلمِ بالأحكامِ والقرآنِ ﷺ، مات سنة ثمان عشرةَ بالشامِ(٢). [٦٠]

[شرح٦٠] طاعون عَمَواس قد وقع بالشام وحصل به موتٌ شديد، =

---

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٢٨٥٦)، ومسلم: الإيمان (٣٠).

(٢) ص٣٩.

....

= مات به جمع غفير من الصحابة وغيرهم، مات معه أيضاً في هذا الطاعون أبو عبيدة ابن الجراح، ومات فيه أيضاً يزيد بن أبي سفيان الأمير، مات جماعة من الصحابة وغيرهم في هذا الطاعون، وهو شهادة للمؤمن.

۞ قولُه: (كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ) فيه جوازُ الإردافِ على الدابَّة، وفضيلةٌ لمعاذٍ من جهةِ ركوبِه خلفَ النبيِّ ﷺ.

قوله: (على حمارٍ) في رواية: اسمه عُفَيرٌ، بعين مهملةٍ مضمومة، ثم فاءٍ مفتوحةٍ.

قال ابنُ الصلاح: وهو الحمارُ الذي كان له ﷺ، قيل: إنَّه ماتَ في حجَّةِ الوَداعِ.

وفيه تواضعُه ﷺ للإردافِ، ولركوبِ الحمارِ؛ خلافَ ما عليه أهلُ الكِبْرِ[1]. [٦١]

[شرح٦١] وتواضعه ﷺ أمر معلوم ومشهور، ومن ذلك ركوبه الحمار، فإن كثيراً من الناس لا يستحسن ذلك، ويأنف من ركوب الحمر، والنبي ﷺ ركب الحمار، وركب البغل، وركب الفرس، وركب المطية: الناقة، وركب هذا كله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهو سيد المتواضعين وأشرفهم وإمامهم، عليه الصلاة والسلام.

ومن تواضعه أيضاً إردافه، فإن كثيراً من الناس لا يستحسن =

---

(١) ص٣٩-٤٠.

....

= ويأنف من أن يكون له رديف على دابته، ومع هذا هو أردف ـ عليه الصلاة والسلام ـ أردف معاذاً، وأردف غير معاذ في قصص كثيرة، وركب معه بعض أولاد أولاده وأقاربه، مرة كان راكباً معه الحسن أو الحسين وعبد الله بن جعفر أحدهما أمامه والآخر خلفه[1].

فقد كان من سنته وطريقته ﷺ التواضع، وخُلقه التواضع، عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك محادثته لرديفه كما حدَّث معاذاً، وتكلم مع غيره أيضاً، فكان يخاطب ويحادث ويفيد، كل هذا من تواضعه ﷺ وحسن خلقه، اللهم صلِّ وسلِّم عليه.

وفيه أيضاً من الفوائد جواز ركوب الحمار، وطهارة ظهر الحمار، وعرق الحمار فإنه قد يركب الرسول ﷺ وليس على ظهر الحمار شيء، ودل ذلك على جواز ركوب الحمار مطلقاً.

ودل ذلك أيضاً على جواز الإرداف على الدابة، ولا بأس أن يكون عليها شخصان أو ثلاثة إذا كانت تطيق، وليس بها بأس إذا =

---

(١) أخرجه مسلم: فضائل الصحابة (٢٤٢٨).

....

= كانت قوية فلا بأس*.

---

* س: هل أردف إحدى زوجاته؟

ج: نعم، صفية اصطفاها يوم خيبر وحجبها وأردفها[١].

---

(١) أخرجه مسلم: النكاح (١٤٢٧) (٨٧).

۞ قولُه: «أتَدْري ما حقُّ الله على العبادِ» الدِّرايةُ: هي المعرفةُ، وأَخرج السؤالَ بصيغةِ الاستفهام ليكونَ أَوقَعَ في النفس، وأَبلغَ في فَهْم المتعلِّم، فإنَّ الإنسانَ إذا سُئِلَ عن مسألةٍ لا يعلمُها ثم أُخبِر بها بعدَ الامتحان بالسُّؤال عنها، فإنَّ ذلك أَدْعى لفهمِها وحفظِها، وهذا من حُسْن إرشادِه وتعليمِه ﷺ.

وحقُّ الله على العبادِ هو ما يستحقُّه عليهم ويجعلُه مُتحتِّماً، وحقُّ العبادِ على الله معناه: أنه مُتحقِّقٌ لا مَحالةَ، لأنه قد وَعَدَهم ذلك جزاءً لهم على توحيدِه، ووَعْدُه حقٌّ إنَّ الله لا يُخلِف الميعادَ.

وقال شيخُ الإسلام: كونُ المطيعِ يستحقُّ الجزاءَ هو استحقاقُ إنعامٍ وفضلٍ، ليس هو استحقاقَ مُقابَلةٍ كما يستحقُّ المخلوقُ على المخلوقِ، فمِن الناس مَن يقولُ: لا معنى للاستحقاقِ، إلا أنه أَخبرَ بذلك ووَعْدُه صِدْق، ولكنَّ أكثرَ الناس يُثبِتُون استحقاقاً زائداً على هذا كما دلَّ عليه =

= الكتابُ والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٨]، ولكنَّ أهلَ السُّنة يقولون: هو الذي كَتَب على نفسِه الرَّحمةَ، وأَوجَبَ هذا الحقَّ على نفسِه لم يُوجِبْه عليه مخلوقٌ، والمعتزلةُ يَدَّعُون أنه واجبٌ عليه بالقياسِ على الخَلْق، وأنَّ العبادَ هم الذين أَطاعُوه بدون أن يَجعلَهم مُطِيعينَ له، وأنهم يَستحقُّون الجزاءَ بدونِ أن يكونَ هو الموجِبَ، وغَلِطُوا في ذلك، وهذا البابُ غَلِطَت فيه القَدَريَّةُ والجَبْرِيَّة أتباعُ جَهْم، والقَدَريةُ النافيةُ.

قوله: «فقلتُ: اللهُ ورسولُه أَعلَمُ» فيه حسنُ أَدبِ المتعلِّم، وأنه يَنبَغي لمن سُئِلَ عمّا لا يَعلَمُ أنْ يقولَ ذلك، بخِلَاف أَكثرِ المتكلِّفين.

قولُه: «أن يعبدُوه ولا يشرِكُوا به شيئاً» أي: يوحِّدوه بالعبادة وحدَه ولا يشركُوا به شيئاً، وفائدةُ هذه الجملة: بيانُ أن التجرُّدَ من الشركِ لا بدَّ منه في العبادةِ، وإلا فلا يكون العبدُ آتياً بعبادةِ الله بل مشركٌ، وهذا هو معنى قولِ =

= المصنِّفِ: (إنَّ العبادةَ هي التوحيدُ؛ لأن الخصومةَ فيه)[1]، وفيه معرفةُ حقِّ الله على العباد، وهو عبادتُه وحدَه لا شريكَ له.

فيا مَن حقُّ سيِّدِه الإقبالُ عليه، والتوجُّه بقلبِه إليه، لقد صانَك وشَرَّفك عن إذلال قلبِك ووجهِك لغيره؛ فما هذه الإساءَةُ القبيحةُ في معاملتِه مع هذا التشريفِ والصيانةِ؟ فهو يعظِّمُك ويَدعُوك إلى الإقبال، وأنت تأبَى إلا مُبارزتَه بقبائحِ الأفعالِ.

في بعض الآثارِ الإلهية: إنِّي والجنَّ والإنسَ في نبأٍ عظيمٍ؛ أخلُق ويُعبَدُ غيري، وأرزُقُ ويُشكَر سواي، خيري إلى العباد نازلٌ، وشرُّهم إليَّ صاعدٌ، أَتحبَّب إليهم بالنِّعَم، ويتبغَّضُون إليَّ بالمعاصي"[2]."[3] [٦٢]

[شرح٦٢] هذا من الآثار الإسرائيلية، والمعنى عظيم، ولا شك أن =

---

(١) سلف في الفقرة [٥٨]، ص١٧١.

(٢) انظر «شعب الإيمان» للبيهقي (٤٢٤٣).

(٣) ص٤٠-٤١.

....

= ما بين العبد وبين ربه نبأ عظيم، وخبر عظيم، خلقهم ورزقهم، وأحسن إليهم، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول، والأدوات التي بها ينتفعون ويدفعون الضرر عن أنفسهم ويستفيدون، ومع ذلك أعرض أكثرهم عنه سبحانه، وصرفوا العبادة لغيره ﷻ، فهذا نبأ عظيم، وبعضهم أيضاً، بل أكثرهم، شكر غيره على نعمه ونسي فضله وإحسانه ﷻ.

والعبادة كما تقدم هي التوحيد؛ ولهذا قال ابن عباس في ذلك: إن العبادة هي التوحيد؛ لأن المقصود هو تخصيص الله بها، وليس المقصود أن يعبد فقط ولو لم يخص بها، لا، فالمشركون يعبدونه، ولكن يعبدون معه سواه، فالمقصود بالأمر تخصيصه بالعبادة.

أما لو كان الاشتراك يكفي فقد كانت قريش وغير قريش تعبده بنوع اشتراك، فقد كانت تعبده بالحج، وتعبده بالصدقات، وتعبده بذكره إلى غير ذلك، وتعبده أيضاً بخوفه تارة وبرجائه تارة، وتعبده في الشدائد بالإخلاص له بالعبادة والدعاء، وما نفعهم ذلك، حتى يعبدوا الله وحده في الشدة والرخاء. =

....

= فلا بد أن تكون العبادة تامةً لله جلَّ وعلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] يعني: في كل وقت، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦] في كل وقت وفي جميع العبادات.

فليس المعنى أن تعبده وحده في الصلاة فقط، أو في الصوم فقط، ثم تشرك به فيما دون ذلك، كلا، بل أن تعبده وحده في كل شيء، في الصلاة، في الصوم، في الدعاء، في الخوف، في الرجاء، في الحج إلى غير ذلك.

فالمقصود أن العبادة هي توحيده في جميع أنواع العبادة وتخصيصه بها عن كل ما سواه ﷻ، وبهذا بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الخليقة ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [إبراهيم:٥٢] ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ [هود] وفي حديث معاذ المتقدم: «حقّ الله على العبادِ أن يعبدُوه ولا يشرِكُوا به شيئاً».

فالمقصود من ذلك أن توجه القلوب إليه، وأن يقصد بالعبادة =

....

= والتعظيم، والخوف والرجاء، والاعتراف بأنه مستحق للعبادة لا سواه، فلو عبده ولكن يرى أن غيره يستحق العبادة ما نفعه ذلك، فالإيمان الحق يكون بالإقرار بأنه مستحق للعبادة دون كل ما سواه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ في سورة الحج [الآية٦٢]، وكذلك في سورة لقمان [الآية ٣٠]: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾.

فالحاصل أن العبادة التي بحق تكون لله وحده، وأما ما يدعون معه سواه فيدعونه بالباطل، فالمعبودون في الجاهلية كمن عبد اللات أو العزى أو مناة أو الأصنام الأخرى في أي مكان، أو المعبودون في القرون المتأخرة، كمن عَبَدَ الرسولَ أو عَبَدَ الحسينَ أو عَبَدَ البدويَّ أو عبد ابنَ عَلْوان أو عبد غير ذلك أو عبد المرسي أو عبد الشيخ عبد القادر الجيلاني أو عبد ابن عربي أو ما أشبه ذلك، كلهم عبدوا بالباطل.

فكل من عُبِد في الدنيا فقد عُبِد بالباطل، فإن المعبود بحق هو الله وحده ﷻ، ووجب على جميع المكلفين أن ينتبهوا لهذا، وأن =

....

= يعلموا أن ربهم ﷻ هو المستحق لأن يعبدوه دون ما سواه في الشدة والرخاء جميعاً *.

---

* س: من يكون الشيخ عبد القادر الجيلاني؟

ج: فقيه من العلماء الحنابلة، حنبلي العقيدة من الطبقة السادسة[1]، متأخر، له تصوف، وله أعمال اجتهادية وزهد وورع، غلط بعض الجهلة من المساكين الذين ليس لهم علم ولا بصيرة فعبدوه من دون الله، ونذروا له، واستغاثوا به، وزعموا أنه يتصرف في الكون.

س: هل مجرد حفظي لآيات القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الثابتة عن الرسول ﷺ كافٍ في أن أجيب عن كل سؤال، أم لا بد من الرجوع إلى فهم السلف الصالح في معنى الآيات وفي معنى الأحاديث؟

ج: لا بد من الرجوع إلى كلام النبي ﷺ وكلام الصحابة وكلام أهل العلم وكلام أهل اللغة العربية، أعني كتب الغريب وكتب اللغة، ليستعين بذلك على فهم كتاب الله؛ لأن لغة الناس ليست مطابقة لكلام الله جل وعلا، فقد تغيرت اللغة وتغيرت الأحوال، ثم إن فهم الناس يختلف، فقد يغلط كثيراً. =

---

(١) ولد سنة ٤٧١هـ، وتوفي سنة ٥٦١هـ.

....

= فلا بد أن يستعين في فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ بمن قبله من أهل العلم والإيمان، وبما قاله الصحابة رضي الله عنهم في فهم كلام الله وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا أشكل عليه أيضاً كلام العلماء وكلام الصحابة رجع إلى معاجم اللغة وما ورد في الغريب، حتى يستعين بذلك على فهم ما دل عليه كتاب الله، وما جاء في السنة عن الرسول ﷺ.

وأما مجرد اعتماده على فهمه فقط فلا يجوز، فهذا سيغلط كثيراً ويسيء كثيراً.

س: ما حكم الأحاديث الإسرائيلية، والتي لا تحتوي على أسانيد ؟

ج: حدثوا عنهم ولا حرج، في بعض الآثار.

س: الحديث القدسي هو كلام الله باللفظ والمعنى أم بالمعنى فقط؟

ج: قد يكون بالمعنى وقد يكون باللفظ، لكن الغالب أن يكون بالألفاظ، وأما ما في السنة فعلى ما قاله النبي ﷺ فالأصل هو اللفظ، وأما في آثار بني إسرائيل فقد يروى بالمعنى، قد يرويه الناس بالمعنى.

س: إن ثبت، لفظاً ومعنى؟

لأن الرسول ينقله عن الله تعالى، مثل: «يا عبادي إني حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا...»[1]، كل هذا كلام الله نقله =

(١) أخرجه مسلم: البر والصلة (٢٥٧٧).

....

= رسول الله ﷺ.

س: هل الأحاديث القدسية كالقرآن؟

ج: كلا، ليست كالقرآن، فالأحاديث القدسية ليست للإعجاز، ولكن للبيان والإيضاح والأحكام والتوجيه.

س: إذا كان الحديث من قول النبي ﷺ والمعنى لله كان الحديث قدسياً، وإذا كان الحديث لله معنى وقولاً صار قرآناً؟

ج: لا، ليس بلازم، القول والمعنى لله على ما جاء بالنص، وأما القرآن فقد أنزل على نبينا بالإعجاز، وإقامة الحجة على المشركين وعباد غير الله بأسلوبه الخاص، وعباراته الخاصة، وآياته الخاصة، وسوره الخاصة، فهذا هو القرآن الذي سماه الرسول بالقرآن وبلغه إلى الأمة، وأخبر أنه وحي الله وكتابه المبين المعجز والمستمر إلى تعاقب السنين، هذا الذي بلغه الرسول ﷺ للصحابة، وبلغه الصحابة لنا، والقرآن بسوره وآياته غير الأحاديث القدسية التي نقلها الرسول ﷺ.

وقد فصل النبي بينهما، فأمر بكتابة القرآن وحفظه، وأن توضع آية كذا في مكان كذا في سورة كذا، وأما ذكر الأحاديث فقد كان منتشراً متفرقاً، وفيها بعض العظات والأخبار عن الماضين وما أشبه ذلك، فهو من باب العظة والذكرى والتوجيه إلى الخير والتحذير من الشر.

۞ وكيف يَعبدُه حقَّ عبادتِه مَن صَرَف سؤالَه ودعاءَه وتَذَلُّلَه واضطرارَه وخوفَه ورجاءَه وتوكُّلَه وإنابتَه وذبحَه ونذرَه لمن لا يَملِكُ لنفسِه ضُرّاً ولا نَفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً، مِن ميتٍ رَمِيمٍ في الترابِ، أو بناءٍ مشيَّدٍ مِن القِبابِ، فضلاً مما هو شَرٌّ مِن ذلك؟!(1). [٦٣]

[شرح٦٣] هذا شرك بهؤلاء الذين هم في التراب، أو في بناء مشيد من القباب، وقد عبد هؤلاء عابدوهم بشبهة الصلاح، وأنهم من عباد الله الصالحين، فكيف بحال من كان ليس كذلك ممن يعبد صورة الأسد أو النمر أو الذئب أو ما أشبه ذلك، أو يعبد أصناماً أخرى مصورة على صورة فراعنة أو غيرهم أو ما أشبه ذلك، فإذا كان من عَبَدَ الصالحين والأنبياء قد أشرك بالله فالذي عبد الأصنام والأوثان الأخرى والتي لا صلاح لها، أولى بالشرك، نعوذ بالله.

فالمشركون أقسام كثيرة، فمنهم عباد الأنبياء، وعباد الصالحين، وعباد الأصنام، وعباد الأشجار، وعباد الكواكب والنجوم، وعباد الملائكة، إلى غير ذلك من أقسام كثيرة يجمعهم الشرك بالله ﷻ.

---

(١) ص٤١.

۞ قولُه: «وحقّ العبادِ على الله أن لا يعذبَ مَن لا يشرِكُ به شيئاً» قال الخَلْخالي: تقديره ألا يعذِّبَ مَن يعبدُه ولا يشركُ به شيئاً، والعبادةُ هي الإتيانُ بالأوامر، والانتهاءُ عن المناهي؛ لأن مجرَّدَ عدمِ الإشراكِ لا يقتضي نفيَ العذابِ، وقد عُلِم ذلك من القرآنِ والأحاديثِ الواردةِ في تهديدِ الظالمينَ والعصاةِ(١). [٦٤]

[شرح٦٤] لماذا سُميَت هذه الأمور عبادة؟ لماذا سمي أداء الأوامر واجتناب النواهي لله وحده عبادة؟

العبادة، أي: التذلل وإتيان الأوامر، وترك النواهي لله؛ تذلل له، وتعظيم له، وخضوع له، نعم، سميت عبادة لهذا المعنى، فالوظائف التي على العباد من فعل الأوامر وترك النواهي سميت عبادة؛ لأنها تؤدى بالخضوع والذل لله ﷻ، والعرب تسمي الخضوع عبادة، والذل عبادة، يقولون: طريق مُعبَّد مذلَّل، أي: وطئته الأقدام، ويقولون: بعير مُعبَّد مذلَّل، يعني رحل وشد عليه؛ فالتعبد: التذلل والخضوع، فالعبادة فيها تذلل وخضوع لله، بفعل =

---

(١) ص٤١.

....

= أوامره وترك نواهيه عن إيمان به وإخلاص له ﷻ.

وهكذا سمي الخلق عباداً، سمي الجن والإنس عباداً؛ لأنهم أذلاء لله في قبضته وتحت تصرفه ﷻ، فهم أذلاء في قبضة ربهم ﷻ وملكه سبحانه؛ وبهذا سمي المملوك عبداً؛ لأنه في قبضة سيده، يتصرف فيه ويأمره وينهاه؛ فسمي عبداً، والناس كلهم عبيد لله ﷻ، أحرارهم وعبيدهم، كلهم عبيد لله؛ لأنهم في ملكه وقبضته وتحت تصرفه ﷻ وأمره ونهيه ﷻ.

۞ وقال الحافظ: اقتصرَ على نفي الإشراكِ؛ لأنه يستدعي التوحيدَ بالاقتضاء، ويستدعي إثباتَ الرسالةِ باللزوم؛ إذ مَن كَذَّب رسولَ الله فقد كَذَّب اللهَ، ومن كذب الله فهو مشركٌ، وهو مثلُ قولِ القائلِ: مَن توضَّأَ صحَّت صلاتُه، أي: مع سائرِ الشروطِ؛ فالمرادُ مَن مات حالَ كونِه مؤمناً، بجميع ما يجب الإيمان به.

قلت: وسيأتي تقريرُ هذا في الباب الذي بعدَه إن شاء الله تعالى[1]. [٦٥]

[شرح٦٥] المقصود هذا: أن ما جاء من النصوص التي فيها ذكر دخول الجنة بعدم الشرك، أو دخول الجنة بالتوحيد، مراده مع التزام بقية الأمور، وليس مراده أنه من وحد الله ولم يشرك به في صلاة أو صوم أو دعاء، ثم تلطخ بالمعاصي والشرور الأخرى، فهذا موعود بالجنة والسلامة من العقاب ولو فعل ما فعل؛ بل لا بد من مراعاة النصوص الأخرى.

فمن وحد الله وترك الإشراك به فهو مسلم، وهو موعود بالجنة =

---

(١) ص٤١.

....

= في الجملة ما لم يأت بأشياء تمنع من دخولها، أو توجب العذاب، فهذه الأشياء معروفة من الدين بالضرورة، وأن الرب ﷻ أوجب على عباده أشياء، ونهاهم عن أشياء، فلا يكونون مستحقين للجنة والكرامة والسلامة إلا بفعلهم ما أُمروا به، وتركهم ما نهوا عنه، مضافاً إلى توحيد الله والإخلاص له.

وقوله في الحديث الصحيح: «مَن لقي اللهَ ولم يُشرِك به شيئاً، دخل الجنة»[1] وما أشبه ذلك، وهذا مطلق، معناه مع مراعاة الحقوق الأخرى التي أوجبها الله عليه، فإذا لم يراعها ولم يؤدها فهو معرض للوعيد ومعرض للعذاب؛ ولكن من فعل التوحيد الخالص، ومن شأن أهل الإيمان الخالص أن يضيفوا إلى التوحيد الحقوق الأخرى وألا يضيعوها؛ لأن إيمانهم يدعوهم إلى ذلك.

ومن شأن من ترك الشرك دقيقه وجليله أن يكون قد أدى الحقوق؛ لأن متابعة الهوى نوع من الشرك الخفي، والذي ترك الأوامر أو بعضها، أو ارتكب بعض النواهي، ما أخلص لله =

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٩)، ومسلم: الإيمان (٣٢).

....

= الإخلاص الكامل، وما ترك الترك الكامل؛ بل قد جعل لنفسه وهواه قسطاً من العبادة؛ حيث تابع هواه في الزنى والخمر وفي كذا، فهذا نوع من الشرك الخفي، أو نوع من الأعمال التي توجب دخوله النار بسبب عصيانه، وعدم قيامه بالواجب.

الحاصل أن تحقيق التوحيد كما يأتي يتضمن هذا؛ وأن العبد لا يكون مسالماً من دخول النار ولا يكون آمناً من دخولها إلا إذا اجتهد في أداء واجب الله وترك محارم الله؛ فإن مات مُصِرّاً على بعض الكبائر، صار معرضاً للوعيد وعلى خطر من دخول النار إلا أن يعفو الله عنه؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وما دون الشرك تحت مشيئة الله ﷻ فليس آمناً مقطوعاً له بالنجاة؛ لكنه غير مخلد في النار؛ فلو دخلها لا يخلد فيها إذا مات على التوحيد الخالص وعلى ترك الشرك؛ فهو آمن من الخلود في النار؛ لكنه غير آمن من التعذيب بسبب ما مات عليه من معاصٍ غير تائب؛ لأن الله وعدهم بالعذاب فجاء في السنة وعدهم =

....

= بالعذاب إذا مات على المعاصي؛ فينبغي أن يعلم هذا وأن يكون هذا؛ بل حتى لا يظن ظان أن مجرد توحيده لله في أي عمل من الأعمال يكفيه، وأنه يتلطخ بما شاء من معاصٍ ـ ولا يبالي ـ وأنه آمن؛ بل هو ليس بآمن؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرِقُ السارِقُ حينَ يسرِقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشرب الخمرَ حين يشرَبُها وهو مؤمنٌ، ولا ينتَهِبُ نُهبَةً ذاتَ شرفٍ يرفعُ الناسُ إليه فيها أبصارَهم، حين ينتَهِبُها وهو مؤمنٌ؛ وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم»[1]، هذه أشياء تدل على ضعف الإيمان وانتفاء كماله الذي لا ينتفي معه أصل الإسلام والانتفاء من الكمال الواجب وإن كان معه أصل الإسلام.

والحاصل أن ما جاء به من وعيد في هذه المسائل كلهم يدلون على أنه لا بد من تمام الإيمان في حق الموحد، وأنه لا يتم له النجاة ولا يسلم من الخطر إلا إذا جاهد نفسه بأداء الواجبات =

(١) أخرجه البخاري: الأشربة (٥٥٧٨)، ومسلم: الإيمان (٥٧)، دون قوله: «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم» وقد ورد ذلك في حديث آخر عند مسلم: الإيمان (٥٩) ولفظه: «آية المنافق ثلاث... وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم».

....

= وترك المحارم*.

* س: هل ترك الإشراك يستدعي التوحيد لله؟

ج: ترك الشرك يقتضي توحيد الله وإخلاصه؛ لأن المقصود بترك الشرك هو توحيد الله، ولو أنه ترك الشرك فما عبد صنماً ولا وثناً ولكنه أيضاً ما عبد الله ولا خصه بالعبادة؛ بل أعرض عن الله وأعرض عن غيره فلا يكون مسلماً حتى يوحد الله، ويدعوه، ويخصه بالعبادة سبحانه، ويؤمن بإفراده وعظمته، ويؤمن بأنه ربه، والإله الحق، فنهى الله عن الشرك، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦] معناه: أنه قد استكمل التوحيد، واعترف به لله، وترك الإشراك. وترك الشرك يقتضي أن يوحد الله ويخصه بالعبادة وحده، ولا يكفي ترك الشرْك بدون توحيد لله وبدون تعظيم له، ومن دون إيمان به كما جاء في النصوص الأخرى، والنصوص تفسر بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً، فالنصوص يفسر بعضها بعضاً في الإيمان بالله وتوحيده والإقرار بالشهادتين إلى غير هذا من الإسلام والإيمان، وما جاء في النصوص بالطاعات الواجبة والمعاصي المحرمة.

وهكذا يستلزم بذلك أيضاً الإيمان بالرسول ﷺ، وقوله ﷺ: «مَن مات لا يُشرِك بالله شيئاً دخلَ الجنةَ»[1] يعني: مع إيمانه بالله ورسوله، =

(١) أخرجه البخاري: الجنائز (١٢٣٧)، ومسلم: الزكاة (٩٩١)(٣٣).

....

= والإيمان بما طلب الله رسوله، والإيمان بما جاءت به الشريعة، وهذا أمر مقطوع به لا شك فيه عند أهل العلم جميعاً، ولو أنه وحد الله وخصه بالعبادة، لا يدعو إلا إياه، ولا يصلي إلا له، ولكنه لا يؤمن برسول الله ﷺ، ولا يصدق الرسول؛ فهو كافر بالله عند أهل العلم قاطبة بنص القرآن، لأنه كذب بالله؛ فصلاته وصومه ودعاؤه لا ينفعه، حتى ولو كفر بواحد من المرسلين، فلو قال: أصلي وأصوم وأومن بكل ما جاء به الرسول ﷺ إلا نوحاً لا أومن به، كفر عند أهل العلم قاطبة؛ لأنه كذب الله بما جاء في كتابه العظيم وكذا إذا قال: لا أومن بهود أو بصالح أو بإبراهيم أو بإسماعيل أو بلوط أو ما أشبه ذلك.

فالمقصود: من كذب رسولاً فقد كذب المرسلين جميعاً؛ ولهذا قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، وصفهم بأنهم كذبوا المرسلين وما كذبوا إلا نوحاً فمن كذب واحداً فكأنما كذب الرسل جميعاً نسأل الله السلامة.

س: ويفسر هذا قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]؟

ج: هذا فيه من المعنى، يعني: الواجب دخولهم في دين الله جميعاً كذلك قول الله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠]، ومن هذا الباب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥١]، فمن آمن ببعض وكفر ببعض فقد كفر حقاً.

۞ قوله: (أفلا أُ بَشِّر الناسَ) فيه استحبابُ بشارةِ المسلم بما يَسُرُّه، وفيه ما كان عليه الصحابةُ مِن الاستبشارِ بمثلِ هذا، نبَّه عليه المصنِّفُ.

قولُه: (قال: «لا تُبشِّرْهُم فيتَّكِلُوا»)، وفي رواية: «إنِّي أخافُ أن يتَّكِلُوا»[1] أي: يَعتمِدُوا على ذلك، فيتركُوا التنافسَ في الأعمال الصالحةِ، وفي رواية: فأَخبرَ بها معاذٌ عندَ موتِه تأثماً[2]، أي: تحرُّجاً من الإثم.

قال الوزير أبو المُظَفَّر: لم يكن يَكتُمها إلا عن جاهلٍ يحملُه جَهلُه على سوءِ الأدبِ بتركِ الخدمةِ في الطاعة؛ فأما الأكياسُ الذين إذا سَمِعُوا بمثلِ هذا اجتهدُوا في الطاعة، ورأَوا أن زيادةَ النِّعمِ تستدعي زيادةَ الطاعةِ؛ فلا وجهَ لكِتْمانِـها عنهم[3]. [٦٦]

[شرح٦٦] والمقصود أن بعض الناس قد يكون ما عندهم الإيمان، =

---

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري: العلم (١٢٨)، ومسلم: الإيمان (٣٢).

(٣) ص٤١.

....

= وما عندهم البصيرة النافذة، إذا سمع أحاديث التبشير قد يتكل عليها، أو يترك الجد في العمل، والمنافسة في الأعمال الأخرى، فقال ﷺ لمعاذ هذا الكلام.

ثم إنه ﷺ بيَّن ذلك في أحاديث كثيرة: في حديث أبي هريرة[١]، وفي حديث عُبادة بن الصامت[٢]، وفي حديث عِتْبان[٣]، وغير ذلك، فبيَّن ﷺ أن من أتى بالتوحيد فقد وعده الله النجاة؛ فكان له الجنة على ما كان من عمل، فالله حرَّم النار على مَن قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجهَ الله. إلى غير ذلك.

فالرسول ﷺ بيَّن هذا، وأوضح للأمة جميعاً، ثم بقي لكتمانه بعد ذلك وجه، كان هذا ـ والله أعلم ـ في أول الأمر، أو لأسباب خاصة، ثم بين ذلك للأمة عليه الصلاة والسلام، وأوضح للأمة، حتى عرفوه على بيِّنة، ولم يبق هناك شبهة في هذا الباب؛ لأن =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٣١).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٩).

(٣) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٧) (٢٦٣).

....

= المقصود هو أداء الفرائض، وترك المحارم عن إخلاصٍ لله، وعن توحيدٍ له، وعن إيمانٍ به ﷻ *.

---

* س: حديث: «الكَيِّسُ مَن دان نفسَه...»[1]؟

ج: المشهور فيه أنه من رواية أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، وهو ضعيف، والحديث مشهور أنه ضعيف من حيث الإسناد، إلا أنه يوجد له سند آخر؛ لكن الإسناد المعروف الذي نعرفه عند أحمد وغيره، أنه من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، وهو ضعيف؛ لكن إذا وجد له سند آخر فممكن، لكن هو بهذا الإسناد المشهور ضعيف.

---

(١) أخرجه الترمذي: صفة القيامة (٢٤٥٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٢٦٠).

۞ وقال الحافظُ: دلَّ هذا على أن النهيَ عن التبشيرِ ليس على التحريمِ، وإلا لَـمَا أخبرَ به أصلاً، أو أنه ظَهَر له أن المنعَ إنما هو من الإخبارِ عموماً؛ فبادر قبلَ موتِه فأخبرَ بها خاصّاً مِن الناسِ.

وفي البابِ من الفوائدِ غيرُ ما تقدَّم:

١- التنبيهُ على عَظَمة حقِّ الوالدينِ.

٢- وتحريمُ عُقوقِهما.

٣- والحثُّ على إخلاصِ العبادةِ لله تعالى.

٤- وأنها لا تَنفَعُ مع الشركِ ؛ بل لا تُسمَّى عبادةً شرعاً.

٥- والتنبيهُ على عَظَمةِ الآياتِ المحكَماتِ في سورةِ الأنعام، ذَكَره المصنِّفُ.

٦- وجوازُ كِتْمانِ العلمِ للمصلحةِ، ولا سيَّما أحاديثِ الرجاءِ التي إذا سَمِعَها الجهّالُ ازدادوا مِن الآثامِ. كما قال =

= بعضهم:

فأَكثِرْ ما استطعتَ من الخطايا

إذا كانَ القدومُ على كريمِ[(١)] [٦٧]

[شرح٦٧] بعض الناس ليس عندهم تحمّل لبعض الأحاديث؛ فيُخبَر بما يناسبه ليستقيم ويحذر، بخلاف ما إذا كان من أهل العلم والبصيرة فلا يكتم عنه شيء؛ لكن بعض الناس قد لا يود أن يسمع بعض الأحاديث لجهله، وخطر إسرافه على نفسه؛ مثل مَن قد أقبل على المعاصي وانتهاك الحرمات، فهذا لا يُحدَّث بأحاديث الرجاء، والذي غلب عليه اليأس والقنوط لا يحدث بأحاديث الخوف التي تزيده شدة على شدته؛ بل ينبغي أن ينصح بأحاديث الرجاء وفضل الله الواسع؛ حتى يلين، وحتى يرجوَ رحمة الله ﷻ، وحتى لا يقنط ولا ييأس؛ لأن كل مقام له مقال.

وينبغي للواعظ والمذكِّر ونحو ذلك في المقامات الخاصة والمجتمعات الخاصة أن يلاحظ المجتمعين وما يناسبهم مما يعينهم على طاعة الله، ويحذرهم من الوقوع في محارم الله، فيحدث كل =

---

(١) ص٤١-٤٢.

....

= مجتمع أو كل شخص بما يليق به ويناسبه حسب حاله؛ حتى تكون الموعظة في محلها*.

---

* **س: هناك أحاديث تنقل في فضل علي عند الرافضة ويغتر بها بعض الناس؟**

ج: هذا ليس على إطلاقه، ويبين للرافضة أن أهل السنة منصفون، ويبين لهم الأحاديث الصحيحة في علي، فليس فيها شبهة، أما الأحاديث المكذوبة التي لا أساس لها هي التي تغر الناس؛ فيبين في هذه الحال للرافضة وأشباههم الأشياء التي تنفعهم، وربما هداهم الله بها.

س: والجهال الذين لا يفهمون معنى الحديث؟

ج: على كل حال يخاطبون بما يناسبهم ولا يفرض عليهم بالكلية حتى يقولوا: إن هذا من جهلهم وعدم إنصافهم لعلي، وظلمهم له.

س: الإنسان قد يقتنع بمسألة من المسائل ويرى الناس مخالفين لهذه السنة، ويخشى من ظهورها، وفي المقابل هي الموافقة من الكتاب والسنة وما عداه فمن المخالفات؟

ج: ينصح بها إخوانه بالطرق التي يراها مفيدة سواء كانت النصيحة بالإفراد أو بالجماعة، إلا إذا كان يحصل منها شرٌّ عليه أو فتنة أو كذا، فينظر =

....

= الطرق التي يستشير فيها إخوانه، والطرق التي ينبغي إفشاؤها، والطريق التي يحصل بها المقصود لإيضاح هذه السنة.

۞ ٧- وتخصيصُ بعضِ الناسِ بالعلمِ دونَ بعضٍ.

٨- وفضيلةُ معاذٍ، ومنزلتُه من العلم؛ لكونه خُصَّ بما ذُكِر.

٩- واستئذانُ المتعلِّم في إشاعةِ ما خُصَّ به من العلمِ.

١٠- والخوفُ مِن الاتِّكالِ على سَعَةِ رحمةِ الله.

١١- وأن الصحابة لا يعرفون مثلَ هذا إلا بتعليمِه ﷺ، ذَكَره المصنِّفُ.

قوله: (أخرجاه في «الصحيحين») أي: أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»، وإنما أضمرهما للعلم بهما.

والبخاريُّ هو الإمامُ محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الجُعفِيُّ، مولاهُم، الحافظُ الكبيرُ، صاحب «الصحيح» و«التاريخ» و«الأدب المفرد»، وغيرِ ذلك من مُصنَّفاته.

روى عن الإمام أحمدَ بنِ حنبل، والحُميدِيِّ، وابنِ المَدِينيِّ، وطبقَتِهم.

وروى عنه مسلمٌ، والترمذيُّ، والنَّسَائيُّ، والفِرَبرِيُّ =

= راوي «الصحيح»، وغيرُهم.

وُلِدَ سنةَ أربعٍ وتسعينَ ومئةٍ، ومات سنةَ سِتٍّ وخمسينَ ومئتين[1]. [٦٨]

[شرح٦٨] لم يرو عنه مسلم رحمه الله في «الصحيح»، إنما روى عنه في غير «الصحيح»، ولعله أراد بذلك فائدة، وهي أن الحديث الذي يرويه مع ما يرويه البخاري يكون مِن طريقين؛ لأنه لو رواه من طريقه فقط لصار طريقاً واحداً، فأراد أن يستفيد الناس طريقاً آخر، فروى الحديث من غير طريق البخاري رحمه الله، بل من الطرق الأخرى، حتى يتوفر في الحديث الذي روياه سندان فأكثر.

أما لو أنه روى من طريق محمد بن إسماعيل، لكان الحديث الذي رواه البخاري، والحديث الذي رواه مسلم، إنما يكونان بطريق واحد، وهو طريق البخاري رحمه الله، لكننا استفدنا بعمل مسلم طريقاً آخر فأكثر؛ لأنه رواه من طريق شيوخ آخرين غير طريق البخاري رحمه الله.

---

(١) ص٤٢.

۞ ومسلمٌ هو ابنُ الحَجّاج بنِ مُسلِمٍ أبو الحسينِ القُشَيرِيُّ النَّيسابوريُّ، صاحب «الصحيح» و«العلل» و«الوُحْدان» وغيرِ ذلك[1]. [٦٩]

[شرح٦٩] «الوُحْدان» كتاب صغير لمسلم فيمن لم يرو عنه إلا واحد. وما رأيته، لكنه ذكره.

وكل كتب البخاري ومسلم ليست على شرط الصحيح ما عدا «الصحيحين»، فللبخاري كتب كثيرة مثل: «الأدب المفرد» و«التاريخ» و«خلق أفعال العباد» ليست على شرط الصحيح.

فـ«الجامع الصحيح» له شروط خاصة، وهكذا مسلم ـ رحمه الله ـ له كتب أخرى، لكنه لم يلتزم فيها بالصحة، إنما التزم بالصحة في «الصحيح» فقط.

---

(١) ص٤٢.

۞ رَوَى عن أحمدَ بنِ حنبلٍ، ويحيى بنِ مَعينٍ، وأبي خَيْثمةَ، وابنِ أبي شيبةَ، وطبقتِهم.

روى عنه الترمذيُّ، وإبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سفيانَ راوي «الصحيح»، وغيرُهم.

وُلِدَ سنةَ أربعٍ ومئتين، ومات سنةَ إحدى وستين ومئتين بنَيسابورَ، رحمه الله تعالى.

باب فضل التوحيد
وما يكفر من الذنوب

۞ (بابُ) خبرُ مبتدأ محذوفٍ، تقديرُه: هذا (بابُ) بيانِ (فضلِ التوحيدِ)، و(بيانِ ما يُكَفِّر مِن الذنوبِ).

و(ما) يجوزُ أن تكونَ موصولةً، أي: وبيانُ ما يُكفِّرهُ مِن الذنوبِ، ويجوزُ أن تكون مصدريةً، أي: وبيانُ تَكفِيرِه الذنوبَ، وهذا أرجحُ؛ لأن الأولَ يُوهِمُ أن ثَمَّ ذُنوباً لا يكفِّرها التوحيدُ، وليس بمرادٍ.

ولَـمّا ذَكَر معنَى التوحيدِ ناسبَ ذِكرَ فَضلِه وتَكفِيرِه للذُّنوبِ؛ ترغيباً فيه، وتحذيراً مِن الضِّدِّ.

وقولُ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

قال بعضُ الحنفيةِ في «تفسيرِه»: هذا ابتداءٌ.

قال ابنُ زيدٍ، وابنُ إسحاقٍ: هذا مِن الله على فَصْلِ القضاءِ بين إبراهيمَ وقومِه. =

= قال الزَّجّاجُ: سألَ إبراهيمُ وأجابَ بنفسِه.

وعن ابنِ مسعودٍ، قال: لما نَزلَت هذه الآيةُ، قالوا: فأيُّنا لم يَظلِمْ؟! قال عليه السلام: «﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»(١).

وكذا عن أبي بكرٍ الصدِّيقِ أنه فسَّرَه بالشركِ، فيكون الأمنُ مِن تأبيدِ العذابِ.

وعن عُمرَ أنه فسَّره بالذَّنبِ، فيكون الأمنُ مِن كلِّ عذابٍ.

وقال الحسنُ، والكلبيُّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ في الآخرة، ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] في الدنيا، انتهى.

وإنما ذكرتُه؛ لأنَّ فيه شاهداً لكلام شيخِ الإسلامِ الآتي في الحديثِ الذي ذَكَره، [وهو] حديثٌ صحيحٌ في «الصحيح» و«المسند» وغيرِهما.

وفي لفظٍ لأحمدَ(٢)، عن عبد الله، قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ =

---

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٣٢)، ومسلم: الإيمان (١٢٤).

(٢) «المسند» (١/ ٣٧٨).

= ﴿ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] شَقَّ ذلك على أصحابِ رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، فأيُّنا لا يظلمُ نفسَه؟ قال: «إنَّه ليسَ الذي تَعنُونَ، ألَـمْ تسمعُوا ما قالَ العبدُ الصالحُ: ﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] إنما هو الشِّركُ».

قال شيخُ الإسلامِ: والذي شَقَّ عليهم: ظَنُّوا أن الظلمَ المشروطَ هو ظلمُ العبدِ لنفسِه، وأنه لا أَمنَ ولا اهتداءَ إلا لمن لم يَظلِم نفسَه، فبيَّن لهم النبيُّ ﷺ ما دَلَّـهُم على أن الشِّركَ ظلمٌ في كتابِ الله، وحينئذٍ فلا يحصُلُ الأمنُ والاهتداءُ إلا لمن لم يُلبَس إيمانُهم[1] بهذا الظُّلمِ، فمن لم يُلبَس إيمانُه به كان من أهلِ الأمنِ والاهتداءِ، كما كان من أهلِ الاصطفاءِ في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢]، وهذا لا ينفي أن يُؤَاخذَ أحدُهم بظلمِه لنفسِه بذنبٍ إذا لم يَتُب، كما قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ =

(١) قال سماحة الشيخ: أي: يُخلَط، لَبَس يَلبِس من باب ظلم، أما لَبِس يَلبَس كفرح يفرح من لُبس الثوب والعمامة ونحو هذا.

= ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨][1]. [٧٠]

[شرح٧٠] وقوله ﷻ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] إلى غير ذلك.

والحاصل من هذا أن الله جل وعلا حكم بينهما حينما قال: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام:٨١]، فحكم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: أخلصوا ووحَّدوا الرب ﷻ، ثم أكد المقام ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم﴾ لأنهم إذا لَبسوه بالظلم ما كانوا مؤمنين، فأراد الإيضاح، وأنهم لا يكونون مؤمنين حقاً، سالمين من الهلاك، فائزين بالأمن والهداية، إلا إذا سلم إيمانهم، وخلا إيمانهم من الشرك، هؤلاء هم أهل الأمن والاهتداء، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ يخلطوا ﴿إِيمَـٰنَهُم﴾ توحيدهم ﴿بِظُلْمٍ﴾ بشرك ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ هم لم يشركوا الشرك الأكبر المذكور في قوله =

---

(١) ص٤٣-٤٤.

....

= جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

فمن كان سالماً من الشرك الأكبر، ومات على ذلك، فله الأمن وله الهداية، لكن هذا الأمن والهداية لا من كل شيء، بل من الخلود في النار، كحال الكفار.

لكن الأمن لا يكون كاملاً، وكذلك الهداية لا تكون كاملة إلا بسلامتهم من الظلم الآخر، ظلمه لنفسه بالمعاصي، وظلمه للعباد بأنواع الظلم، من نفس أو مال أو عرض.

هذا هو المعروف من النصوص الأخرى، الدالّة على أن من مات وقد تلطخ بظلم العبادِ أو بظلم النفسِ فهو على خطر من عذاب الله، كما قال ﷻ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فعلَّق الغفران لمن سلم من الشرك بالمشيئة، فدل ذلك على أن من مات على ما دون الشرك الأكبر فهو تحت مشيئة الله، قد يعفى عنه لأعمال صالحات، وتقوى وغير ذلك.

وقد يؤخذ بما مات عليه من ظلم لنفسه أو ظلم للعباد، ويُعذَّب على قدر ذلك، بسبب موته على غير توبة. =

....

= والظلم أنواع ثلاثة: ظلم الشرك، وظلم المعاصي، وظلم التعدي على العباد، أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

فإن سلم من أنواع الظلم الثلاثة، صار له الأمن كاملاً، والهداية كاملة، في الدنيا والآخرة، ومن سلم من الظلم الأول وهو الأكبر، أي: الشرك، لكنه مات على شيء من ظلمه العباد، أو ظلمه لنفسه بالمعاصي، فذلك تحت مشيئة الله ﷻ، لكن معه مطلق الأمن، وله مطلق الهداية؛ لأن الله كفاه شر الشرك، فيكون عنده أمن، وعنده هداية، لكنهما غير كاملين إذا لم يسلم من ظلم العباد، وظلم النفس بالمعاصي.

۞ وقد سأَلَ أبو بكرٍ ﷺ النبيَّ ﷺ عن ذلك، فقال: يا رسولَ الله، وأيُّنا لم يعمل سُوءاً؟ فقال: «يا أبا بكرٍ، ألستَ تَنصَبُ؟ ألستَ تَحزَنُ؟ أليس تُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟ فذلك ما تُجزَونَ به»(١).(٢) [٧١]

[شرح٧١] المقصود البلاء الذي يصيب المسلم، وهذا الحديث معروف، والذي يظهر أنه لا بأس به، فهو على قوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]؛ يعني أن الجزاء قد يعجل في الدنيا، فيفضي المؤمن للآخرة وقد سلم، وقد تكون مصائبه في الدنيا من هَمّ وغمّ وحُزن ونصب ومرض ونحو ذلك، قد يكفَّر بها خطاياه، فيفضي للآخرة وهو سليم، ويدل على هذا حديث: «ما يُصِيبُ المسلِمَ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حُزنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتى الشوكَةِ يُشاكُها إلا كَفَّرَ اللهُ بها مِن خطاياهُ»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١١).

(٢) ص٤٤.

(٣) أخرجه البخاري: المرضى (٥٦٤٢)، ومسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٧٣).

۞ فبيَّن أن المؤمنَ الذي إذا تاب[1] دخلِ الجنةَ، قد يُجزَى بسيئاته في الدنيا بالمصائبِ التي تُصيبُه.

قال: فمَن سَلِمَ من أجناسِ الظُّلمِ الثلاثةِ ـ يعني: الظلمَ الذي هو الشركُ، وظلمَ العبادِ، وظلمَه لنفسِه، بما دون الشركـ ـ كان له الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ.

ومن لم يَسلَم مِن ظُلمِ نفسِه، كان له الأمنُ والاهتداءُ مطلقاً، بمعنى أنه لا بدَّ أن يدخلَ الجنةَ، كما وعدَ بذلكَ في الآيةِ الأُخرى، وقد هداه اللهُ إلى الصراطِ المستقيمِ، الذي تكون عاقبتُه فيه إلى الجنة، ويحصُلُ له من نقصِ الأمنِ والاهتداءِ بحسبِ ما نقصَ من إيمانِه بظلمِه لنفسِه[2]. [٧٢]

[شرح٧٢] يقول تعالى في الآية الأخرى التي وعد بها من ظلم نفسه بالجنة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ =

---

(١) في الأصل المطبوع: مات، وما أثبت هو ما ورد في «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٧/ ٨٠).

(٢) ص٤٤.

....

= ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر:٣٢-٣٣] في هذه الآية وعدهم الله الجنةَ بعد أن عدد أنواع الظلم، فأحدهم ظالم لنفسه بالمعاصي، ثم المقتصد الذي أدى الواجبات وترك المحارم، ثم السابق بالخيرات.

فهم أقسام ثلاثة، والله وعد الجميع الجنة، فقدم ذلك على المغفرة ووعدهم الجنة، منهم ظالم لنفسه، وهنا جعل له الأمن والهداية، وهذا بشرط السلامة من الظُّلمَين الآخرين: ظلم العباد، وظلم النفس.

۞ ليس مرادُ النبيِّ ﷺ بقوله: «إنَّما هو الشِّركُ»: أن مَن لم يُشرِك الشِّركَ الأكبرَ يكون له الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ، فإن أحاديثَه الكثيرةَ مع نصوصِ القرآنِ، تبيِّنُ أن أهلَ الكبائرِ مُعَرَّضون للخوف، لم يحصُل لهم الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ الذي يكونون به مهتدينَ إلى الصراطِ المستقيمِ، صراطِ الذين أنعمَ اللهُ عليهم، من غير عذابٍ يحصُل لهم، بل معهم أصلُ الاهتداءِ إلى الصراطِ المستقيمِ، ومعهم أصلُ نعمةِ الله عليهم، ولا بُدَّ لهم من دخولِ الجنةِ.

وقوله: (إنَّما هو الشِّركُ) إنْ أرادَ به الأكبرَ، فمقصودُه أن من لم يكن مِن أهلِه، فهو آمِنٌ مما وُعِدَ به المشركون، من عذابِ الدنيا والآخرةِ، وهو مهتدٍ إلى ذلك، وإنْ كان مرادُه جنسَ الشِّركِ، فيقال: ظلمُ العبدِ نفسَه كبخلِه ـ لحبِّ المالِ ـ ببعضِ الواجبِ هو شِركٌ أصغرُ، وحبُّه ما يبغضُ اللهُ[1]، حتى يقدِّم هواهُ على محبَّة الله، شركٌ أصغرُ، =

---

(١) قال سماحة الشيخ: أي: ما يبغضه الله، فالمفعول محذوف.

= ونحو ذلك(١). [٧٣]

[شرح٧٣] يعني: أن الإنسان إذا وقع في المعاصي، فقد وقع في إيمانه شوب من الشرك؛ لكونه آثر هواه، وآثر محبة نفسه، فأشبه الشرك الخفي الذي جاء في الأحاديث، كالرياء، وحب السمعة ونحو ذلك، فيكون بهذا ناقص الإيمان، ناقص التوحيد، فيكون غير حاصل على الأمن التام والهداية التامة، وفي كل حال فالنصوص واضحة في هذا، فإن الشرك شرك أكبر، وهذا هو ظاهر النص، وهو المراد من سياق الأحاديث، المراد الشرك الأكبر، المذكور في قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

ويحتمل أنه ﷺ أراد جنس الشرك، لأن جنس الشرك مع قطع النظر عن كونه كبيرة أو صغيرة، فيكون إتيان الكبائر نوعاً من الشرك، بمعنى أنه أطاع واتبع الهوى فيها، كالزنى والسرقة والكبر ونحو ذلك، حتى آثر هوى نفسه على طاعة الله جلا وعلا، فكان هذا نوعاً من الشرك، الذي يضعف به إيمانه ويقينه وتوحيده، فيستحق عليه العقاب يوم القيامة، وبهذا لا يسلم من =

---

(١) ص٤٤.

....

= العقاب، ولا يحصل له الأمن كاملاً والهداية كاملة إلا بسلامته من أنواع الظلم الثلاث*.

*** س: لو أذن لفريضة من الفرائض، كالظهر أو العصر وعندي ناس، أو عندي تمثيلية نناظر فيها أو نأكل قاتاً، حتى ذهب وقت هذه الفريضة، وجاء وقت الفريضة الثانية، ولم أصلِّها إلا مع الفريضة الثانية، أليس هذا يدخل في الكفر؟**

ج: هذا من ظلم النفس بالمعاصي، فإذا اتبع هواه وأطاعه حتى ضيع الفريضة في أكل القات، أو مراعاة خاطر الذي يجلس عنده، أو التمثيل الذي قلته، أو غير ذلك، يكن عاصياً، مستحقاً للعقوبة.

وآكل القات جمع بين ذنبين: ذنب أكل القات، وهو محرم، وذنب تأخير الصلاة، أما الطعام فقال النبي ﷺ: «لا صلاةَ بحضرَةِ الطعامِ»[1]، فإذا أذن وهو على الطعام يكمل طعامه، ولا يقوم إلى الصلاة وهو يأكل.

لكن بعض العلماء ألحق الكبائر في معنى الشرك الأصغر، وهي لا تسمى بالشرك الأصغر، لكنها في معناها من جهة أن صاحب الكبيرة أطاع هواه، وآثره، فهي نوع من الشرك الأصغر الخفي، لكن لا تلحق بالشرك، =

---

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٦٠).

....

= بل هي تحت مشيئة الله جل وعلا، فهذه كلها في حكم المعاصي.

س: لكن هو يفعل هذا مثلاً وقت الفريضة؟

لا يجوز هذا العمل، لكن لا يسمى شركاً أكبر، فالمعاصي شيء والشرك الأكبر شيء، أما كونه تأخر عن الصلاة، بسبب القات، أو التدخين، أو السواليف مع أصحابه، فهذه معصية، فيأدب عليها، ويجب عليه التوبة إلى الله من ذلك، فالشرك شيء والمعاصي شيء آخر.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]؟

ج: في هذا نوع من عبادة الهوى، لكنه ليس مثل الذي عبد الصنم والوثن، فكل من عصى ربه فقد أطاع هواه، فعلى هذا لو جعلناه شركاً أكبر لصار من دخن أو شرب الخمر أو زنى أو عق والديه داخلاً فيه، لا، عند أهل السنة والجماعة بالإجماع بخلاف الخوارج أن الشرك الأكبر شيء والمعاصي شيء آخر.

وإن كانت المعاصي نوعاً من اتباع الهوى، ونوعاً من عبادة الهوى، لكن ليس من الشرك الأكبر، وليس من الشرك الذي صاحبه لا يغفر له، بل هذا نوع من الشرك الخفي الذي يسمى شركاً أصغر، ويسمى شركاً خفياً، لكن لا يكون له حكم الشرك الأكبر، بل له حكم المعاصي.

س: سؤال غير مسموع. =

....

= ج: يعني: أن الإنسان مآخذ بما يفعل من الشر، ولو كان قليلاً، وقد يغفر له إذا اجتنب الكبائر، فتوعد الله جل وعلا من فعل كبيرة، لكنه قد يؤاخذ بها وقد لا يؤاخذ بها؛ لأن الله قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١] فالمؤمن إن تجنب الكبائر عفا الله له عن الصغائر، وإن رآها في كتاب سيئاته، وإن عرضت عليه، لكن لا يلزم من رؤيته لها أن يؤخذ بها.

فإذا اجتنب الكبائر كفاه الله ﷻ شر الصغائر، لكن يجب على المؤمن أن يحذر كل شيء، أن يحذر السيئات مطلقاً، أي: كل ما نهاه الله عنه، فالسيئات الصغائر تجتمع عليه فتهلكه، فينبغي أن يجتنب كل ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه.

ثم الصغائر والكبائر يلتمس هذا من هذا، وهو خلاف كبير بين أهل العلم، فقد يشتبه عليه، وقد يظن ما ليس بصغيرة صغيرة فيستهان بها، فالحزم كل الحزم أن يجتنب كل ما نهى الله عنه ويحذره، حتى يسلم.

س: بمناسبة ذكر الخوارج: ما هو القول الفصل في الخوارج؟ هل يكفرون مطلقاً، أم لا يكفرون مطلقاً، أم تحتاج المسألة إلى تفصيل؟

ج: عند أهل السنة والجماعة الخوارج لا يكفرون، كما قال علي: من الكفر فروا، وقال بعض السلف: هم كفار للحديث الصحيح «يمرقون من =

....

= الدين كما يمرق السهمُ من الرَّمِيَّة ثم لا يعودون فيه»[١]. فظاهر الأدلة كفرهم، لكن أهل السنة والجماعة حملوا هذا على الوعيد والزجر الشديد على عملهم، ولذلك لما سُئل عليٌّ عنهم، وهو مَن جاهدهم وعرف أحوالهم، قال: من الكفر فرُّوا[٢]، حملهم التشدد في طاعة الله، والخوف من الله عز وجل حتى كفروا الناس بالمعاصي، وكفروا الصحابة، فكفروا علياً ومن معه، بسبب اجتهادهم الباطل الفاسد فالرجل توعدهم على هذا، وتوعدهم بقتلهم قتل عاد بكفرهم، على قول، ولضلالهم وخروجهم عن الصراط المستقيم الذي يجب اتباعه، على القول الثاني.

فالحاصل أنهم كفروا الناس، وقاتلوهم على غير بصيرة، حتى قاتلوا أهل الإسلام وتركوا عباد الأوثان من جهلهم.

فالصواب فيهم: أن ظاهر الأدلة تكفيرهم، لكن جمهور أهل السنة، قالوا في حقهم: إنهم أهل كبائر وأهل نحلة فاسدة وأهل بدعة، لكن في كفرهم نظر، لأن علياً وهو أعلم الناس بهم لم يكفرهم، فقال: من الكفر فروا.

أما ظاهر الأحاديث فهي تؤيد المذهب الأقل بتكفيرهم؛ لأنه قال فيهم: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»[٣]، وفي رواية: =

(١) أخرجه البخاري: التوحيد (٧٥٦٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري: المناقب (٣٦١١)، ومسلم: الزكاة (١٠٦٦).

....

= «يمرقون من الدين كما يمرق السهمُ من الرَّمِيَّة ثم لا يعودون فيه»[(١)]، وظاهر هذا كفرهم؛ لأنهم استحلُّوا ما حرَّم الله، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم، وقتلوهم، كما هو معروف في عهد الصحابة، ومن بعدهم، نسأل الله السلامة.

س: وطوائف المعتزلة؟

ج: المعتزلة هم أقلُّ منهم؛ لأن المعتزلة لا يكفرون، ولكنهم يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، فهم أقل منهم، وظاهر الأدلة تقتضي تكفيرهم أيضاً؛ لأنهم نفوا صفات الله، وعطلوا الله من صفاته، وزعموا أن أهل المعاصي مخلدون في النار، فالقول بتكفيرهم قول قوي، لكنهم ليسوا كالخوارج من كل وجه، فالخوارج كفروا الناس صراحة، من زنى عندهم كفر، ومن شرب الخمر كفر، ومن قتل إنساناً بغير حق كفر، فمذهبهم صريح في الشر، والعياذ بالله.

س: لكنهم وافقوهم في أحكام الآخرة؟

ج: لكن في الدنيا خالفوهم، هؤلاء كفروا أهل المعاصي وجاهدوهم وقاتلوهم، كما فعلوا مع علي ﷺ، أما المعتزلة فما يرون رأيهم لا في المقاتلة فيما يظهر ولا في التكفير، ولكن يرون أنهم في الآخرة مخلَّدون في النار، وهي موافقة في الحقيقة موافقة قوية، ويقال في حقهم: إن الخلاف لفظي. =

---

(١) أخرجه البخاري: التوحيد (٧٥٦٢).

....

= س: والجهمية؟

ج: والجهمية غيرهم، ينفون الأسماء والصفات جميعاً، والمعتزلة ينفون الصفات فقط، دون الأسماء فيثبتونها، والجهمية مرجئة وقدرية مع ذلك، والمعتزلة نفاة للقدر، فبينهم فروق، لكنهم يجتمعون في البدعة، أما التكفير فبحث آخر.

س: والشيعة؟

ج: الشيعة على طريقة المعتزلة، في نفي الصفات مع ما عندهم من تكفير وسب للصحابة، والعقائد الخبيثة في أهل البيت.

س: لكن هل يجوز للسني أن يصلي خلفه؟

ج: لا تجوز الصلاة خلفه، فإذا عرف أنه شيعي يعبد أهل البيت، ويدعوهم من دون الله، أو يسب الصحابة، فهذا لا قيمة له، ولا يكون إماماً للناس، ويجب أن يبعد عن الإمامة، أما إذا عرف منه أنه لا يشرك، ولكن عنده قضية تفضيل علي على عثمان ونحو ذلك، أو عرف بالتوحيد، وأنه لا يؤله أهل البيت، ولا يسب الصحابة ولا يخوّنهم، فهذا له حكم أهل التوحيد في صحة إمامته.

فالشيعة أقسام، ذكر بعضهم أنهم اثنان وعشرون قسماً.

س: الذي يذبح عند قبر أو ينذر له هل يصلى خلفه؟

ج: عباد القبور لا يصلى خلفهم، كالذي يتقرب إلى صاحب القبر =

....

= بالنذر أو الذبيحة أو بالدعاء، فإذا كان يذبح عند صاحب القبر تقرباً إليه كما يفعل عند ابن عَلْوان وغيره، فهذا الشرك الأكبر، فالذي يذبح عند القبور يمنع لا يؤم الناس، أما التكفير فهذا محل النظر.

س: ما حكم التأخر عن صلاة الجماعة؟

ج: التأخر عن صلاة الجماعة مشابه للنفاق، كما قال ابن مسعود: ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق[1]، ولو كان جالساً يقرأ، أما إذا كان عند التلفزيون، فذلك أشر وأخبث، أو الألعاب الأخرى، فالمعاصي أنواع، والتخلف عن الجماعة مطلقاً بدون عذر شرعي تشبه بأهل النفاق، حتى ولو كان جالساً يسبح ويهلل، وإن تخلف لأجل سماع الأغاني أو مشاهدة التلفاز، صار الأمر أعظم، فقد تخلف عن الواجب، وفعل معصية، نعوذ بالله.

---

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٤).

۞ فهذا فاتَه مِن الأمنِ والاهتداءِ بحسَبِه، ولهذا كان السلفُ يُدخِلون الذنوبَ في هذا الظلمِ، بهذا الاعتبارِ، انتهى ملخصاً [١].

وبه تظهرُ مطابقةُ الآيةِ للترجمةِ، فدلَّت على فضلِ التوحيدِ، وتكفيرِه للذنوبِ؛ لأن مَن أتى به تامّاً، فله الأمنُ التامُّ، والاهتداءُ التامُّ، ودخلَ الجنَّةَ بلا عذابٍ [٢]. [٧٤]

[شرح٧٤] ولا يكون التوحيد تامّاً إلا بكون صاحبه تاركاً للمعاصي كلها، فالتوحيد الخالص في ضمنه التوبة من المعاصي والسيئات، فيحصل له الأمن التام، والهداية الكاملة، أما إذا كان قد تلطخ بالمعاصي، يكون توحيده ناقصاً، فيكون أمنه ناقصاً، فالكل بالكل، والبعض بالبعض.

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٨٠-٨٢).

(٢) ص٤٤.

۞ ومَن أتَى به ناقصاً بالذنوبِ التي لم يَتُب منها، فإن كانت صغائـرَ كُفِّرت باجتنابِ الكبائرِ؛ لآيةِ النساءِ[١]، والنَّجمِ[٢]، وإن كانت كبائـرَ فهو فـي حُكْمِ المشيئةِ، إن شـاء اللهُ غفـرَ له، وإن شـاء عَذَّبه، ومآلُه إلـى الجنةِ، والله أعلم[٣]. [٧٥]

[شرح٧٥] ذكر العلماء أن الشرك الأكبر هو ما يتضمن صرف بعض العبادة لغير الله، أو جحد ما أوجبه الله، لأنه هو معلوم من الدين بالضرورة بالأدلة الشرعية، أو جحد ما حرمه الله؛ لأنه هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنى ونحوه، فهذا سماه كفراً أكبر، وشركاً أكبر.

أما الشرك الأصغر فهو ما ورد في النصوص تسميته شركاً، لكنه لم يصل إلى درجة عبادة غير الله، ولا إلى جحد ما أوجبه الله، ولا إلى جحد ما حرم الله، لكنه دون ذلك، مثل: الحلف بغير الله، يقول: ما شاء الله وشاء فلان، لولا الله وفلان، و الرياء، كل هذا =

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١].

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢].

(٣) ص٤٤.

....

= من الشرك الأصغر الذي قال فيه النبي ﷺ: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّركُ الأصغرُ» قالوا: وما الشركُ الأصغرُ، يا رسولَ الله؟ قال: «الرياءُ»[1]، وقال في الحديث الصحيح: «مَن حَلَفَ بغيرِ الله فقد أَشرَكَ»[2].

فالحاصل أن الشرك الأصغر هو ما ورد بالنصوص تسميته شركاً، لكنه لم يصل إلى حد الشرك الأكبر الذي تقدم بيانه، وهو صرف العبادة لغير الله، أو بعضها، أو جحد ما أوجب الله؛ لأنه معلوم من الدين بالضرورة، أو جحد ما حرم الله، كالزنى ونحوه، أو اعتقاد ينافي ما جاءت به الرسل، كأن يعتقد خلاف ما جاءت به الرسل، كإنكار وجود الله، وإنكار الآخرة، وإنكار الجنة، وإنكار النار، إلى غير ذلك، بأن يخالف ما جاءت به الرسل، فهذا جحد لما أخبر الله.

فكل ما يتضمن تكذيب الله، أو تكذيب الرسول ـ عليه =

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي: النذور والأيمان (١٥٣٥)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٥١).

....

= الصلاة والسلام - بإنكار واجب أو إنكار محرم أو إنكار خبر، أو يتضمن صرف العبادة أو بعضها لغير الله، فهذا كله من الكفر الأكبر والشرك الأكبر.

وما دون ذلك مما جاء في النصوص وسمته شركاً كالرياء والسمعة وقول: «ما شاء الله وشاء فلان»، والحَلِف بغير الله، كالحلف بالأمانة، والنبي ﷺ ونحو ذلك، هو من الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر في بعض الأحيان، على حسب ما يكون في قلب صاحبه من تعظيم المخلوق والاعتقاد به عند الحلف به ونحو ذلك*.

---

* س: ما الفرق بينهما؟

ج: الشرك الأكبر يوجب الخلود في النار، وحرمان المغفرة، ولا يصلى على صاحبه، ولا يستغفر له، أما صاحب الشرك الأصغر فلا ينافي الإيمان بالكلية، ولا يوجب الخلود في النار، ولا يمنع الصلاة على صاحبه، ولا الاستغفار له، فالفرق بينهما عظيم.

اختلف العلماء: هل يغفر الشرك الأصغر كما تغفر الكبائر تحت قوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] أم لا يغفر بل هو من جنس الشرك =

....

= الأكبر في عدم المغفرة، لكنه قد يمحى بالحسنات وبالعذاب في النار.

فالحاصل أن الشرك الأصغر قد لا يغفر مع جهة عموم الأدلة في عدم مغفرة الشرك مطلقاً، وقد يغفر باجتناب الكبائر، لكن مثل هذا لا يخلد صاحبه في النار، سواء أقلنا: يغفر، أم قلنا: لا يغفر، فقد يغفر وقد لا يغفر، لكن صاحبه يعذب على قدره، ثم بعد التطهير يخرج من النار، وقد يزول حكمه برجوح الحسنات في الميزان.

س: والروافض؟

ج: الروافض أشدهم وأخبثهم، الذين رفضوا زيد بن علي، لما طلبوا منه أن يتبرأ من الصديق وعمر، وأبى، فرفضوه، وهم أقسام أيضاً، منهم الباطنية، وغير الباطنية، الباطنية: الذين ينكرون وجود الله ولا يعبدونه، ومنهم الباطنية الذين يقولون: الإله علي، وفيهم أنواع أخرى، وفيهم المخونة الذين يقولون: إن الرسالة لعلي، ولكن جبرائيل خانه فجعلها لمحمد، فهم أقسام ـ قبحهم الله ـ ومع ذلك انتهى أمرهم إلى أنهم يعبدون أهل البيت، ويدينون بدين المعتزلة في نفي الصفات، وفي المنزلة بين المنزلتين، وفي تخليد أهل المعاصي في النار.

س: ما معنى المنزلة بين المنزلتين؟

ج: لا يقال: كافر ولا مسلم ولكن فاسق، فالعاصي لا يسمى مسلماً ولا كافراً ولكنه عاص. =

....

= س: هل يجوز دخول الذين هم بهذه الصفة (يعني الروافض) الحرمين الشريفين؟

ج: من عرف أنه بهذه الصفة لا يجوز دخوله، لكن بسبب الشبه ودعواهم الإسلام حصل ما حصل ولأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله في الظاهر ويدعون الإسلام، ولهذا اضطرت الدولة إلى دخولهم.

س: بعضهم يعرِّف الشرك الأكبر تسمية غير الله بما يختص به الله.

ج: نوع من التعريف، لكنه قاصر؛ لأنه يلحق به جحد ما أوجب الله، وجحد ما حرم الله والشك في دين الله وكل هذا يسمى الكفر الأكبر والشرك الأكبر.

۞ عن عُبادةَ بنِ الصامتِ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن شهِدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، أدخلَه اللهُ الجنةَ على ما كانَ من العملِ» أخرجاه[1].

عُبادة: هو ابنُ الصامتِ بن قيسٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ أبو الوليد، أحد النُّقَباء، بَدريٌّ مشهور من جِلَّة الصحابة، مات بالرَّملَة سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون سنةً، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية.

قوله: (مَن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ) أي: من تكلَّم بهذه الكلمةِ عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتَضاها باطناً وظاهراً؛ كما دلَّ عليه قولُه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩] وقولُه: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦] أما النُّطقُ بها مِن غيرِ معرفةٍ لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غيرُ =

---

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٣٥)، ومسلم: الإيمان (٢٨).

= نافعٍ بالإجماع[1]. [٧٦]

[شرح٧٦] ولهذا ينطق بها المنافقون فلا تنفعهم، وينطق بها المرتدون فلا تنفعهم؛ لأنهم لم يقولوها عن علم ويقين، بل عن كذب، فالمنافقون قالوها كذباً ولهذا لم تنفعهم، وصاروا في الدرك الأسفل من النار، فهم يقولونها ويشهدون أن محمداً رسول الله، وهم في الباطن كاذبون كما قال ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

هذه طريقتهم، يجاملون المسلمين ويقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، إلى غير هذا، والبواطن كلها خراب، كلها تكذيب، كلها إنكار للحق.

وهكذا المرتدون من ارتد بأنواع من الردة، ومع ذلك يقول: لا إله إلا الله، ويسب الله، ويسب دينه، ويستهزئ بدينه، ويقول: لا إله إلا الله، فلا تنفعه هذه الكلمة، لأنه لم يؤد حقها، لأن من حقها: أن تعبد الله وحده، وأن تعظم حرماته، وأن تلتزم بحقه، =

---

(١) ص٤٥.

....

= وأن تكفر بما يعبد من دونه، فإذا قلتها وأنت غير ملتزم بحقها فوجودها كعدمها.

ولهذا لما ارتد من ارتد من العرب، وعزم الصِّدِّيق على قتالهم حتى يرجعوا إلى دين الله، ناظره عمر في هذا وقال: كيف تقاتلهم وقد قال النبي ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إلهَ إلا اللهُ، فإذا قالوها عَصَمُوا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها»؟ قال الصديق: أليس الزكاة من حقها؟ والله لأقاتلن مَن فَرَّق بين الصلاةِ والزكاةِ، والله لو مَنعوني عَناقاً ـ وفي رواية: عِقالاً ـ كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم على منعها! فقال عمر: فما هو إلا أن عرفتُ أن الله قد شرح صدرَ أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحقُّ[1].

فالمقصود أن هذه الكلمة لها حقوق فلا بد من أداء الحقوق، بعض الحقوق تجعل صاحبها كأنه لم يقلها وباقٍ في كفره وضلاله، =

---

(١) أخرجه البخاري: الزكاة (١٣٩٩) و(١٤٠٠)، والاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم: الإيمان (٢٠).

....

= وبعض الحقوق ينقص معناها، ويضعف معناها، لكن لا يكون صاحبها كافراً، فمن قالها وسب الله ورسوله، أو صدَّق مُسيلِمة، أو صدَّق مدعي النبوة كالقادياني وأشباهه، كفر بذلك، ولم ينفعه قول: لا إله إلا الله، ولا صلاته وصومه ولا حجه وزكاته ولا غير ذلك؛ لأنه جاء بناقض من نواقض الإسلام.

كذلك لو قال: لا إله إلا الله، وصلى وصام ولكن يقول: الزنى حلال، أو الخمر حلال، أو الربا حلال، أو عقوق الوالدين حلال، أو الصلاة غير واجبة، أصلي ولكن ليست واجبة علي الصلاة أو ما أشبه ذلك، هذا مرتد كافر بالإجماع ولو قالها.

أما الحال الثانية: فقد يقولها، ولكن لا يلتزم بحقوقها المكملة، كأن يقول: لا إله إلا الله، ولكن يزني، ويعرف أن الزنى حرام ومنكر، ولكنه يتعاطاه، فهذا ما أدى حقها كاملاً، بل أدى حقها بنقص، فيكون ضعيف الإيمان، ويكون مستحق العقوبة، ويكون على خطر من دخول النار يوم القيامة إذا مات على ذلك.

كذلك لو قالها، ولكن يشرب الخمر، يشرب المسكرات، يعق =

....

= الوالدين، يأكل الربا، ولكن لا يستحل ذلك، بل يفعل ذلك وهو يعلم أنه حرام، ولكن غلبه الهوى، وغلبه شيطانه، هذا يكون قد نقص حقها، وضعف في أداء حقها، ولكن لا يكون كالذي تركها بالكلية، فيكون مسلماً مؤمناً، ضعيف الإيمان، ناقص الإيمان، ولكن ليس كالذي أنكرها بالكلية، بل له حظه من الإسلام، وهو على وعد من دخول الجنة، وله العاقبة الحميدة بعد كل نهاية، ولكنه على خطر من دخول النار إذا مات على حالته السيئة هذه، فيكون ناقص الإيمان، ضعيف الإيمان، لا كامل الإيمان، ولا معدوم الإيمان، فينبغي التنبه للفرق في هذه المسائل المهمة العظيمة.

۞ وفي الحديثِ ما يدلُّ على هذا، وهو قولُه: (مَن شَهِد) إذ كيف يشهدُ وهو لا يعلَم، ومجرَّدُ النُّطقِ بشيء لا يسمَّى شهادةً به. قال بعضُهم: أداةُ الحَصْرِ لقَصْرِ الصفةِ على الموصوفِ قَصرَ إفرادٍ؛ لأن معناه: الأُلوهيةُ منحصرةٌ في الله الواحدِ في مقابلةِ من يزعُم اشتراكَ غيره معه، وليس قَصرَ قلبٍ؛ لأن أحداً من الكفارِ لم يَنفِها عن الله، وإنما أشركَ معه غيرَه[1]. [٧٧]

[شرح٧٧] المعنى في هذا، يعني: ليس المراد نفي الوجود وقصر قلب، فإن جميع الناس يعرفون أن الله ﷻ إله، ولكن الكلام كلّه في هل هناك آلهة معه أم لا؟ هل هناك آلهة تعبد وتستحق العبادة أم لا؟ وإلا فهم يعرفون أن الله إله، وهناك آلهة عندهم معبودة كاللات والعزى وأشباه ذلك.

فليس المعنى لا شمس إلا الشمس يعني: لا شمس موجودة إلا هذه الشمس، ولا قمر إلا هذا القمر، كلا، فالمعنى: لا إله حق، فهناك آلهة موجودة، أما ترى أنك تقول: لا رجل إلا علي، أو لا =

---

(١) ص٤٥.

....

= شجاع إلا علي، ليس المراد أنه ليس هناك شجعان، لكن نفي الكمال من الشجاعة والإقدام إلا لعلي على تقدير صحة هذا الإطلاق.

فالمقصود بيان أن هناك آلهة موجودة لكنها لا تستحق العبادة، بخلاف لا شمس إلا الشمس، معناها أن الشمس ليست موجودة أبداً في الليل، وقد ظن بعض المتكلمين وبعض الجاهلين أن هذا هو المعنى، لا إله إلا الله؛ يعني: لا إله موجود، وهذا غلط كبير، فهناك آلهة موجودة عند المشركين كثيرة إلى الآن، بل أكثر وأكثر، لكنها معبودة بالباطل، ليست معبودة بالحق، أما المعبود بالحق فهو الله وحده ﷻ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج:٦٢] ، هذا بيان أن الآلهة موجودة مدعوة، ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود:١٠١]، فجعل لهم آلهة.

ومن هذا قوله: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص:٥] ، ومن هذا =

....

= قولُه بما ذكر الله عنهم: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦].

فهناك آلهة ولكنها معبودة بالباطل لا قيمة لها، فالمعبود بالحق هو الله وحده ﷻ، فالمعنى قصر الإفراد، قصر الإلهية، فالموصوف بأنه حق في هذا الاستثناء هو الله، لا قصر الوجود، فكل إله موجود، ولكنه ليس معبوداً بالحق: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، فالمعبود بالحق هو الله وحده، سبحانه وتعالى.

۞ وقال النوويُّ: هذا حديثٌ عظيمٌ جليلُ الموقعِ، وهو أجمعُ ـ أو من أجمع ـ الأحاديثِ المشتَمِلةِ على العقائدِ[1]. [٧٨]

[شرح٧٨] أجمع منه حديث جبرائيل المشهور: في السؤال عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأشراط الساعة[2]، لكن في حديث عبادة أشياء لم تذكر في حديث جبرائيل، وبضمه إلى حديث جبرائيل، يحصل بيان العقيدة الصحيحة التي تنافي جميع ملل الكفر وجميع ملل الضلالة*.

---

* س: هل الأحسن التعبير بالعقائد أو العقيدة؟

ج: بالنسبة إلى عقائد أهل الدنيا عقائد، وبالنسبة إلى العقيدة الصحيحة واحدة، لأن كل عقائد أهل الدنيا باطلة لأنها كثيرة؛ عقيدة اليهود، وعقيدة النصارى، وعقيدة البوذيين، وعقيدة الوثنيين، وعقيدة الملاحدة.

العقيدة هي الإيمان بالله، وأن محمداً خاتم النبيين، والإيمان بالآخرة والجنة والنار، والعقيدة في عيسى، إلى غير ذلك، كل هذه الأنواع ترجع إلى =

---

(١) ص٤٥.

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٨) و(١٠).

....

= عقيدة واحدة مثل قوله سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة].

السبيل واحد ولكنه جمع سبل السلام من جهة أنواع السبل وكثرتها، وكلها سبل خير تمضي إلى صراط مستقيم واحد، فالصلاة سبيل الخير، والزكاة سبيل الخير، والصيام سبيل الخير، والحج سبيل الخير، وبر الوالدين سبيل الخير إلى غير ذلك، فهي سبل لكنها ترجع إلى سبيل واحد، وتنحصر في سبيل واحد، وهو ما دل عليه كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، هذا هو معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا هو الصراط المستقيم.

وفي غالب الآيات والأحاديث السبيل، بإفراد السبيل وإفراد الصراط: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣] ، و﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف:١٠٨].

وقد تجمع سبل، لكن المراد بها أنواعها وأفرادها وأنواع السبيل الواحد، وأنواعه التي تجتمع فيه، كالوادي العظيم الذي يحصر الشُّعَب من هنا وهناك، ولكن مرجعها إليه ومتفرعة منه، فكلها متفرعة من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

۞ فإنه ﷺ جمعَ فيه ما يُخرِجُ عن مِلَلِ الكفرِ على اختلافِ عقائدِهم وتباعدها، فاقتصرَ ﷺ في هذه الأحرفِ على ما يباين به جميعَهم. انتهى[1]. [٧٩]

[شرح٧٩] وذلك لأن شهادة أن لا إله إلا الله تخرج من ملل الوثنيين وغيرهم الذين عبدوا مع الله إلهاً آخر، وشهادة أن محمداً رسول الله فيها الردّ على من أنكر رسالة محمد ﷺ من اليهود والنصارى وسائر ملل الكفر، ومنهم الوثنيون الذين كذبوه، عليه الصلاة والسلام.

وذكر عيسى فيه الردّ على اليهود والنصارى جميعاً، فاليهود جحدوه، والنصارى غلوا فيه وجعلوه إلهاً، فهذا ردّ على الجميع، على الطائفتين، وفي الجنة والنار ردّ على من أنكر الآخرة والبعث والنشور، هذه جماعة من الكفر؛ لأنها ترجع إلى هذا، ما بين ملة تنكر الآخرة ـ وهي أنواع، وهم كثيرون، فرد عليهم بمثل الجنة والنار ـ و بين ملة اليهود والنصارى، فقد رد عليهم بإثبات رسالة محمد ﷺ وبعيسى وبيان أنهم عبيد الله ﷻ. =

---

(١) ص٤٥.

....

= وفي ذلك الرد على من غلا في محمد ﷺ وجعله إلهاً، أو أثبت آلهة أخرى تعبد مع الله، فرد عليهم بالشهادتين، وفي هذا الحديث ـ حديث عبادة ـ رد على جميع أنواع الكفر، وعلى جميع ملل الكفر الباطلة، وإثبات العقيدة الصحيحة بما يتفرع عنها من أنواع العقائد الصحيحة التي تتعلق بكل فرض مما جاء به الرسول ﷺ*.

---

* س: لكن قوله على اختلاف عقائدهم وتباعدها؟

ج: نعم، لأن ما بين اليهود والنصارى بعد عظيم، فاليهود تكذب عيسى، والنصارى تؤمن بعيسى وتغلوا فيه، فهذا بعد عظيم بين من كفر بهذا وأنكر وجوده وكفر به، ومن آمن به وصدقه فهذا فرق بعيد.

س: ومع ذلك، فهذا الفرق العظيم لا يخرج من مللها؟

ج: على تباعدها، هي ملل كفر، لكنها متباعدة في نفسها مختلفة، فليست ملة الشيوعيين الذين أنكروا وجود الله، وأنكروا كل شيء، مثل ملة اليهود والنصارى، وليست ملة اليهود مثل ملة النصارى، فاليهود غلوا في العزير وعبدوه مع الله، وكذبوا عيسى وأنكروه، وقالوا: هو ابن زنى، واتهموا مريم بذلك، والنصارى بالعكس، صدقوا وآمنوا بعيسى، لكن إيمان أغلبهم أخطأ فيه، فغلا فيه مع الله، وجعله إلهاً مع الله. =

....

= وقليل منهم هو الذي أصاب الحق، وكلاهما أنكر محمداً ﷺ وكفر بمحمد، ولم يؤمن به إلا القليل منهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، فصاروا متفاوتين، كذلك المجوس هم ملة أخرى قائمة على الظلمة والنور، ولهم عقائد أخرى غير عقائد اليهود والنصارى، وهكذا بقية الكفرة من الصابئة وغير الصابئة وعباد الأوثان، وهم متفاوتون ومتباينون في كفرهم.

۞ ومعنى «لا إلهَ إلا اللهُ» أي: لا معبودَ بحقٍّ إلا إلهٌ واحدٌ، وهو اللهُ وحدَه لا شريكَ له؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فصحَّ أن معنى «الإله» هو المعبودُ، ولهذا لما قال النبيُّ ﷺ لكفارِ قريشٍ: «قُولُوا: لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥][1]*.

---

* س: هذا الخبر؛ لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «قولوا: لا إله إلا الله» مَن خرجه[2]؟

ج: جاء هذا من طرق كثيرة من السيرة والتاريخ عند مبعث النبي ﷺ ذكر في كتب التاريخ وكتب السيرة وسيرة ابن هشام وكتب البداية والنهاية وغيرها، يعني: أنه جاء من طرق كثيرة عند تتبع طرقه، وهذه الطرق تحتاج إلى تتبع، لكنه مشهور يعني: ثابت المعنى في الجملة، والقرآن الكريم دل =

---

(١) ص٤٥.

(٢) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٢٢٧ و١/ ٣٦٢)، وراجع طبعة مؤسسة الرسالة من «المسند» (٢٠٠٨) و(٣٤١٩)، ففيه تمام تخريجه وتنقيده.

....

= على هذا، فإنهم ما قالوا: أجعل الآلهة إلا لما قال لهم هذا، ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٤-٥].

أي: المعنى ثابت بالقرآن الكريم لأنه بعث بهذا الشيء، فالرسول بعث إليهم يدعوهم إلى توحيد الله، فهو قال لهم هذا وما أكثر منه، وكرر عليهم ذلك يأمرهم بـ«لا إله إلا الله» وأن فيها فلاحهم، وفيه أن يخضع لهم العرب وأن تؤدي إليهم العجم الجزية إلى غير ذلك، فهو شيء مستكثر ومن أراد تتبع طرقه يجده.

ومن هذا قولهم فيما حكاه الله في سورة الصافات: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ أي: النبي ﷺ سمَّوه شاعراً ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٦-٣٧].

سموه شاعراً، وسموه مجنوناً، وهم المجانين وهم المساكين الجهلة، نسأل الله السلامة! وهم يعرفون أنه أصح الناس عقلاً وأكملهم أمانة وأثبتهم جناناً وأصدقهم لساناً، ولكن الهوى يُعْمي ويُصِم.

۞ وقال قومُ هودٍ: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠]، وهو إنما دعاهم إلى «لا إلهَ إلا اللهُ»[1]. [٨٠]

[شرح٨٠] لأنه ذكر في الآية الأخرى أن هوداً قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥] في أول القصة، وهكذا قال نوح، وهكذا قال صالح، وهكذا قال إبراهيم، وهكذا قال شعيب، كلهم جميعهم يقولون: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، فتجيبه عادٌ فتقول: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠].

هذا اعتراف منهم بما دعاهم إليه، ومكابرة وإنكار وتكذيب، نسأل الله العافية، وهكذا أبو سفيان لما سأله هرقل: ماذا يقول لكم؟ قال: يقول: «اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم»[2]*.

---

* س: أول واجب على الداعية أن يدعو الناس إلى تحقيق معنى هذه =

---

(١) ص٤٥.

(٢) أخرجه البخاري: بدء الوحي (٧).

....

= الكلمة، أو يدعوهم إلى الخروج والزهد في العبادة، أو يدعوهم إلى إقامة الدولة الإسلامية، ما هو أول واجب على الداعية؟

ج: المدعَوْن يختلفون، فإن كان في قوم كفار كعباد الأوثان واليهود والنصارى يبدأ بما بدأ به النبي ﷺ، يبدأ بتوحيد الله، ودعوتهم إلى توحيد الله، ودعوتهم إلى معنى «لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

وأما إذا كان مع قوم يدعون الإسلام ويقولون: إنهم مسلمون، فإنه يدعوهم إلى تحقيق هذه الدعوى، ويبين لهم تحقيقها، وأن دعوى الإسلام ليس مجرد قول، لا بد من تصحيح هذا القول، ويبين لهم معنى «لا إله إلا الله» إذ وقعوا في الشرك بعبادة القبور، وأهل القبور، يبين لهم هذا الأمر حتى يخرجهم من ظلمات الشرك، وإن كان أمر الصلاة والصوم عندهم معروفاً، لكن يبين لهم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وأشباه ذلك لا تنفع أهلها حتى يصححوا هذا الأصل، وأنتم عندكم كذا وعندكم كذا وعندكم كذا إذا أمكن ذلك.

فإذا ما أمكن ذلك يبدأ معهم بتعظيم الصلاة، وتعظيم الزكاة، وتعظيم بر الوالدين، ويبين لهم هذه الأمور، حتى يركنوا إلى علمه ويعرفوا فضله، ثم يطمئنوا إليه، ثم ينتقل معهم إلى تصحيح العقيدة، لأنه إذا بدأهم بما هم عليه من الشرك، قد ينكرونه، ولا يستجيبون، لأنهم ليسوا من جنس الذين =

....

= ليس عندهم صلاة ولا صوم، فهؤلاء يدعون الإسلام.

كذلك إذا كان مع قوم يدعون نبوة شخص آخر، وهم يصلون ويصومون، لكن عندهم شرك آخر، وهو الإيمان بنبوة إنسان جديد، مثل القاديانية يبين لهم بطلان ما هم عليه من اعتقاد نبوة فلان، وأنها تبطل عليهم صلاتهم وصيامهم وإسلامهم وكل شيء، حتى يعرفوا أنهم على خطر، وأن هذا العمل الذي يعملوه يفضي بهم إلى النار، وإلى بطلان ما هم عليه من العبادات التي يدعون أنهم بها مسلمون.

وهكذا مع اليهود والنصارى، يبين لهم ضلالهم في إنكار نبوة محمد ﷺ وفي إنكار عيسى، ويبين للنصارى ضلالهم في غلوهم في عيسى، يعني: المدعوون يختلفون لا بد أن يكون الداعية له فطنة، وله نظر في أحوال المدعوين، والجامع لهذا أن ينكر على المدعوين ما هم عليه من الباطل، وأن يشكرهم على ما هم عليه من الحق، وأن هذا طيب، وهذا العمل طيب، ولكن لا يتم هذا الأمر إلا بهذا الأمر، هذا من شرط هذا، ويبين لهم نفس الأشياء التي وقعوا فيها من الباطل بالأسلوب الحسن، والأسلوب الطيب الواضح.

۞ فهذا هو معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» وهو عبادةُ الله وتركُ عبادةِ ما سواه، وهو الكفرُ بالطاغوتِ والإيمانُ بالله.

فتضمَّنت هذه الكلمةُ العظيمةُ أن ما سوى الله ليسَ بإلهٍ، وأن إلهيةَ ما سواهُ أبطلُ الباطلِ، وإثباتَها أظلمُ الظلمِ، فلا يستحقُّ العبادةَ سواه، كما لا تصلح الإلهيةُ لغيرِه، فتضمَّنت نفي الإلهيةِ عما سواه، وإثباتَها له وحدَه لا شريكَ له.

وذلك يستلزِمُ الأمرَ باتخاذه إلهاً وحدَه، والنهيَ عن اتخاذِ غيرِه معه إلهاً، وهذا يفهمُه المخاطَبُ[1] من هذا النفي والإثباتِ، كما إذا رأيتَ رجلاً يَستَفتي أو يَستشهِد مَن ليس أهلاً لذلك، ويَدَعُ مَن هو أهلٌ له،

فتقول: هذا ليس بِمُفتٍ ولا شاهدٍ، المفتي فلانٌ، والشاهدُ فلانٌ، فإن هذا أمرٌ منه ونهيٌ.

وقد دخل في الإلهيةِ جميعُ أنواعِ العبادةِ الصادرةِ عن تألُّهِ القلبِ لله بالحبِّ والخضوعِ، والانقيادِ له وحدَه لا شريكَ =

(١) قال سماحة الشيخ: يعني المخاطب العربي، أما غير العربي فيحتاج إلى الترجمة.

= له، فيجبُ إفرادُ الله تعالى بها كالدعاءِ والخوفِ والمحبَّةِ، والتوكُّلِ والإنابةِ، والتوبةِ، والذَّبح، والنَّذر، والسجود، وجميعِ أنواعِ العبادةِ،، فيجبُ صرفُ جميع ذلك لله وحدَه لا شريكَ له، فمن صرفَ شيئاً مما لا يصلُح إلا لله مِن العباداتِ لغيرِ الله، فهو مشركٌ، ولو نطقَ بـ «لا إلهَ إلا اللهُ» إذ لم يعمَل بما تقتضِيه من التوحيدِ والإخلاص"(1). [٨١]

[شرح٨١] حتى حلق الشعر، من حلقه لله فقد عبد الله، ومن حلقه للشيخ صاحب القبر، وللشجرة أو لفلان وفلان، فقد صار مشركاً به؛ لأن الحلق جعله الله نسكاً في الحج والعمرة، وعبادة يؤجر عليها، فإذا حلق رأسه يبتغي ما عند الله فقد عبده، وإذا حلق رأسه ليحج المشاهد ويحج القبور، فهذا حلقه للشيخ المدفون، فقد عبده بذلك، فالمعول على النيات.

(١) ص٤٦.

ذكر نصوص العلماء في معنى الإله

۞ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: اللهُ ذو الأُلوهيةِ والعبوديةِ على خلقِه أجمعين.

رواه ابنُ جَرِيرٍ وابنُ أبي حاتم.

وقال الوزيرُ أبو المظفَّر في «الإفصاح»: قولُه: (شهادةُ أن لا إله إلا الله) يقتضي أن يكونَ الشاهدُ عالماً بأن: لا إلهَ إلا اللهُ؛ كما قال الله ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

وينبغي أن يكونَ الناطقُ بها شاهداً فيها، فقد قال الله ﷻ ما أوضحَ به أن الشاهدَ بالحقِّ إذا لم يكن عالماً بما شهدَ به؛ فإنه غيرُ بالغٍ مِن الصدقِ به مع من شَهدَ من ذلك بما يعلمُه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

قال: واسمُ الله تعالى مرتفعٌ بعد (إلا) من حيث إنَّه واجبٌ له الإلهيةُ، فلا يستحقُّها غيرُه، سبحانَه[1]. [٨٢]

[شرح٨٢] (لا إله إلا الله) «لا إله» تقتضي اسماً وخبراً، وقد غلط =

---

(١) ص٤٦.

....

= بعض الناس فظن أنها مثل: لا شمس إلا الشمس، وهذه معناها أن لا شمس موجودة إلا الشمس، والمعنى خلاف هذا المعنى، والمعنى: لا إله حق، أو لا إله موجود بحق، فهو مقيد بالحق «إلا الله»، والقاعدة أن الاستثناء بعد الكلام التام غير الموجب يكون ما بعده مرفوعاً لا منصوباً، وهذا هو الأرجح فيه.

وهنا لما كان المعنى نفي الألوهية عن غير الله، وإثباتها لله ﷻ، فصار كأنه مفرغ، أي: لا يوجد إله غيره فقط، لا إله إلا الله؛ لأنه المقصود بالاستثناء، والمقصود بالإثبات، إثبات الألوهية لله ﷻ، وكأنه لا إله موجود بالكلية؛ لأن وجود أشياء بغير حقٍّ وجودها كعدمها؛ فصار المستثنى بعد إلا ليس فيه إلا الرفع، لا إله إلا الله، المعنى: لا إله موجود بحق إلا هو ﷻ، أو لا إله حق وإن كان موجوداً فالمعنى مستقيم أي: لا مألوه حق.

الإله هو المألوه، مثل البساط بمعنى المبسوط، والكتاب بمعنى المكتوب، أي: لا مألوه بحق، ولا معبود بحق إلا الله، فالمألوهات موجودة وكثيرة؛ كاللات والعزى ومناة، وهذا عند المشركين فيها =

....

= يطلقونه على ما يعبدون من أصنامهم وأوثانهم، فهي عندهم آلهة، وسماها الله آلهة؛ فقال تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص:٥].

ويسمونها ويعتبرونها آلهة، لها يخضعون، ولها ينذرون، ولها يذبحون ولها يطوفون إلى غير ذلك؛ لكنهم يعلمون فضل الكعبة عليها، وفضل الله عليها ﷻ، ولكنهم مع هذا كله فهم يشركونها، ويجعلون له أنداداً، فالله ـ جل وعلا ـ أمر نبيه وأنزل في كتابه هذه الكلمة؛ ليعلم الناس أن الإله المعبود بحق هو الله وحده ﷻ، وأن هذه الآلهة ـ وإن سموها آلهة ـ لا قيمة لها؛ لأنها عبدت بالباطل والهوى والظن الفاسد والجهل؛ فلا قيمة لها ولا أساس لعبادتها؛ لأنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تنفع، ولا تضر، فهي ما بين جماد لا إحساس، وما بين ميت لا شعور له، وما بين حيوان لا قيمة له، إلى غير ذلك*.

---

* س: هؤلاء المشركون وقت الرسول ﷺ الذين يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق، هل يسمون مؤمنين بالله؟

ج: عند بعضهم نوع من الإيمـان، وليس إيماناً مطلقاً ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ =

....

= ﴿أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦١] هذا نوع من إيمان ونوع من تصديق؛ لكنه تصديق لا ينفع صاحبه شيئاً، ما دام أنه نقض بشرك بالله، صار وجوده كعدمه، واستحقوا بشركهم الكفر والضلال والخلود في النار والعياذ بالله؛ فإن بعض الإيمان لا ينفع.

فلو أنه سب الله ورسوله، وآمن باليوم الآخر، وآمن بالجنة والنار، فلا ينفعه هذا الإيمان فهو إيمان لكنه لا ينفع، جاء ما يبطله وينقضه، وهذا كأن يقول: أنا أعترف أن هذا والدي، وله حق علي كبير، وله كذا وله كذا، ولكنه يسبه ويضربه ويؤذيه كل الأذى، فما قيمة هذا الاعتراف؟! وأي شيء يفيد هذا الاعتراف؟! وهكذا أمه وأخوه ونحو ذلك.

وفي هذا نوع من التنبيه فيما يتعلق بالله أعظم من ذلك وأكبر؛ لكن بما يقرر ذلك، فإن الحقائق إنما تحصل بوجوبها ومراعاتها، لا بالدعوى، ثم الدعاوى بابها واسع؛ لكن من اهتمامه بالحقائق، فالدعاوى إن لم تؤيدها الحقائق والبراهين فهي دعاوى فاسدة وباطلة وإن كان فيها نوع حق لا قيمة له.

۞ قال: واقتضى الإقرار بها أن تعلمَ أن كلَّ ما فيه أَمَارةٌ للحدَثِ، فإنه لا يكون إلهاً؛ فإذا قلت: (لا إلهَ إلا اللهُ) فقد اشتمل نطقُكَ هذا على أن ما سوى الله ليس بإلهٍ؛ فيلزمُك إفرادُه ـ سبحانَه ـ بذلك وحدَه، قال: وجملةُ الفائدةِ في ذلك أن تعلمَ أن هذه الكلمةَ هي مشتملةٌ على الكفرِ بالطاغوت والإيمانِ بالله؛ فإنكَ لما نفيتَ الإلهيةَ، وأثبتَّ الإيجابَ لله ـ سبحانَه ـ كنت ممن كفرَ بالطاغوت وآمنَ بالله.

وقال أبو عبدِ الله القُرطُبيُّ في «التفسير»: (لا إلهَ إلا هُوَ) أي: لا معبودَ إلا هو[1].»[2] [٨٣]

[شرح٨٣] وعبارة القرطبي هذه ناقصة، ينقصها كلمة «بحق» فقوله: لا معبود إلا هو، لا يكفي، وهذا لو أخذ على ظاهره، دخل في مذهب الوجودية، وعلى وحدة الوجود؛ فإن الذين يدَّعون وحدة الوجود يقولون: ما عبد إلا الله، ولو عبد فرعون: ولو عبد العجل، فما عبد إلا الله؛ لأنهم يرون أن هذه المخلوقات مظاهر لله، =

---

(١) «تفسير القرطبي» (١/ ١٩١)، الآية: ١٩٣، من سورة البقرة.

(٢) ص٤٦-٤٧.

....

= فمن عبد العجل أو عبد فرعون أو عبد الأصنام فقد عَبَد الله، نسأل الله العافية.

فهذه انتكاسة في القلب غاية الانتكاسة، فهذا يمشي على هذا القول، فإذا قلنا: لا معبود إلا الله مطلقاً، فمعنى ذلك أن اللات والعزى وما أشبه ذلك هي الله - ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٣] - فمن عبد غيره فقد عبده، فهذا ضلال بعيد، ونقد للحقائق، وكفر فيما جاءت به الرسل؛ ولهذا لا بد من قيد، قال ﷻ في كتابه العظيم في سورة الحج ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، وهكذا في سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان:٣٠]، المقصود أنه أوضح ﷻ أن المعبود بحق هو الله وحده - جل وعلا - دون كل ما سواه، ﷻ.

۞ وقال الزَّمَخشَرِيُّ: (الإلهُ) مِن أسماءِ الأجناسِ؛ كالرجلِ والفرسِ، اسمٌ يقعُ على كلِّ معبودٍ بحقٍّ أو بباطلٍ، ثم غلبَ على المعبودِ بحقٍّ[1].[2] [٨٤]

[شرح٨٤] كلام جيد؛ لكن قوله: «غلب» فيه نظر؛ فلو قال: ثم جاءت الرسل ببيان أنه بحق؛ أما المشركون فلم يغلب عندهم هذا، وغلب عليهم أن يقولوا: بحق الإله، وغلب عليهم أن الآلهة كلها صالحة.

لكن هذا إنما جاءت الرسل ببيانه، وردت على المشركين من سائر الأصناف، كمشركي أهل الكتاب، ومشركي العرب، ومشركي غيرهم؛ فإن الآلهة نفسها عند العرب وعند العجم؛ فإن العرب عندهم آلهة، والرومان عندهم آلهة، والمجوس عندهم آلهة، وسائر الأمم والطوائف؛ كل طائفة ترى أن آلهتها صالحة لمن عبدته، وأنها أولى بما صارت إليه، وربما فخرت على غيرها، كما تفخر قريش على غيرهم بالعزى، وكما تفخر ثقيف على غيرها بأن =

---

(١) «الكشاف» (١/ ٣٦)، تفسير البسملة.

(٢) ص٤٧.

....

= إله اللات أولى من غيره، وهكذا.

فالمقصود أنهم لُبِّسَ عليهم الأمرُ، فصارت كل طائفة، أو كل قبيلة، أو كل أهل ناحية، يرون أنهم قد حصلوا شيئاً بهذا الإله وغيره من الآلهة التي عندهم، ويفخرون بها على من سواهم؛ لكن جاءت الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تصحح الأوضاع، وتبين الحقائق، وجاءت الكتب من الله ﷻ لبيان ما هو الحق من هذه الأمور، وأن الإله الحق الذي يجب أن يعبد، ويجب أن يطاع أمره، ويجب أن يوقف على الحدود التي حدَّها ﷻ هو الله وحده ـ جل وعلا ـ فقول الزمخشري: (ثم غلب) فيه نظر، وعليه أن يقول: ثم جاءت الرسل، أو ثم بعث الله الرسل، أو ثم نزلت الكتب، أو ثم قال في الأدلة، فهذا أصوب.

۞ وقال شيخُ الإسلامِ: الإلهُ هو المعبودُ المطاعُ[1]. [٨٥]

[شرح٨٥] تقدم في المقدمة أن المراد بشيخ الإسلام هو ابن تيمية، فإذا أطلق فالمراد أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرّاني المعروف، صاحب التصانيف السائرة، وصاحب الأقوال السديدة، المجتهد المطلق الإمام، رحمة الله عليه، المتوفى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، فهو من أعيان المئة السابعة والثامنة جميعاً، ومن مجتهدي القرنين السابع والثامن.

(١) ص٤٧.

۞ وقال أيضاً: في (لا إلهَ إلا اللهُ): إثباتُ انفرادِه بالإلهيةِ، والإلهيةُ تتضمَّن كمالَ علمِه وقدرتِه ورحمتِه وحكمتِه، ففيها إثباتُ إحسانِه إلى العبادِ؛ فإنَّ الإلهَ هو المألوهُ، والمألوهُ هو الذي يستحقُّ أن يُعبَدَ.

وكونه (يستحقُّ أن يُعبَدَ) هو بما اتَّصفَ به من الصفاتِ التي تستلزم أن يكونَ هو المحبوبَ غايةَ الحبِّ، المخضوع له غايةَ الخضوعِ[1]. [٨٦]

[شرح٨٦] ولهذا في إثبات توحيد العبادة لله وحده، في إثبات ذلك ضمناً، إثبات توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن من كان مستحقاً للعبادة دون كل ما سواه هو المألوه بحق، وهو الذي يستحق أن يحب غاية المحبة، ويذل له غاية الذل، ويخضع له غاية الخضوع، ويطاع غاية الطاعة، وما ذاك إلا لأنه الكامل في ربوبيته وأسمائه وصفاته، وقادر على كل شيء، يسمع دعاء الداعين، ويقدر على إجابتهم، وينفع ويضر، ويعطي ويمنع، إلى غير ذلك. =

---

(١) ص٤٧.

....

= فدخول الربوبية والأسماء والصفات في توحيد العبادة من الدخول ضمناً؛ أي: أن إقرار العبد بتوحيد الألوهية، وأن الله هو المستحق للعبادة، يدخل في ضمنه إقراره وإيمانه بأنه ربّه وخالقه ورازقه، وأنه كامل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ لولا ذلك لما خضع وعَبَدَ الله، واعترف أنه مستحق للعبادة، فلما انتفت هذه الأمور عن آلهة المشركين، صارت غير صالحة، وصارت باطلة؛ لأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تنفع ولا تضر، ولا تستقل بالأشياء؛ بل هي عاجزة مرزوقة مخلوقة*.

---

* **س: أكثر المتكلمين لا يعرف من معنى التوحيد إلا توحيد الربوبية فقط، فهل يكونون موحدين؟**

ج: هذا هو المعروف عندهم، ولكنهم لا يكونون موحدين إلا بتوحيد العبادة؛ أي: الإيمان بأن الله هو المستحق للعبادة ـ جل وعلا ـ أما أكثر المتكلمين لا يعرف إلا توحيد الربوبية، حتى قالوا: لا إله إلا الله، أي: لا قادر إلا الله، أو لا خالق إلا الله، أو ما أشبه ذلك.

س: أكثر الكتب العصرية الجديدة التي ملأت الأسواق بأسماء كتب إسلامية لا تقرر إلا هذا الجانب، وأكثر الشباب يتناولها ويهضمها ويتصور =

....

= ما فيها، ويمكن أن تظهر آثارها عليه، ولذلك فالكلام في توحيد العبادة ـ الآن ـ صار مرغوباً عنه عند أكثر الناس.

ج: وهذا مما يوجب على طلبة العلم الاستكثار من بحث هذا الموضوع، ويوجب أيضاً نشر الكتب التي تقرر هذا الشيء، وتوضحه وتبينه بين الناس وفي المكاتب، ولا يكفي مجرد نشرها بالمجان؛ لأنه إنما يكون لبعض الناس دون بعض؛ لكن إذا نشرت عن طريق التجارة في المكاتب التي فيها البيع، عمّ نفعها للناس، لأن بعض الناس قد لا يدرك الشيء الذي يوزع، ولا يهتم بالتوزيع، ولا يطلبوا الشيء الذي يوزع بالمجان؛ لكن إن كانت في المكاتب نفعت الناس من طريق الشراء.

۞ وقال ابنُ القيِّم، رحمه الله: الإله هو الذي تَألَـهُه القلوبُ محبَّةً وإجلالاً، وإنابةً، وإكراماً وتعظيماً، وذُلاً وخُضوعاً، وخوفاً ورَجاءً، وتوكُّلاً(١). [٨٧]

[شرح٨٧] ابن القيم معروف ـ رحمة الله عليه ـ فهو أشرف وأفضل وأشهر تلاميذ أبي العباس المتقدم شيخ الإسلام، وهو الذي عُنيَ غاية العناية بنشر كلمات شيخه وإمامه أبي العباس، ونشر كتبه، والعناية بما في كتبه من الخير، وكذلك نشرها بين الناس، والدعوة إلى ما فيها من التحقيق، وقد ألف المؤلفات الكثيرة العظيمة التي من تأملها، عرف فقهه وفضله وعلمه، وما أعطاه الله من سَعَة الباع في العلوم كلها، وكان من مواليد عام ست مئة وإحدى وتسعين، وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة إحدى وخمسين وسبع مئة، بعد شيخه بمدة، بثلاث وعشرين سنة، رحمه الله.

---

(١) ص٤٧.

۞ وقال ابنُ رَجَبٍ، رحمه الله: الإلهُ هو الذي يُطاع، فلا يُعصَى هيبةً له، وإجلالاً ومحبَّةً، وخوفاً ورجاءً، وتوكُّلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يَصلُح ذلك كلُّه إلا لله عَزَّ وَجَلَّ[1]. [٨٨]

[شرح٨٨] من جعل مخلوقاً بهذه المثابة حياً أو ميتاً فقد عبده، وجعل مخلوقه الذي يحبه ويألهه، ويتوكل عليه، ويعتقد فيه أنه صالح لذلك، وأنه الذي يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وما أشبه ذلك من خصائص الإلهية، فقد عبده، والله المستعان.

---

(١) ص٤٧.

۞ فمن أشركَ مخلوقاً في شيءٍ من هذه الأمورِ التي هي من خَصائصِ الإلهيةِ، كان ذلك قَدْحاً في إخلاصِه في قول: (لا إلهَ إلا اللهُ) ونقصاً في توحيدِه، وكان فيه من عبوديةِ المخلوقِ بحَسَبِ ما فيه من ذلك، وهذا كلُّه من فُروعِ الشِّركِ.

وقال البِقَاعيُّ: (لا إلهَ إلا اللهُ) أي: انتفى انتفاءً عظيماً أن يكونَ معبودٌ بحقٍّ غيرَ الملكِ الأعظمِ؛ فإنَّ هذا العِلمَ هو أعظمُ الذِّكْرَى المُنجيَة من أهوالِ الساعةِ، وإنما يكون عِلماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان الإذعانُ[1]، والعملُ بما تقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صَرفٌ.

وقال الطِّيبيُّ: (الإلهُ) فِعالٌ بمعنى مفعولٍ، كالكتابِ بمعنى المكتوب، مِن أَ لَهَ إلاهَةً كعَبَد عِبادةً، وهذا كثيرٌ جداً في كلام العلماءِ، وهو إجماعٌ منهم أنَّ الإلهَ هو المعبودُ؛ خلافاً لما يعتقدُه عُبّادُ القبورِ، وأشباهُهم في معنى الإلهِ أنه الخالقُ، أو القادرُ على الاختراعِ، أو نحوُ هذه العباراتِ، ويظنُّونَ =

(١) قال سماحة الشيخ: برفع الإذعان، يعني: إذا وجد معه الإذعان، وإذا قلت: إذا كان مع الإذعان، يكون أحسن وأوضح.

= أنهم إذا قالوها بهذا المعنَى، فقد أتَوْا من التوحيد بالغايةِ القُصْوَى، ولو فَعَلوا ما فَعَلوا من عبادةِ غيرِ الله، كدعاءِ الأمواتِ[1]. [٨٩]

[شرح٨٩] وإذا قيل لهم: إن هذا شرك، قالوا: لا، ما نعتقد أنهم خالقون، ولا رازقون، إنما نعتقد أنهم شفعاء عند الله، فلا يكون شركاً، المساكين هذا ظنهم.

وهو نفس ما قاله المشركون الأوائل سواء بسواء، فإن أهل الشرك وغيرهم ما قالوا: إنها آلهة تخلق وترزق، بل قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] .

فعُبّاد البدوي، وأشباه البدوي، وغيره، إذا قيل لهم: هذا شرك، استعظموا هذا، وأنكروا، وصاحوا، وزعموا أن الذي قال هذا الكلام كذا وكذا، رموه بالعظائم، وقالوا: ما يكون شركاً إلا لو اعتقدنا أنهم يخلقون، أو يرزقون، أو يدبرون هذا العالم، أو ما أشبه ذلك. =

---

(١) ص٤٧.

....

= أما ما دمنا ندعوهم ونرجوهم ونسألهم، معتقدين أنهم شفعاء، لا خالقون، ولا رازقون، فليس هذا بشرك.

ومعنى ذلك أن أهل قريش وأشباههم ليسوا مشركين؛ لأنهم ما اعتقدوا إلا أنهم شفعاء، نسأل الله السلامة*.

---

* **س: إن رأيت أحداً يدعو صاحب القبر ويستغيث به، فهو مصاب بالشرك، فهل أدعوه على أنه مسلم، أم أدعوه على أنه مشرك، إذا أردت أن أدعوه إلى الله ﷻ، وأن أبيّن له؟**

ج: ادعه بعبارة أخرى، لا هذه ولا هذه، قل له: يا فلان يا عبد الله عملك هذا الذي فعلته شرك، وليس عبادة، هو عمل المشركين الجاهليين، عمل قريش وأشباه قريش؛ لأن هنا مانعاً من تكفيره، ولأن فيه تنفيره، أول ما تدعوه؛ ولأن تكفير المعين غير العمل الذي هو شرك، فالعمل شرك، ولا يكون العامل مشركاً، فقد يكون المانع من تكفيره جهله أو عدم بصيرته، على حد قول العلماء، وأيضاً في دعوته بالشرك تنفير، فتدعوه باسمه، ثم تبين له أن هذا العمل شرك.

س: ما الراجح في تكفير المعيَّن؟

ج: إذا قامت عليه الأدلة والحجة الدالة على كفره، ووضح له السبيل، =

....

= ثم أصر، فهو كافر.

لكن بعض العلماء يرى أن من وقعت عنده بعض الأشياء الشركية، وقد يكون ملبساً عليه، وقد يكون جاهلاً، ولا يعرف الحقيقة، فلا يكفره، حتى يبين له، ويرشده إلى أن هذا كفر وضلال، وأن هذا عمل المشركين الأولين، وإذا أصر بعد البيان يحكم عليه بكفر معين.

س: ما حكم الذين يزورون الكهان، ويبيّن لهم، ثم يعودون؟

ج: يبين لهم أن هذا معصية كبيرة في الدين، والواجب عليهم ترك هذا الشيء، وهو من الشرك بالله.

س: وما الحكم إذا بيّن لهم هذا، ثم عادوا مرة أخرى؟

ج: يستحقون الهجر، والتأديب، فيضربون، ويسجنون، أما إذا كانوا يزعمون أنهم يعلمون الغيب فهذا كفر. وإلا فيجب أن يعلموا أن هذا لا يجوز، وإذا كان عندك قدرة على سجنهم وتأديبهم، اسجنهم وأدبهم، كالأمير ونحوه.

س: هل نكفر هذا الشخص التي قامت عليه الأدلة، وأصر، وكان إصراره مبنياً على شبهة قوية؟

ج: ما دام الأدلة قامت عليه فلا يبالى به، فيستحق التكفير، فمن قامت عليه الأدلة فإنها تكفيه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ =

....

= ﴿يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٥]، فما قال: حتى يتبين، بل قال: ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم﴾ فالمفروض البيان، فالرسل جاءت للبلاغ والبيان، ولو لم يفهم الناس، قال الله في القرآن: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ و﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾، فإذا قامت عليهم الأدلة كفى، ولو قالوا: ما فهمنا وما عقلنا، لأن الله قال: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ و﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾.

۞ والاستغاثةِ بهم في القُرباتِ، وسؤالِـهم قضاءَ الحاجاتِ، والنذرِ لهم في المُلِمّاتِ، وسؤالِهم الشفاعةَ عندَ ربِّ الأرضِ والسماواتِ، إلى غيرِ ذلك من أنواع العباداتِ.

وما شعروا أن إخوانَـهم من كفارِ العربِ يشاركونـهم في هذا الإقرارِ، ويعرفون أن الله هو الـخالقُ القادرُ علـى الاختـراعِ، ويعبدونه بأنواعٍ من العباداتِ، فَليَهنَ أبو جهلٍ وأبو لهبٍ ومَن تبعَهما بحُكمِ عُبّاد القبورِ[1]. [٩٠]

[شرح٩٠] فليهنأ أبو جهل وأبو لهب على هذه العقيدة التي أعطاه إياها عباد القبور، أنه ما عاش على شرك، لأن عباد القبور حكموا لهم بالإسلام*.

---

* س: (ومن تبعهما) أو (ومن يتبعهما)؟

ج: الأمر قريب، لكن الفعل الماضي أحسن، لأنه يشمل من تبعهما في الماضي ومن سيتبعهما في المستقبل، و«يتبعهما» أيضاً مستقيمة.

س: هل يسوغ للشاب أن يخرج باسم الدعوة، ولا يجد في خروجه إلا =

---

(١) ص٤٧-٤٨.

....

= تقرير هذا التوحيد، الذي هو معنى القادر على الاختراع، أو الاستفادة من قدرة الله، أي: معنى لا إله إلا الله؟ هل يسوغ له أن يخرج من بلاد التوحيد ليقوي إيمانه وليتعلم الدعوة، لكنه لا يجد إلا هذا التوحيد؟

ج: يضم إليه التوحيد الآخر.

س: لكنه جاهل؟

ج: لا بد أن يضم إليه التوحيد الآخر، أو أن يخرج لمعنى آخر، لتوضيح معاني الأحكام الشرعية للمسلمين، لا للكافرين؛ لأن الكافر يدعى أولاً للتوحيد.

﴿ وَلْيَهنَ أيضاً إخوانُهم، عُبّادُ وَدٍّ وسُوَاعٍ ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسرٍ، إذ جعل هؤلاء دينَهم هو الإسلامَ المبرور.

ولو كان معناها ما زعمَه هؤلاء الجهّالُ لم يكن بين الرسولِ ﷺ وبينهم نزاعٌ، بل كانوا يبادِرون إلى إجابتِه، ويلبُّون دعوتَه، إذ يقول لهم: قولوا: لا إلهَ إلا اللهُ، بمعنى أنه لا قادرَ على الاختراع إلا اللهُ، فكانوا يقولون: سمعنا وأطعنا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ الآية [يونس: ٣١]، إلى غير ذلك من الآيات.

لكنَّ القومَ أهلُ اللسانِ العربي، فعلموا أنها تهدِمُ عليهم دعاءَ الأمواتِ والأصنامِ من الأساسِ، وتكُبُّ بناءَ سؤالِ الشفاعةِ من غيرِ الله، وصرفَ الإلهيةِ لغيره لأُمِّ الرّاسِ، =

= فقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص:٥]، فتَبّاً لمن كان أبو جهلٍ ورأسُ الكفرِ من قريشٍ وغيرُهم أعلمَ منه بـ«لا إلهَ إلا اللهُ».

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ [الصافات]، فعرفوا أنها تقتَضي تركَ عبادة ما سوى الله، وإفرادَ الله بالعبادةِ، وهكذا يقول عُبّادُ القبورِ إذا طلبتَ منهم إخلاصَ الدعوةِ والعبادةِ لله وحدَه: أنترُكُ سادتَنا وشفعاءَنا في قضاءِ حوائجِنا.

فيُقال لهم: نعم، وهذا التَّركُ والإخلاصُ هو الحقُّ، كما قال تعالى: ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧][1]. [٩١]

[شرح٩١] وهذا نفس قول عاد، لما قال لهم هود: اعبدوا الله، ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ =

---

(١) ص٤٨.

....

= ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:٧٠]، فأبوا عليه وطلبوا أن يأتيهم بالعذاب، نسأل الله العافية.

وقول المؤلف: (تَكُب): لأنه يتعدى في الثلاثي، ويلزم في الرباعي: أكبَّ على كذا، لا يتعدى، وكب يكب: طرحه، وفي الحديث: «وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وُجوهِهم إلا حصائدُ ألسنتهم»[1].

هذا من الكلمات القليلة التي إذا دخلتها الهمزة صارت لازمة، وإذا حذفت الهمزة صارت متعدية: أكب يكب، لازم، وكب يكب، متعد. و«تكب» معطوفة على «تهدم» مرفوعة.

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦١٦)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٧٣).

۞ فـ«لا إلهَ إلا اللهُ» اشتَملَت على نفيٍ وإثباتٍ، فنَفَتِ الإلهيةَ عن كلِّ ما سوى الله تعالى، فكل ما سواه من الملائكةِ والأنبياءِ، فضلاً عن غيرِهم، فليس بإلهٍ، ولا له من العبادةِ شيءٌ.

وأثبتَتِ الإلهيةَ لله وحدَه، بمعنى أن العبدَ لا يَألَهُ غيرَه، أي: لا يقصدُه بشيءٍ من التَّأَلُّه، وهو تعلقُ القلبِ الذي يوجبُ قصدَه بشيءٍ من أنواع العبادةِ؛ كالدعاءِ والذبحِ والنذرِ وغيرِ ذلك، وبالجملةِ فلا يَألَهُ إلا اللهَ، أي: لا يَعبدُ إلا هو، فمن قال هذه الكلمةَ عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفيِ الشركِ، وإثباتِ الوحدانيةِ لله، مع الاعتقادِ الجازمِ لما تضمَّنته من ذلك، والعملِ به فهذا هو المسلمُ حقّاً، فإن عَمِل به ظاهراً من غيرِ اعتقادٍ، فهو المنافقُ، وإن عَمِل بخلافِها من الشركِ فهو الكافرُ ولو قالها.

ألا تَرى أن المنافقين يعملون بها ظاهراً، وهم في الدَّركِ الأسفلِ من النارِ، واليهودَ يقولونها، وهم على ما هم عليه من الشركِ والكُفرِ، فلم تنفَعهم. =

= وكذلك مَن ارتدَّ عن الإسلامِ بإنكارِ شيءٍ من لوازِمِها وحقوقِها، فإنها لا تنفعُه، ولو قالها مئةَ ألفٍ، فكذلك مِن يقولها ممن يصرِفُ أنواعَ العبادةِ لغيرِ الله، كعُبّادِ القبورِ والأصنامِ، فلا تنفعُهم، ولا يدخلون في الحديثِ الذي جاء في فضلِها وما أشبهه من الأحاديثِ.

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ ذلك بقوله: «وحدَه لا شريكَ»(١) تنبيهاً على أن الإنسانَ قد يقولُها، وهو مشركٌ كاليهودِ والمنافقينَ وعُبّادِ القبورِ، لما رَأَوْا أن النبيَّ ﷺ دعا قومَه إلى قولِ: «لا إلهَ إلا اللهُ» ظنُّوا أنه إنما دعاهم إلى النُّطقِ بها فقط، وهذا جهلٌ عظيمٌ.

وهو ـ عليه السلامُ ـ إنما دعاهم إلى أن يقولوها، ويعملوا بمعناها، ويتركوا عبادةَ غيرِ الله، ولهذا قالوا: ﴿أَإِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦]، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥] فلهذا أَبَوْا عن النُّطقِ بها، وإلا =

---

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف ذكره في الفقرة [٧٦]، ص١٨٠.

= فلو قالوها، وبَقُوا[1] على عبادةِ اللّاتِ والعُزَّى ومناةَ، لم يكونوا مسلمين، ولقاتلَهُم ـ عليه السلام ـ حتى يخلعوا الأندادَ، ويتركوا عبادتَها، ويعبدوا اللهَ وحدَه لا شريكَ له.

وهذا أمرٌ معلومٌ بالاضطرارِ من الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ.

وأما عُبّادُ القبورِ فلم يعرفوا معنى هذه الكلمةِ، ولا عَرَفوا الإلهيةَ المنفيَّة عن غيرِ الله، الثابتةَ له وحدَه، لا شريكَ له، بل لم يعرفوا من معناها إلا ما أقرَّ به[2] المؤمنُ والكافرُ، واجتمع عليه الخَلقُ كلُّهم، من أن معناها: لا قادرَ على الاختراعِ، أو أن معناها: الإلهُ هو الغنيُّ عما سواه، الفقيرُ =

---

(١) قال سماحة الشيخ: وبَقُوا بضم القاف، إذا كان الفعل الماضي على صيغة فَعِلَ وهو معتلٌّ بالواو يضم: كبَقُوا ورَضُوا.

(٢) أحد الطلبة: عندنا بالمطبوعة: (لم يعرفوا من معناه إلا ما أقر به...)، وفي المخطوطة: (لم يعرفوا من معناها...) فما الصواب؟

الشيخ: الصواب ما في المخطوطة: معناها، بالتأنيث، يعني: لا إله إلا الله. و(معناه) له وجه، أي: معنى الكلام، ولكن التأنيث أوضح.

أحد الطلبة: عبارة أخرى زائدة في المخطوطة دون المطبوعة: لا قادر على الاختراع أو لا خالق إلا الله.

الشيخ: الموجود في المطبوع كاف، وإن زيدت فهو حسن.

= إليه كلُّ ما عداه، ونحو ذلك.

فهذا حقٌّ، وهو من لوازمِ الإلهيةِ، ولكن ليس هو المرادَ بمعنى «لا إلهَ إلا اللهُ»(١). [٩٢]

[شرح٩٢] وما ذاك إلا لأن هذا معلوم لدى الجميع، حتى عباد الأوثان وغيرهم، فمعلوم لدى الجميع أن الله هو الخالق الرازق المدبر، الغني بذاته عن كل ما سواه، القادر على الاختراع، وهذا أمر معلوم، أقرَّته قريش وغيرهم.

وإنما الخلاف والنزاع بين الرسل والأمم أن يُخصَّ بالعبادة، أو أن يُدعَى معه سواه، ويُعبَد معه سواه، ويرجى سواه، ونحو ذلك، فهذا محل النزاع بين الرسل والأمم.

أما كونه قادراً خالقاً رازقاً مدبراً إلى غير ذلك فهذا معلوم لدى الجميع، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وما قال: أن اعترفوا بأن الله خالقكم ورازقكم، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]. =

---

(١) ص٤٨-٤٩.

....

= فالنزاع بينهم في ألوهيته، في اختصاصه بها، دون ما سواه، فالرسل قالت: هو مختص بها، وأعداؤهم قالوا: لا، مشتركة بينه وبين غيره، على أنه يملكه وما ملك، على أنهم شركاء غير مستقلين، بل يملكهم الله، كما كانت تلبية قريش: «لَبَّيكَ لا شرِيكَ لكَ إلا شرِيكاً هو لكَ تملكُه وما مَلَكَ»[1].

فهم يقولون: هم مخلوقون؛ لكنهم شفعاء ووسائط، نعبدهم وندعوهم ونلجأ إليهم، لا لأنهم يدبِّرون العالم ويخلقون ويرزقون، ولكن لأنهم شفعاء ووسائط، وقد غلا بعض المتأخرين، وصار شرّاً من الكفار الأولين، حتى جعل لبعض المخلوقين تصرفاً في الكون وتدبيراً للأكوان، نسأل الله العافية.

(١) أخرجه مسلم: الحج (١١٨٥).

۞ فإن هذا القدَرَ قد عَرَفه الكفارُ، وأقرُّوا به، ولم يَدَّعوا في آلهتِهم شيئاً من ذلك، بل يُقرُّون بفقرهم، وحاجتِهم إلى الله، وإنما كانوا يَعبُدونهم على معنى أنهم وسائطُ وشفعاءُ عند الله في تحصيلِ المطالِبِ ونجاحِ المآرِبِ، وإلا فقد سَلَّمُوا الخلقَ والمُلكَ والرزقَ والإحياءَ والإماتةَ والأمرَ كلَّه لله وحدَه لا شريكَ له، وقد عَرَفوا معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» وأبَوْا عن النُّطقِ والعملِ بها[1]. [٩٣]

[شرح٩٣] عرفوا عن بصيرة أن هذا الكلمة، وهي (لا إله إلا الله)، تبطل ما هم عليه من الباطل، وتجتثه من أصله، ولهذا قالوا لما أمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: «لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥] عرفوا أنها تبطل آلهتهم، وأنها تقتضي إبطال العزى ومناة واللات وأشباه ذلك، وقالوا كما ذكره في الآية أخرى في سورة الصافات: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦].

فهم عرفوا أن هذه الكلمة معناها إبطال ما هم عليه، ولم يعتقدوا أنها مجرد كلام فقط كما يظنه جهال اليوم من عباد =

---

(١) ص٤٩.

....

= القبور، فيقولون: لا إله إلا الله، ويطوفون بالقبر، ويعبدونه من دون الله، فلا يعرفون ولا يدرون أن هذا من الشرك، وهذا من الجهل العظيم.

أما أولئك أبو جهل وأشباهه فعرفوا معناها، ولكنهم عاندوا، وكابروا، ولهذا أخبر ﷺ أنهم يعرفون صدق ما جاء به ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكنه الجحد والحسد ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

فهذه حالهم ـ نعوذ بالله ـ مثل حال اليهود، وحال رؤساء الكفار وأذكيائهم، فيعرفون أن هذا حق، لكن حب باطلهم، وتقليد آبائهم، وتعظيم أسلافهم، والتكبر عن اتباع من جاءهم بالحق، حملهم على أن يحسدوا، وأن يستنكروا ما قاله، وأن يكابروا، ويغالطوا، حتى قالوا: شاعر، وقالوا: مجنون، وقالوا: ساحر، وقالوا: كاهن، وهم يعرفون أنهم كاذبون في هذا كله، بل يعرفون أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الصادق الأمين، وكل هذا الذي يقولونه كذب، وباطل، وهم يعرفون أنه باطل، وأنه كذب، فهم =

....

= يعرفون هذا، ولكنهم يلبسون على العامة والجهلة من أهل بلادهم، ومن القادرين عليهم، نسأل الله السلامة.

۞ فلم ينفعهم توحيدُ الربوبيةِ مع الشِّركِ في الإلـهيةِ، كما قال تعالـى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦][1]. [٩٤]

[شرح٩٤] لما تلا ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هذه الآية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ قال: تسألهم من خلق السماوات؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره[2]، فإيمانهم إقرارهم بأن الله الخالق الرازق، وأنه خالق السماوات والأرض، وكفرهم تعلقهم على غيره في الدعاء والتوجه والضراعة والشفاعة وغير ذلك، والشرك إذا قارن الإيمان أبطله، فالضدان لا يجتمعان، بل نقيضان، لا يجتمعان ولا يرتفعان، فالإنسان إما مشرك وكافر، وإما مسلم، فلا يقال: مسلم كافر، ولا يقال: لا مسلم ولا كافر.

---

(١) ص٤٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٠٣٤).

۞ وعُبّادُ القبورِ نطقُوا بها، وجهلوا معناها، وأبَوْا عن الإتيانِ به، فصاروا كاليهودِ الذين يقولونها، ولا يعرفون معناها، ولا يعملون به[1]. [٩٥]

[شرح٩٥] قوله: «ولا يعرفون معناها ولا يعملون به» لا يستقيم، والصواب «ويعرفون معناها ولا يعملون به» فاليهود يعرفون معناها، ولكنهم لا يعملون به ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، والصواب حذف «لا»، فلا يصح التشبيه إلا إذا كانوا يعرفونها.

---

(١) ص٤٩.

۞ فتجد أحدَهم يقولها، وهو يَألَهُ غيرَ الله بالحبِّ والإجلالِ والتعظيمِ والخوفِ والرجاءِ والتوكُّلِ والدعاءِ عند الكَربِ.

ويَقصِدُه بأنواع العبادةِ الصادرةِ عن تَألُّهِ قلبِه لغيرِ الله مما هو أعظم مما يفعله المشركون الأولون.

ولهذا إذا تَوَجَّهَت على أحدِهم اليمينُ بالله تعالى أعطاكَ ما شئتَ من الأيمانِ صادقاً أو كاذباً، ولو قيل له احلف: بحياةِ الشيخِ فلان، أو بتربتِه ونحو ذلك، لم يحلف، إن كان كاذباً، وما ذاك إلا لأن المدفونَ في الترابِ أعظمُ في قلبِه من ربِّ الأربابِ(١). [٩٦]

[شرح٩٦] وهذا الحَلِف بغير الله لا يجوز، لكن لو قيل له على سبيل التخويف والتهديد، فلا يجوز الحلف بغير الله، كما جاء به النص والإجماع عن النبي ﷺ: «مَن كان حالفاً فليَحلِف بالله أو لِيَصمُت»(٢)، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من حَلَفَ بغيرِ الله =

(١) ص٤٩.

(٢) أخرجه البخاري: الشهادات (٢٦٧٩)، ومسلم: الأيمان (١٦٤٦).

....

= فقد كَفَرَ أو أشرَكَ»[١]، وقال: «من حَلَفَ بالأَمانة فليس منّا»[٢]، وقال: «لا تَحلِفُوا بآبائِكم، ولا بأُمَّهاتِكُم، ولا بالأندادِ، ولا تَحلِفوا بالله إلا وأنتُم صادِقون»[٣].

فالذي يفعله بعض الناس الآن، وما يسمع في الإذاعة، أو في الصحافة، أو في كذا، أو في التلفاز، أو ما أشبه ذلك، كله باطل، فيحلف بعضهم بحياة فلان، أو بشرف فلان، أو بالأمانة، أو بالنبي؛ كما يقع على ألسنة كثير من الناس «بالنبي»، وكل هذا من الحَلِف بغير الله، ومن الشرك الذي حرمه الله.

وهو الشرك الأصغر بالجملة، وقد يكون الأكبر في بعض الأحيان، إذا صدر عن تعظيم للمخلوق مثل تعظيم الله، أو الاعتقاد بأن المخلوق يعلم الغيب أو كذا، فصار شركاً بالله أكبر، نسأل الله العافية. =

(١) أخرجه الترمذي: النذور والأيمان (١٥٣٥)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٥١).

(٢) أخرجه أبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٥٣).

(٣) أخرجه النسائي: الأيمان والنذور (٣٧٦٩)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٤٨).

....

= فالحاصل أن الحلف بغير الله منكر وشر وفساد، وهو من المحرمات الشركية، لكن لو قيل لهذا الشخص المعظم، كعباد البدوي، أو عباد الحسين، أو عباد عبد القادر: قل: بحياة البدوي، أو بحياة الحسين، أو بحياة عبد القادر: أنك ما فعلت كذا وكذا، وهو كاذب ـ فيمتنع، ولا يستطيع، وتصيبه رعدة، نسأل الله العافية؛ لأنه يخاف من عبد القادر، ويخاف من الحسين، ويخاف من البدوي، ويقول: إن عقوبة الشيخ الولي أعجل من عقوبة الله، هكذا سمعنا عنهم وبلغنا عنهم، نسأل الله العافية*.

---

* س: الحلف بالحي هل يعتبر كفراً؟

ج: لا، هو من الشرك الأصغر إلا إذا اقترن به تعظيم للمخلوق مثل عظيم الله، أو اعتقاد شيء بالمخلوق، فيصير كفراً، وإلا فالأصل أنه من المحرمات الشركية، ولهذا كان الصحابة يحلفون بآبائهم في المدنية، ثم نهاهم النبي ﷺ بعد ذلك.

س: يقرأ عن بعض الصحابة، وقد استدل به الذين يحلفون بغير الله يقولون: قد قال فلان: لعمري إن كذا وكذا، وقد قاله بعد موت النبي ﷺ؟

ج: «لعمري» ليست من ألفاظ الحلف بغير الله، على الصحيح، فهذه =

....

= تأكيد لمقام، وليس من باب الحلف بغير الله، وقد قالها بعضهم مثل العباس وغيره، قال جمع من أهل العلم: إنها ليست من هذا الباب، فالحلف يكون بالواو والتاء وبالباء والهمزة، هذا المعروف من لغة العرب.

س: حديث: «أفلح وأبيه إن صدق»!

ج: هذا غير صحيح، وإن كان رواه مسلم[1]، فهو عند العلماء محرَّم وغلط، وعلى تقدير صحته كان قبل أن ينهى عن الحلف بغير الله، وقد اغتر به بعض الناس، ولكن الصواب في الجواب عنه: أن هذا كان قبل النهي، فصدر من النبي ﷺ قبل أن ينهى عن ذلك، حين كانوا يحلفون بآبائهم.

وقال آخرون: إن هذا جاء على لسانه من غير قصد، مثل: ثكلتك أمك، عقرى حلقى، تربت يداك، فما قصد ذلك، فالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ معصوم من الشرك، فقال ذلك وجرى على اللسان من غير قصد، وهو معصوم من الشرك، بخلاف غيره، فليس معصوماً، فلا يقر على ذلك.

س: كيف نفسر كلمة «فلعمري» أو «فلعمرك» إذا لم تكن من باب الحلف بغير الله؟

ج: تفسيرها كما ذكر بعض أهل العلم: حياتك قسمي، أو عمرك قسمي، فهي مبتدأ والخبر محذوف، لكنها ليست من باب القسم الممنوع، =

(١) مسلم: الإيمان (١١)(٩).

....

= هذا الصحيح فيها.

س: موجود في «فتوح الشام» للواقدي عبارات متكررة: (وعيش عاش فيه رسول الله)[1]؟

ج: هذه غير ثابتة عن الواقدي، ولا يعتمد عليها، فهي غير معروفة المصدر، وهي مكذوبة على الواقدي، هذا هو المعروف عند المحققين، أنها مكذوبة على الواقدي، وليست من مؤلفاته، ثم لو قدر أنه كتب ذلك فهو ضعيف في الرواية عند العلماء، ولا يحتج به في الرواية.

(١) انظر «فتوح الشام» ١/ ١٣٠، ١٣٢، ١٧١، ٢/ ١٣، ط. دار الجيل-بيروت.

۞ وما كان الأوَّلُون هكذا، بل كانوا إذا أرادُوا التشديدَ في اليمين، حَلَفوا بالله تعالى، كما في قصةِ القَسَامة التي وَقَعَت في الجاهليةِ، وهي في صحيح البخاري»[1].[2] [٩٧]

[شرح٩٧] أظنه يريد قصة عبد الله بن عبد المطلب؛ لما حلف عبد المطلب بالله إن اكتمل له عشرة أولاد أن يذبح أحدهم، فلما جاء عبد الله صار العاشر، فأراد ذبح عبد الله، فتوجهت إليه قريش، وقالوا: لا، بل نفديه بمائة من الإبل، وجعلوا القسامة مائة على عبد الله، وأن يؤدوا الدية[3].

أو هي قصة وقعت لبعض العرب، فكانوا قد اتهموا بعض الناس بالقتل، فاتفق رأيهم على أن يقسم منهم خمسون بالله العظيم أنه ما قتل، وأنهم لا يعرفون من قتل، ويؤدون الدية عن ذلك، فأقرها الإسلام، وصار من يتهم بالقتل بقرائن واضحة يحكم عليه =

---

(١) البخاري: مناقب الأنصار (٣٨٤٥).

(٢) ص٥٠-٥١.

(٣) بل لعل المقصود ما ورد في «البخاري» باب القسامة في الجاهلية، الحديث (٣٨٤٥).

....

= بالقسامة بالقتل أو الدية؛ كما قضى به النبي ﷺ في عبد الله بن سهل مع اليهود[١].

---

(١) أخرجه البخاري: الأدب (٦١٤٣،٦١٤٢)، ومسلم: القسامة (١٦٦٩).

۞ وكثيرٌ منهم وأكثرُهم يَرَى أن الاستغاثةَ بإلهِه الذي يعبدُه عندَ قبرِه أو غيرِه أنفعُ وأنجحُ من الاستغاثةِ بالله في المسجدِ، ويُصرِّحون بذلك، والحكاياتُ عنهم بذلك فيها طُولٌ(١). [٩٨]

[شرح٩٨] الصواب: فيها طول، وما في بعض الطبعات: (أطول) غلط، أي: فيها طول أن يذكرها.

وقد ألف بعضهم كتاباً سماه «مناسك حج المشاهد» في الحج إلى القبور بدلاً من الحج إلى الكعبة، فلهم في هذا أنواع من الغلو، نعوذ بالله*.

---

* س: من مؤلفه؟

ج: أظنه الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان. ذكره أبو العباس ابن تيمية(٢).

س: بعض المشركين إذا دعا غير الله قد يستجاب له فيكون فتنته أكبر؟

ج: قد يصادف قدراً فيستجاب، وقد يكون مضطراً، كما قال أبو =

---

(١) ص٥٠-٥١.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» ١٧/ ٤٩٨.

....

= العباس وغيره، فيستجاب له من أجل ضرورته لا من أجل صاحب القبر، وهذا من الفتن كما أنهم إذا دعوا العزى ومناة فقد تكلمهم الجن، وتقضي بعض حاجاتهم الممكنة، فيغترون بذلك.

لهذا قد يقع لأهل القبور فتن بسبب الجن، فقد تقضي حوائجهم، وقد تعمل لهم أعمالاً كثيرة، من إحضار نقود وأموال، ومن إحضار حيوانات، ومن إحضار أشياء، فتسرقها من الناس، أو مما عندها، وتأتيهم.

قد أخبرنا بعض علماء الهند: أن بعض المشركين طلب من إلهه الجني طيباً، فأحضر له طيباً بعد وقت، فلما نظر في الطيب فإذا طيب فلان واحد من تجار الهند فقده من دكانه.

فالمقصود أن الجن تعمل أشياء كثيرة، والشياطين تعمل لإغواء الناس وإضلالهم الشيء الكثير، وقصة العزى معروفة، لما قطع خالد الشجرة، وجاء إلى النبي ﷺ، وقال: إنه قطع الشجرة وأحرقها، فقال: «ما فعلت شيئاً، ارجع» فلما رجع، فإذا العزى جنية ناشرة شعرها تحثو التراب، تحمل التراب على رأسها، فأمها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى»[1].

فالمقصود أن الجن والشياطين تغوي أولياءها، وتضرهم، وتقضي =

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٤٨٣).

....

= بعض حوائجهم، وتخاطبهم من أصنامهم، ويكون فيها الجن، فيتحركون حتى يتحرك الصنم، ويسمع منه صوت، نسأل الله العافية.

فإذا دعا عند قبر البدوي، أو عند قبر الحسين، أو عند قبر ابن عَلْوان، أو ما أشبه ذلك، واستجيب له، فليس معنى ذلك أن ابن عَلْوان قضى حاجته في ذلك، ولكنه صادف قدراً أن تقضى هذه الحاجة، أو تقضى لضرورة وقعت له، حين دعا الله عند القبر، وهو مضطر، فالله يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].

ثم هم عبيده يرزقهم سبحانه، كافرهم ومسلمهم، ولولا حِلمُه ما أعطاهم شيئاً، وهم الآن في أنواع النعيم الدنيوي، وهم كفرة بالله، أعداء له، الشيوعيون والنصارى واليهود، إلى غير ذلك، قد حلم عنهم ﷻ، وأجلهم، ولم يعاجلهم بالعقوبات ﷻ فلا يغتر بهذا؛ كما قال ﷻ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦] نسأل الله العافية.

وأيضاً يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧] فالحاصل أن الكفرة قد يحصل لهم من الخيرات والأرزاق في الدنيا الشيء الكثير، وقد تجاب دعواتهم، وقد تقضى طلباتهم استدراجاً ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٤-٤٥].

۞ وهذا أمرٌ ما بلغ إليه شِركُ الأولينَ، وكلُّهم إذا أصابتهم الشدائدُ أخلَصُوا للمدفونين في الترابِ، وهَتفُوا بأسمائِهم، ودعَوهُم، ليكشفوا ضُرَّ المصابِ في البَرِّ والبحرِ، والسفرِ والإياب، وهذا أمرٌ ما فعلَه الأولون، بل هم في هذه الحالِ يخلصون للكبيرِ المتعالِ.

فاقرأ قولَه تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية [العنكبوت:٦٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٥٣-٥٤].

وكثيرٌ منهم قد عطَّلوا المساجدَ، وعَمَرُوا القبورَ والمشاهدَ، فإذا قَصَدَ أحدُهم القبرَ الذي يعظِّمُه أخذَ في دعاءِ صاحبِه باكياً خاشعاً ذليلاً خاضعاً بحيث لا يحصُل له ذلك في الجمعة والجماعات، وقيامِ الليلِ وأدبارِ الصلوات، فيسألونهم مغفرةَ الذنوبِ، وتفريجَ الكروبِ، والنجاةَ من =

= النار، وأن يحطُّوا عنهم الأوزارَ، فكيف يظنُّ عاقلٌ ـ فضلاً عن عالم ـ أن التلفظ بـ«لا إلهَ إلا اللهُ» مع هذه الأمورِ تنفعُهم[١].

وهم إنما قالوها بألسنتِهم، وخالفوها باعتقادِهم وأعمالِهم، ولا ريبَ أنه لو قالَها أحدٌ من المشركين، ونَطَق أيضاً بشهادةِ أن محمداً رسولُ الله، ولم يعرف معنَى الإلهِ، ولا معنى الرسولِ، وصَلَّى وصامَ وحجَّ، ولا يدري ما ذلك، إلا أنه رأَى الناسَ يفعلونَه فتابعَهم، ولم يفعل شيئاً من الشِّركِ، فإنه لا يشكُّ أحدٌ في عدمِ إسلامِه.

وقد أفتى بذلك فقهاءُ المغربِ كلُّهم في أولِ القرنِ الحادي عشر أو قبله، في شخصٍ كان كذلك؛ كما ذكره صاحب «الدّرّ الثمين في شرحِ المرشدِ المعين» من المالكية، ثم قال شارحه: وهذا الذي أفتَوْا به جَليٌّ في غايةِ الجلاءِ، لا يمكن أن يختلفَ فيه اثنانِ، انتهى. =

---

(١) قال سماحة الشيخ: (تنفعهم) بالتاء، من باب تأنيث المضاف للمضاف إليه:

وربما أكسبَ ثانٍ أوَّلا تأنيثاً انْ كان لحذفٍ مُوهَلَا

= ولا ريبَ أن عُبّادَ القبورِ أشدُّ من هذا؛ لأنهم اعتقدوا الإلهيةَ في أربابٍ متفرِّقين.

فإن قيل: قد تبيَّنَ معنى الإلهِ والإلهيةِ، فما الجوابُ عن قول من قال بأن معنى الإلهِ القادرُ على الاختراعِ، ونحو هذه العبارة؟

قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قولٌ مبتدَعٌ لا يُعرَف أحدٌ قاله من العلماء، ولا من أئمةِ اللُّغةِ، وكلامُ العلماءِ وأئمةِ اللغةِ هو معنى ما ذكَرنا كما تقدَّم، فيكون هذا القولُ باطلاً(١). [٩٩]

[شرح٩٩] باطلاً؛ لأنه مخالف لكلام أئمة اللغة، وكلام الله وكلام رسوله يُفَسَّر بلغة العرب المعروفة، أو بما جاء به النبي إن كان فيه نص، أما أن يفسر بكلام المتأخرين، وأصحاب الكلام الذي أخذوه عن أفلاطون، وعن أرسطو، وعن غيرهم من الفلاسفة، فلا يلتفت إلى هذا ، فكلام الله وكلام رسوله يُفسَّران بما نزلا به من =

---

(١) ص٥٠.

....

= لسان العرب وكلام العرب، إلا إذا وجد في النص تفسير، أو كان النص نفسه من كتاب الله أو سنة رسوله استغني به عن كل شيء.

ولكن إذا لم يكن هناك تفسير من الله ولا من رسوله، فإنه يرجع إلى اللسان الذي نزل به القرآن وجاءت به السنة، وأما تفسير كلمة من كلام الله أو كلمة من كلام رسوله ﷺ، مما أحدثه الناس واخترعه الناس فلا.

۞ الثاني: على تقديرِ تسليمِه، فهو تفسيرٌ باللازم للإلهِ الحقِّ، فإن اللازمَ له أن يكونَ خالقاً قادراً على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك، فليس بإلهٍ حقٍ، وإن سُمِّيَ إلهاً، وليس مرادُه أن من عَرَف أن الإلهَ هو القادرُ على الاختراع فقد دخلَ في الإسلامِ، وأتى بتحقيقِ المَرامِ من مفتاح دارِ السلامِ[1]. [١٠٠]

[شرح١٠٠] فعلى القول الثاني إذا قلنا: إن تصحيفه من باب أنه صحيح، أو من باب تفسير الكلام الذي أتى به لا بحقيقته التي وضع لها، وجماعة من أهل العلم يقولون: إن دلالة (لا إله إلا الله) على توحيد الربوبية والأسماء والصفات فلا تَضَمُّن، في ضمن هذه الكلمة بيان ذلك.

وأما دلالة توحيد الربوبية على الإلهية فهو من باب الاستلزام، وأن إقرار العبد بأن الله خالق يستلزم أن يعترف بأنه المستحق للعبادة، ولهذا احتج الله عليهم بتوحيد الربوبية على ما أنكروا من توحيد الإلهية؛ لأن لازم ما أقروا به أن يقروا بتوحيد الألوهية، وأن =

---

(١) ص٥٠-٥١.

....

= يعترفوا بأن الله مستحق العبادة ما دام هو الخالق وهو الرازق وهو الكامل، فكيف يعبد غيره ما دام بهذه الصفة!! فهو يستحق أن يعبد دون ما سواه، وهذا من لازم إقرارهم.

فتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، يستلزمان إثبات العبادة لله وحده ويقتضيان ذلك، أما كون توحيد العبادة يقتضي توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فهذا من باب الظلم، ومن باب التضمّن، وإذا عبر من باب اللازم فله وجه، ولكن كونه يتضمن ذلك وفي ضمن ذلك فهذا أوضح وأظهر؛ يعني: أن في إقرار العبد بأن الله هو الإله الحق في ضمن ذلك اعترافه بأنه رب العالمين، وأنه هو الخلاق وأنه الرزاق ونحو ذلك.

فالألوهية من لوازمها ذلك ومن ضمنها ذلك، إذ كيف يكون إلها من لا يخلق ولا يرزق، ولا يدبر ولا يتصرف، ولا يسمع ولا يعلم إلى غير ذلك؟! كيف يكون إلهاً وهو لا يعلم أحوال عباده، ولا يسمع دعاءهم، ولا يقدر على إعطائهم مطالبهم؟!

فعلم في ذلك أن في الإقرار بتوحيد الألوهية في ضمن ذلك =

....

= الإيمان بأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه هو السميع البصير إلى غير ذلك، أما دلالته على توحيد العبادة وترك الشرك، فهو من باب المطابقة، فالدلالة في هذه الثلاثة مطابقة وتضمناً واستلزاماً، فدلالة (لا إله إلا الله) على توحيد العبادة، وعلى نفي الشرك وإبطاله من باب المطابقة، فقد وضعت في هذا مطابقة، فلا إله لنفي الشرك، وإلا الله لإثبات العبادة لله وحده.

أما دلالة (لا إله إلا الله) على توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فهو من باب التضمن، فدلالته على أنه ﷻ موصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى تضمن لذلك، إذ لا يكون إلهاً يستحق العبادة، ويستحق أن يدعى ويطلب، إلا من كان بهذه المثابة، إذا كان خالقاً رازقاً مدبراً سميعاً بصيراً عالماً بأحوال العباد لا تخفى عليه خافية، وإلا فلا يستحق العبادة.

وبهذا يعلم أن في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام لإخلاص العبادة لله وحده دعوة للجميع، ودعوة الرسل إلى إخلاص العبادة لله وحده دعوة إلى الإيمان بأنه الخلاق، وبأنه الرزاق، وبأنه الموصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى، فهي =

....

= دعوة إلى أنواع التوحيد الثلاثة فهي بالمعنى، فالذي قال: إنه لا قادر إلا الله، ولا خالق إلا الله، فإنما أقر بما أقر به المشركون، وهو يلزمهم من هذا الإقرار أن يوحدوا الله وأن يعبدوه، لكن ليس هذا الإقرار هو المقصود وإنما هو حجة عليهم.

والمقصود من (لا إله إلا الله) أن يوحدوا الله وأن يعبدوه، وليس المقصود منها أن يقروا بأنه الخلاق الرزاق، فهذا قد أقروا به، فلو كان هذا المقصود ما احتيج إلى دعوة الرسل في هذا الشيء، ولما جاءت الرسل بالدعوة إلى (لا إله إلا الله) علم أن مقصودها غير ما أقروا به من توحيد الربوبية ومن الأسماء والصفات.

﴿ فإنَّ هذا لا يقولُه أحدٌ؛ لأنه يستلزمُ أن يكونَ كُفّارُ العربِ مسلمينَ، ولو قُدِّرَ أن بعضَ المتأخرينَ أرادوا ذلك فهو مخطِئٌ، يُرَدُّ عليه بالدلائلِ السمعيةِ والعقليةِ.

قوله: (وأن محمداً عبدُه ورسولُه)(١) أي: وشهدَ بذلك، وهو معطوفٌ على ما قبله، فتكون الشهادةُ واقعةً على هذه الجملةِ وما قبلَها وما بعدَها، فإن العاملَ في المعطوفِ وما عُطِفَ عليه واحدٌ.

ومعنى «العبد» هنا يعني: المملوكَ العابدَ؛ أي: مملوكٌ لله تعالى، وليس له من الربوبيةِ والإلهيةِ شيءٌ، إنما هو عبدٌ مُقَرَّبٌ عندَ اللهِ ورسولِه، أرسلَه الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ =

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٦]، ص١٨٠.

= أَبَدًا ﴿٢٣﴾ الآيات [الجن].

قيل: وقدَّم العبدَ هنا على الرسولِ تَرَقِّياً من الأدنَى إلى الأعلَى، وجَمَعَ بينهما لدفعِ الإفراطِ والتفريطِ الذي وقعَ في شأن عيسى عليه السلام، وقد أكَّدَ النبيُّ ﷺ هذا المعنى بقوله: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارَى ابنَ مريمَ، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه»(١).

وذلك يتضمَّن تصديقَه فيما أخبرَ، وطاعتَه فيما أمرَ، والانتهاءَ عما عنه زَجَرَ، فلا يكون كاملَ الشهادةِ له بالرسالة مَن تَرَكَ أمرَه، وأطاعَ غيرَه، وارتكبَ نهيَه(٢). [١٠١]

[شرح١٠١] يعني: كونه رسولاً يتضمن تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عليه الصلاة والسلام.

ورد فيما تقدم رد على الإفراط والتفريط الواقع في حق عيسى*.

* س (من الشيخ): يا خالد، ماذا يعني الإفراط والتفريط الواقعين في =

---

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥).

(٢) ص٥١.

....

= حق عيسى؟

ج: الإفراط في شأن اليهود الذين نبذوا عيسى.

الشيخ: أهذا يسمى إفراطا أم تفريطاً؟

ج: هذا تفريط.

الشيخ: تفريط، يعني جفاء؟

ج: والإفراط في شأن النصارى الذين جعلوه إلهاً وجعلوه ابن الله.

الشيخ: يعني: غلوا فيه، فالإفراط هو الغلو الذي جاء في شأن النصارى، والتفريط أو الجفاء هو التقصير الذي ينطبق على عمل اليهود.

ج: الإفراط هو الغلو الذي حصل من النصارى، والتفريط حصل أيضاً من اليهود رموه بأنه ابن زانية.

الشيخ: هذا تفريط، والجفاء في الحق، وقع ذلك في حق الرسول محمد ﷺ، إفراط وتفريط أيضاً، من عبده فقد أفرط، ومن عطل شريعته فقد جفا وفرط.

۞ قوله: (وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه)، وفي رواية: (وابنُ أَمَتِهِ)(١) أي: خلافاً لما يعتقدُه النَّصارَى أنَّه اللهُ أو ابنُ الله، تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيراً ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون].

فيشهد بأنه عبدُ الله؛ أي: عابدٌ مملوكٌ، لا مالكٌ، فليس له من الربوبيةِ، ولا من الإلـهيـةِ شيءٌ، ورسولٌ صادقٌ؛ خلافـاً لقول اليهودِ: إنه ولدُ بَغيٍّ، بـل يُقال فيه ما قال عن نفسِه؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٨).

= يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم][1]. [١٠٢]

[شرح١٠٢] كلتاهما ضلَّتا اليهود والنصارى، كلتاهما ضل في هذا الباب ـ نعوذ بالله ـ فاليهود ضلوا حتى نفوا أنه رسول الله، ونفوا أنه ابن أمة الله، وجعلوه ولد بغي ـ نعوذ بالله ـ قاتلهم ولعنهم، والنصارى كذلك أيضاً ضلوا في هذا السبيل ـ نعوذ بالله ـ فغلوا فيه وعبدوه مع الله ﷻ، وجعلوه ابن الله، أو ثالث ثلاثة على اختلافهم، أو الله فهؤلاء ضلوا وهؤلاء ضلوا، نسأل الله العافية.

---

(١) ص٥١.

۞ وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢](١). [١٠٣]

۞ قال القرطبيُّ: ويُستفادُ منه ما يُلقَّنُه النصرانيُّ إذا أسلمَ(٢). [١٠٤]

[شرح١٠٣] والمعنى: لا بد من البراءة من هؤلاء وهؤلاء، فلا بد من البراءة من عقيدة اليهود، ولا بد من البراءة من عقيدة النصارى، والإيمان بما قاله الله ورسوله بأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

[شرح١٠٤] وقد بيَّن لهم هذا أنه عبد الله ورسوله حتى ينجوا من رأيهم السابق من أنه ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة، ومنهم من قال: عبد الله ورسوله وابن أَمته، فيبين له حتى يزول ما كان يعتقده سابقاً.

---

(١) ص٥١-٥٢.

(٢) ص٥٢.

۞ قوله: (وكلمته)[١] إنما سُمِّيَ ـ عليه السلام ـ كلمةَ الله؛ لصدورِه بكلمة «كُنْ» بلا أَبٍ، قاله قتادةُ وغيرُه مِن السلفِ[٢]. [١٠٥]

[شرح١٠٥] يعني: أن الله جل وعلا خلقه بقول الله: «كن»، فسمي بكلمة الله، لأنه خلق بكلمة، وليس هو نفسه كلمة كما تقول الجهمية وأشباههم، بل هو كان بها وصار بها، وخلق بها ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] سبحانه وتعالى*.

---

* **س: أحسن الله إليكم، بمناسبة ذكر الجهمية، الإمام ابن حزم صاحب «المحلى» ما عقيدته؟**

ج: والله ذكروا له أشياء فيما تتعلق بالصفات ليست جيدة، فكلامه في الصفات ليس بالجيد، قد دخل عليه من الفلسفة أشياء كثيرة.

س: يعني هو لا يقلد فيما كتبه؟

ج: هو من العجائب؛ جمد في الأحكام، وتأول في الصفات، المقام =

---

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٥].

(٢) ص٥٢.

....

= الذي يطلب فيه عدم التأويل غلط فيه، والمقام الذي ينبغي فيه النظر والتعليل، وفيه قياس الأشياء بنظائرها وأشباهها جمد فيه. سبحان الله.

الفائدة العظيمة في كتب ابن حزم، العناية بالأدلة، ونقل الأدلة، ونقل كلام أهل العلم، والحرص على هذه الأشياء، وعدم الميل إلى الآراء، فهذه فائدة كبيرة لطالب العلم، يستفيد من ذلك ما ينقله من الأحاديث والآثار، ويعتني بهذه الأشياء؛ ليستفاد من ذلك في تأييد الأدلة وفي تأييد الحق.

وهذا هو المقصود من كتاب «المحلى» وأشباهه الذي يعتني بنقل الأحاديث وتطبيقها وعزوها وتعليلها، ونقل كلام السلف والآثار، سواء كان موافقاً أو مخالفاً لها، ويستفاد من ذلك، ولهذا ينقل عن العز بن عبد السلام أنه لما طلب للقضاء، امتنع حتى يحصل عنده كتابان: كتاب «المغني» للموفق وكتاب «المحلى» لابن حزم؛ ليستعين بذلك على القضاء من أجل الأدلة.

س: أحسن الله إليك، بمناسبة ما ذكرتم عن الإمام ابن حزم وموقفه من التقليد، ما هو حكم التقليد هل هو جائز مطلقاً أو لا يجوز مطلقاً أو فيه تفصيل؟

ج: هو بعد هذا البحث من أراده فعليه بكتاب ابن القيم، قسمه ـ رحمه الله ـ إلى أقسام ثلاثة: تقليد جائز، وتقليد محرم، وتقليد محل اجتهاد، في =

....

= ثلاثة أقسام، وقد بسطه ابن القيم في «إعلام الموقعين» واعتنى به، وذكر كلام السلف في هذا الباب، وأدلة كلامهم جميعاً، فالأصل في التقليد المنع، هذا الأصل. وقد يجوز بالنسبة إلى العامة أن ينقلوا كلام أهل العلم، وأن يقلدوا أهل العلم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] فإذا قال العالم: إن الله أمر بكذا أو نهى عن كذا، وجب عليه الامتثال، لأنه ليس من أهل الاجتهاد حتى ينقب عن الأدلة ويناقش الأدلة. **هذا القسم الأول.**

والقسم الثاني: إنسان عنده علم وبصيرة ولكن ضاقت به الأوقات، ولا استطاعة له أن يأتي بالأدلة، فله عند التطبيق أن يقلد من يراه أقرب إلى الحق، وأقرب إلى الخير عند ضيق الأدلة وضيق الأوقات، في الحوادث التي تحدث.

والقسم الثالث: يتمكن من الاجتهاد، ويستطيع الاجتهاد، فهذا يلزمه الاجتهاد، فهذا هو الأصل.

۞ قال الإمامُ أحمدُ؛ فيما أملاه في «الرد على الجهمية»: الكلمةُ التي ألقاها إلى مريمَ حين قال له: «كُنْ»، فكان عيسى بـ«كُنْ»، وليس عيسى هو «كُنْ»، ولكن بـ«كُنْ» كان، فـ«كُن» من الله قولٌ، وليس «كُن» مخلوقاً، وكَذَبَ النصارى والجهميةُ على الله في أمرِ عيسى، وذلك أن الجهميةَ قالت: عيسى رُوحُ الله وكلمتُه، إلا أن الكلمةَ مخلوقةٌ، وقالت النصارَى: عيسى رُوحُ الله مِن ذاتِ الله، وكلمةُ الله مِن ذاتِ الله[1]. [١٠٦]

[شرح١٠٦] يعني: جعلوه النصارى بعضاً لله، فضلوا في هذا السبيل، ما جعلوه مخلوقاً، والنصارى قالوا: مخلوق، ولكن الدليل على أن كلام الله مخلوق يحتجوا به على أنه كلام الله.

---

(١) ص٥٢.

۞ كما يُقال: إن هذه الخرقةَ من هذا الثوبِ، وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمةِ كان، وليس عيسى هو الكلمةُ، انتهى؛ يعني به ما قال قتادةُ وغيرُه.

قوله: (ألقاها إلى مريمَ)[1] قال ابنُ كثيرٍ: خلَقَه بالكلمةِ التي أَرسلَ بها جبرائيلَ ـ عليه السلام ـ إلى مريمَ، فنفخ فيها مِن رُوحِه بإذنِ ربِّه ﷻ، فكان عيسى بإذنِ الله ﷻ.

وصارت تلك النفخةُ التي نفخَها في جيبِ دِرعِها، فنزلت حتى وَلَجَت فَرْجَها بمنزلة لِقاح الأبِ الأمَّ، والجميعُ مخلوقٌ لله ﷻ، ولهذا قِيل لعيسى: إنه كلمةُ الله ورُوحٌ منه؛ لأنه لم يكن له أبٌ تَوَلَّد منه، وإنما هو ناشِئٌ عن الكلمةِ التي قال له: «كُن» فكان، والرُّوحُ التي أَرسلَ بها جبرائيلَ عليه السلام[2]. [١٠٧]

[شرح١٠٧] كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا =

---

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٥].

(٢) ص٥٢.

....

= ﴿فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٩١]*.

* س: في قول ابن كثير (من روحه) هذا الضمير يرجع إلى مَن؟

ج: جبرائيل، ويجوز أن يرجع إلى الله كما في النصوص الأخرى (روح الله، وروح منه) لكن في هذا السياق (من روحه) أي: من روح جبرائيل، ويجوز من روح الله على مقتضى الآيات، ويكون من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهي إضافة للتشريف والتكريم مثل ما يقال: ناقة الله ورسول الله فهي إضافة تشريف وتكريم، وروح الله يعني: عيسى، وروح الله يعني: مخلوق مضاف إلى الله جل وعلا إضافة تشريف وتكريم؛ يعني: روحاً من جملة الأرواح التي خلقها وأوجدها وشرفها وعظمها ﷺ، فيقال في الخمس: مال الله، وفي الكعبة: بيت الله، وناقة صالح: ناقة الله، فهذا من باب إضافة تشريف، من إضافة المخلوق إلى خالقه.

س: (من) و(في) هل بينهما فرق؟ معنا في النسخة الجديدة: فنفخ فيها في روحه، وفي الطبعة الأولى: فنفخ فيها من روحه؟

ج: في الكل (من)، و(في) لا تصلح هنا.

۞ قولُه: (ورُوحٌ منه) قال أُبيُّ بنُ كعبٍ: عيسى رُوحٌ من الأرواحِ التي خَلقَها اللهُ ﷻ واستَنطَقَها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] بَعثَه اللهُ إلى مريمَ، فدَخل [في] فيها (١).

رواه عبدُ بن حُميد، وعبدُ الله بن أحمدَ في زوائد «المسند»، وابنُ جَرير، وابنُ أبي حاتم، وغيرُهم.

وقال أبو رَوْق: (وروحٌ منه) أي: نفخةٌ منه؛ إذ هي من جبرائيلَ بأمرِه. وسُمي روحاً؛ لأنه حَدَث من نفخة جبرائيل عليه السلام (٢).

وقال الإمام أحمد: (وروحٌ منه) يقول: من أَمرِه كان الروحُ فيه، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ=

---

(١) الأثر في «مسند أحمد» (٥/ ١٣٥) من زوائد عبد الله بن أحمد، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠٨٥٩)، وما بين الحاصرتين زيادة منه، وفي «مسند أحمد»: دخل من فيها.

(٢) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٧٤) وفيه: وقال بعضهم، ولم يعزه لأبي روق.

= ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] يقول: من أمره[1].[2] [١٠٨]

[شرح١٠٨] قوله: (وروح منه) هذا في نص القرآن: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ آية الأنبياء [الأنبياء: ٩١].

وفي آية التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢]، فهناك فرق بنص القرآن*.

---

* س: ما حكم التقارب بين الأديان، لأنه فيه دعوة مطروحة الآن للتقارب بين الأديان؟

ج: هذه دعوة فاسدة، ليس هناك تقارباً، فهي دعوة فاسدة، إلا إذا كان المراد بالتقريب بينها دعوة أهلها لينصفوا ما جاء به الرسول ﷺ ويتأملوه، وأنه لا يخالف ما جاءت به الأنبياء الذين ينتسبون إليهم، كالنصارى إلى عيسى، واليهود إلى موسى، وأنه لا يخالف ذلك لو أنصفوا، يعني: التقارب، يدعون إلى أن ينصفوا حتى يقروا بما جاء به الحق الذي هو موجود عندهم في التوراة والإنجيل. =

---

(١) ذكر ذلك الإمام أحمد في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٣٢).

(٢) ص٥٢.

....

= س: ما نظنهم يدعون إلى ذلك؟

ج: أما أن تجتمع أهل الأديان وأن تكون فئة واحدة، وأن هذا وهذا وهذا كلهم في دين الحق، فهذا من أبطل الباطل، وأضل الضلال، وأكفر الكفر، فلا يمكن للنصارى واليهود أن يكونوا على حق وعلى هدى وهم لا يقرون بمحمد عليه الصلاة والسلام، ولا ينقادون لما جاء به أبداً، وهذا بإجماع أهل الحق، وليس في هذا نزاع والنصوص قائمة بهذا، فكل من كذب بمحمد ﷺ، ولا يقر بأنه رسول الله إلى الجميع فهو كافر، ولو كان على دين موسى وعيسى ولم يؤيد شيئاً من ذلك.

ولكن جحده لمحمد كفر مستقل. كيف وقد كفر قبل ذلكم؛ كفرت اليهود باتخاذها العزير ابن الله وتكذيبها عيسى، وكفرت النصارى بما حرفوا وغيروا وبدلوا وزعموا أن عيسى ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله، هذا كفر مستقل. ثم جاء كفر آخر وهو عدم إيمانهم بمحمد عليه الصلاة والسلام، فاجتمع عندهم أنواع من الكفر ـ نعوذ بالله ـ فكيف يقرب بين هذا وهذا في التوحيد بين الأديان؟! كيف يقرب بين الكفر والإسلام؟! لا يمكن.

ومثل هذا أيضاً: التقريب بين الشيعة وبين وأهل السنة، فلا يمكن، لا يمكن إلا برجوع الشيعة عما هم عليه من الباطل، والأخذ بما قاله أهل السنة، أما أن يبقى الشيعة على حالهم والسنة على حالهم، فكيف يحصل =

....

= التقريب؟! فهذه دعوة فاسدة خبيثة نسأل الله العافية.

س: بعض المشايخ الذين زاروا البابا نشر لهم كتب خاصة؟

ج: هذا في بيان الدعوة إلى الإسلام والرجوع إلى الحق، إذا أرادوا بهذا دعوة المسيحيين إلى الرجوع إلى الحق والدخول في الإسلام، أما أنهم على دينهم، والدينان متقاربان، وأنه يجوز البقاء على هذا وعلى هذا، فلا يمكن، لا يمكن أن يقوله المشايخ الذين ذهبوا، لأنه قد يخطئ الإنسان في الفهم، أو قد يغلط بعض الناس في العبارة فيظن أنه أراد ذلك.

س: إذا كان أحد يناظرهم في الكنيسة وقال: يا قداسة البابا، فهل يجوز هذا شرعاً؟

ج: هذه العبارة غير طيبة، لكن لا يكون قد ارتد عن الإسلام، والنبي ﷺ قال في عبد الله بن أُبي ابنُ سَلُولَ: «أما سمعت ما قال أبو حُباب»[1]، فدعاه باسمه، والمقصود أنه قد يكون الكلام في هذا من باب التلطف، لكن لا يعبر لفظ القداسة بفلان أو فلان باسمه أو لقبه ما فيه تعظيم، والقداسة ما ينبغي التلفظ بها بما يظهر لي، لكن قد يكون منوطاً بها، فصارت كالعلم عليه من غير أن يقصد معناها، فالأعلام والألقاب قد تراد من غير قصد المعنى مثل: صالح وعامر وليس هو بعامر ولا صالح، فهي أسماء جامدة، =

(١) أخرجه البخاري: التفسير (٤٥٦٦)، ومسلم: الجهاد والسير (١٧٩٨).

....

= كذلك أبو تراب، وليس المقصود التراب، فصار علماً عليه، وكان من التراب الذي علق ببدن عليّ ﷺ[1].

فالمقصود أن الأعلام والألقاب قد تكون غير مراد فيها المعنى، إنما أريد أنها لقب وأسماء جامدة وليس المراد معناها، مثل ما يسمى بعض الناس الآن الصديق، فلان الصديق أو محمد الصديق، أو محمد الكامل، وهو ليس بكامل ولا صديق فهو يدعى باسمه.

س: هذه الأعلام، أما هذه فإنما أرادوا بها الصفة؟

ج: وهذا علم عليه، (قداسة البابا) علم عليه؛ يعني: سموا بها، مثل (سماحة الشيخ) و(فضيلة الشيخ) و(شيخ الإسلام) صارت علماً، جعلها من سماه بها علماً عليه يعرفون بها، هكذا قداسة الأب الذي يظهر منها أنها من هذا الباب، من باب الأعلام لا من باب تقديسه وتنزيهه، وإن أرادوا هم ذلك، لكن صارت علماً عليه يعرف بها، فإذا تكلم من تكلم من أهل العلم فليس المراد بها تنزيهه وتقديسه، إنما المراد دعوته باسمه الذي عرف به.

ومهما أمكن حمل كلام المسلم والعالم الشرعي على خير المحامل فهو أولى من حمله على أسوأ المحامل.

---

(١) انظر البخاري: الصلاة (٤٤١).

۞ وقال شيخُ الإسلام: المضافُ إلى الله تعالى إذا كان معنًى لا يقومُ بنفسِه ولا بغيرِه من المخلوقاتِ وَجَبَ أن يكونَ صفةً لله تعالى قائمةً به، وامتنع أن تكونَ إضافتُه إضافةَ مخلوقٍ مَربوبٍ، وإن كان المضافُ عيناً قائمةً بنفسِها، كعيسى وجبرائيل عليهما السلام وأرواحِ بني آدم، امتنعَ أن تكون صفةً لله تعالى؛ لأن ما قامَ بنفسِه لا يكونُ صفةً لغيرِه، لكنِ الأعيانُ المضافةُ إلى الله تعالى على وجهين:

أحدهما: أن تكونَ تُضافُ إليه لكونِه خلقَها وأبدعَها، فهذا شاملٌ لجميع المخلوقاتِ، كقولهم: سماءُ الله، وأرضُ الله، ومن هذا البابِ، فجميعُ المخلوقين عَبِيدُ الله، وجميعُ المالِ مالُ الله، وجميعُ البيوتِ والنوقِ لله[1]. [١٠٩]

[شرح١٠٩] أي: لا يخص بيت الله وناقة الله التي هي ناقة صالح، بهذا المعنى يعم كل بيت وكل ناقة، بخلاف ما يكون للتشريف والتعظيم فهذا يخص بيت الله ويخص ناقة الله وأشباههما.

---

(١) ص٥٢-٥٣.

۞ **الوجه الثاني:** أن يضافَ إليه لما خصَّه به من معنًى يحبُّه ويأمرُ به ويرضاه، كما خصَّ البيتَ العتيقَ بعبادةٍ فيه لا تكون في غيرِه، وكما يقال عن مالِ الفيء والخُمسِ: هو مالُ الله ورسولِه، ومن هذا الوجه فعِبادُ الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمرَه، فهذه إضافةٌ تتضمَّنُ ألوهيتَه وشرعَه ودينَه، وتلك إضافةٌ تتضمَّنُ ربوبيتَه وخلقَه، انتهى ملخصاً[1].»[2] [١١٠]

[شرح١١٠] هذا كلام عظيم وله فائدة كبيرة، وقد قاله أهل العلم ممن قبله وبعده، ولكنه أتى به بعبارات واضحة مختصرة، وقد نص أهل العلم قديماً وحديثاً على هذا المعنى وأن المضاف إلى الله قسمان:

القسم الأول: معنًى من المعاني لا يقوم بنفسه ولا يقوم بغيره من المخلوقين، فهذا إذا أضيف إلى الله فهو صفة للموصوف كعلم الله وكلام الله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] صفة من الصفات فكلامه صفة من صفاته، فهو ليس مخلوقاً، وهكذا علم الله، وقدرة الله، ورضا الله، وغضب الله وما أشبه ذلك، وإرادة الله، =

---

(١) انظر «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٤/ ٩).

(٢) ص٥٣.

....

= ومشيئة الله، كلها صفات من صفاته؛ لأنها معانٍ لا تقوم بغيره، بل هي تقوم به ﷻ، وهي غير مستقلة بنفسها، وإضافتها إلى الله ﷻ من باب إضافة الصفة إلى الموصوف وهذا شيء واضح.

وفيه الرد على الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المؤولين لصفات الله والزاعمين لها أنها من باب إضافة صفة المخلوق إلى الخالق، وهذا من أبطل الباطل، فإن معنى ذلك سلب الرب صفاته، وجعله ذاتاً مجردة، والذات المجردة لا وجود لها.

فكلام الجهمية والمعتزلة يفضي إلى تعطيل الخالق وإنكار وجوده كما هو معلوم، فلعلك قد عرفت بذلك أن الصفات التي تضاف إلى الله هي صفات تضاف إلى موصوفها القائمة به ﷻ، كما سمعت من كلام الله، ورضا الله، وعلم الله، وقدرة الله، ومشيئة الله ونحو ذلك، ونفس الله أو نحو ذلك.

القسم الثاني: وهو الذات، يضاف إلى الله ذات غير المعنى، فالذات مستقلة، والذات المستقلة أيضاً على قسمين: أحدهما: إضافة مخلوق إلى خالقه وهذا يشمل جميع المخلوقين، فكلها =

....

= مخلوقة لله ﷻ كما يقال: أرض الله، وسماء الله، هذا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، إضافة إبداع وإنشاء وإيجاد، هو ﷻ رب الجميع، وخالق الجميع، فجميع المال مال الله هو الذي أعطاه ﷻ، وجميع العباد عباد الله لأنه خالقهم، كما قال ﷻ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [مريم] فكلهم عبيده ﷻ، فالمال كله ماله، والأرض أرضه، والسماء سماؤه، والمخلوقات كلها مخلوقاته ﷻ، فإضافة شيء منها إليه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

والقسم الثاني من الذوات القائمة بنفسها هي التي تضاف إلى الله إضافة تشريف وتكريم وتقدير وبيان، لعظم شأنها، كبيت الله الكعبة، فهي خصت بالعبادات كالطواف والاستقبال..

وكناقة الله ناقة صالح، لأنها جاءت له آية لتدل على صدقه؛ ولهذا قيل لها: ناقة الله، تشريفاً لها وتعظيماً لشأنها، لأن الله جعلها آية ومعجزة لنبيه صالح عليه الصلاة والسلام، وهي ناقة عظيمة تملأ الوادي إذا أقبلت وأدبرت كما جاء في الآثار، وهي تشرب ماء =

....

= بئرهم، وتعطيهم مثله لبناً، لها شِرب يوم ولهم شِرب يوم كما قاله الله جل وعلا.

فهي ناقة عظيمة، فلما كذبوا نبيهم، واستثقلوا ما جاء به، عقروا ناقة الله، وعَتَوا عن أمر الله ﷻ، فعاقبهم الله عقوبة عاجلة.

وهكذا مال الفيء يقال فيه: مال الله، ومال الخمس مال الله وما أشبه ذلك، كذلك العبيد الصالحون الأنبياء والصالحون يقال: عبيد الله وهم عباد الرحمن لأنهم أهل طاعته.

فالإضافة إلى الله من باب التشريف والتكريم لبني آدم، هذه إضافة تتعلق بعبوديته سبحانه، وكونهم عبيده وأحبابه وأولياءه.

والنوع الأول من إضافة المخلوق إلى خالقه من باب إضافة المخلوقين إلى خالقهم، فهي لها تعلق بالربوبية، لأنه ربهم وخالقهم، فإضافة تتعلق بالربوبية وهي الإضافة العامة، وإضافة تتعلق بالألوهية وهي الإضافة الخاصة.

فإذا فهمت هذا المعنى زالت شبهات وتلبيسات كبيرة لأهل البدع.

۞ والمقصودُ منه أن إضافةَ رُوحٍ إلى الله هو مِن الوجهِ الثاني، والله أعلم[1]. [١١١]

[شرح١١١] أي: إضافة روح عيسى بأنه روح الله من باب المعنى الثاني؛ أي: إضافة الذوات، وهي إضافة تشريف وتكريم، فعيسى روح الله، وروح من الأرواح التي خلقها وأوجدها، ولكنه شرفها بإضافتها لاسمه ﷻ.

وأما «كلمة» فهي من إضافة المعنى إلى الله سبحانه، وإضافة الصفة للموصوف لأنه كان بكلمة.

---

(١) ص٥٣.

۞ قوله: (والجنةُ حقٌّ والنارُ حقٌّ)(١) أي: وشهدَ أن الجنةَ ـ التي أخبرَ اللهُ بها في كتابه أنه أعدَّها لمن آمنَ به وبرسولِه ـ حقٌّ، أي: ثابتةٌ لا شكَّ فيها، وشهدَ أن ـ النارَ التي أخبرَ اللهُ في كتابه أنه أعدَّها للكافرين به وبرسلِه ـ حقٌّ كذلك، كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] وفيهما دليلٌ على أن الجنةَ والنارَ مخلوقتانِ الآنَ؛ خلافاً لأهلِ البدعِ الذين قالوا: لا يُخلَقانِ إلا في يومِ القيامةِ، وفيه دليلٌ على المعادِ وحَشرِ الأجسادِ.

قولُه: (أدخلَه اللهُ الجنةَ على ما كان مِن العملِ) هذه الجملةُ جوابُ الشرطِ، وفي رواية: «أدخلَه اللهُ الجنةَ مِن أيِّ أبوابِ الجنةِ الثمانية شاء»(٢). =

(١) انظر حديث عبادة بن الصامت، سلف في الفقرة [٧٥].

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٨).

= قال القاضي عياضٌ: وما وَرَدَ في حديثِ عُبادةَ يكون خصوصاً لمن قال ما ذكره ﷺ، وقَرَنَ بالشهادتينِ حقيقةَ الإيمانِ والتوحيدِ الذي وَرَدَ في حديثِه، فيكون له من الأَجرِ ما يَرجَحُ على سيئاتِه، ويُوجِب له المغفرةَ والرحمةَ ودخولَ الجنةِ لأولِ وَهْلةٍ[1]. [١١٢]

[شرح١١٢] هذا المعنى لا بد منه، قال الزهري ـ رحمه الله ـ المعروف بابن شهاب: إن هذا كان قبل نزول الشرائع[2]، ولهذا علَّق الحكم بمجرد هذه الشهادة في دخول الجنة.

وقال العلماء: ليس هو كذلك، بل هذا بعد نزول الشرائع، لأن الشرائع نزل بعضها بمكة قبل الهجرة، ولكن المعنى أن من قال هذه الشهادة، والتزم معناها وحقها كسائر الشهادات، فمن شهد ولم يلتزم بحقها فلا يكون له هذا المعنى.

وإنما المعنى أن من شهد أن الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله إلى آخره، والتزم حقها وأدى حقها، ولكن من ضيع =

---

(١) ص٥٣.

(٢) ورد ذلك عند الترمذي: الإيمان، بإثر الحديث (٢٦٣٨).

....

= حقوقها لا يكون له هذا الفضل، وهو دخول الجنة من أي أبوابها شاء، بل المراد من قالها عن صدق وإخلاص، فإنه لا بد أن يؤدي حقها، ولا بد أن يلتزم معناها، وإلا فيكون قوله كلاماً غير مجد على أهله كالمنافقين، فلم يتبين فضل هذه الكلمة وعظم شأنها، وأنها توجب لأهلها هذا الخير العظيم؛ لأنها تدعوهم إلى العمل، وتقتضي العمل منهم إذا صدقوا، بخلاف الكذابين، فإنها لا تؤثر فيهم، ولا تقتضي العمل منهم.

ومن أدلة ذلك أن الله جل وعلا في كتابه العظيم وسنة رسوله بين أن العصاة على خطر عظيم، وأنهم موعودون بالنار وغضب الجبار، وجاء في وعيده لعنهم وغضب الله عليهم، فلا يلتئم هذا مع هذا، لا يلتئم وعدهم بالجنة مع وعدهم بالنار.

فعلم بذلك أن المراد بهذا الوعد وبهذه العبادة وما يجري معناها من التزم الشهادة، وأدى حقها، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] هذا وعيد له ولو قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ولو كان مسلماً. =

....

= ولكن المسلم الذي يلتزم لا يأتي هذه المعصية، فإن أتاها وعرف إجرامه وسارع بالتوبة استحق المغفرة، والحاصل أن ما جاء في فضل التوحيد، وفضل الإيمان، والوعد بالجنة عليه، فهو معلق على أداء الفرائض وترك المحارم، فإن قَصَّر في ذلك لا يكون له هذا الفضل، وهذا الجواب العظيم والخير الكبير؛ لأنه قد قصر في واجب هذه الشهادة وفي حقها، فيكون تحت مشيئة الله، وعلى خطر من دخول النار.

لكن هذه الأحاديث تدل على أنه ليس من الكفرة بل هو موعود بهذا الخير إذا مات على التوحيد والإخلاص، سواء عُذِّب أو لم يُعذَّب فهو على خير وعلى طريق النجاة، إلا إذا كان قالها مع التكذيب فلا نجاة له ولا خير له، بل هو كسائر المنافقين والضلال الذين وعدهم الله بالدرك الأسفل من النار.

فالحال في نطقها ثلاثة أحوال:

الحال الأولى: ينطق بها مع التكذيب كالمنافقين، هذا لا تنفعه أبداً، وهو مخلد في النار، وفي الدرك الأسفل منها، نسأل الله العافية. =

....

= الحال الثانية: أن يقولها مع أداء واجبها وحقها، هذا له الجنة والكرامة والسعادة أبد الآباد.

الحال الثالثة: وسط يقولها ولكن لا يؤدي حقها، فهذا تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له بتوحيده وإسلامه، وإن شاء عذبه على قدر ما معه من المعاصي والسيئات التي مات عليها؛ لقوله سبحانه في كتابه العظيم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:١١٦].

فبيَّن ﷻ أن أعمال العبد التي يموت عليها قسمان: شرك وما دونه، فمن مات على الشرك فلا مغفرة له، والجنة عليه حرام، نعوذ بالله من ذلك، ومن مات على ما دونه من المعاصي فهو تحت مشيئة الله.

فهذا فصل النزاع وفصل الإيضاح في هذا المقام العظيم الذي غلط فيه المرجئة، وغلط فيه أيضاً القانطون الذين قنطوا من رحمة الله، ويئسوا من رحمة الله ﷻ، وفصل النزاع أيضاً فيما يتعلق بالخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج كفروا العصاة وخلدوهم في النار، والمعتزلة وافقوهم في ذلك في المعنى، والمرجئة قالوا: لا يضر مع =

....

= الإيمان عمل ولو زنى ولو سرق، لا يضره شيء، فضل الجميع، ضلت هذه الطوائف عن الصواب.

ووفَّق الله أهل السنة والجماعة فقالوا: الرجاء مطلوب، ولكن مقرون بالعمل، والخوف مطروح ولكنه مع التوحيد، لكن لا يجوز القنوط فيقع صاحبه تحت المشيئة، وردوا على الخوارج فقالوا: العمل من الإيمان، والقول من الإيمان، ولكن الإيمان يزيد وينقص، فقد يفوته بعض الشُّعَب ولا يكون كافراً وقد يفعل بعض المعاصي ولا يكون كافراً، فليس بفعل معصية يزول الإيمان كله، ولا بترك واجب يزول الإيمان كله.. قد يترك بعض الواجبات فلا يزول، قد يكون عاقاً فلا يزول إيمانه، بل معه أصل الإيمان، قد يؤخر الزكاة فلا يزول إيمانه بل يبقى معه أصل الإيمان ومعه المعصية الكبيرة العظيمة، قد يزني ولا يزول إيمانه بالكُلِّية بل يبقى معه أصل الإيمان، وإن كان قد زال كماله، وفي الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ»[1]. =

---

(١) أخرجه البخاري: المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم: الإيمان (٥٧).

....

= وبهذا يعلم الفرق العظيم بين أهل السنة وبين هذه الطوائف، وأن أهل السنة وفقهم الله للصراط المستقيم، فصاروا وسطاً في هذه الأمور بين الغالي والجافي، بين الغلاة من الخوارج والمعتزلة، وبين الجفاة من المرجئة وأشباههم، وبهذا يوفق العبد لصراط الله الذي سلكه أصحاب رسول الله ﷺ، وسلكه أتباعهم بإحسان إلى التوسط في هذه الأمور، وعدم الغلو والجدل، وعدم الإفراط والتفريط*.

*** س: الطوائف ثلاث وسبعون فرقة، أيها المخلدة وأيها الناجية؟**

ج: الفرقة الناجية واحدة أما اثنتان وسبعون فهي موعودة بالنار، ولكنها مختلفة، فيها الكافر، وفيها غير الكافر، فيها الكافر الذي يخلد في النار، وفيها الموعود بالنار وإن كان غير كافر، كالخوارج عند من لم يكفِّرهم، والمعتزلة عند من لم يكفِّرهم، وهم متوعَّدون بالنار، وهكذا بعض الشيعة وما أشبه ذلك.

۞ قال: ولهما من حديثِ عِتْبانَ: «فإنَّ اللهَ حرَّمَ على النارِ مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، يبتغي بذلك وجهَ الله»[١].

قولُه: (ولهما) أي: للبخاريِّ ومسلمٍ في «صحيحيهما»، وهذا الحديثُ طرفٌ مِن حديثٍ طويلٍ، أخرجه الشيخانِ؛ كما قال المصنف، و«عِتبانُ» ـ بكسر المهملة، بعدَها مثناةٌ فوقيةٌ ثم موحدةٌ ـ ابنُ مالكِ بنِ عُمرَ بنِ العَجْلانِ الأنصاريُّ، من بني سالمِ بنِ عوف، صحابيٌّ شهيرٌ مات في خلافة معاويةَ.

قولُه: (فإن اللهَ حرَّم على النارِ...) الحديث، اعلَمْ أنه قد وردت أحاديثُ ظاهُرها أنه مَن أتى بالشهادتينِ حَرُمَ على النار؛ كهذا الحديثِ، وحديثِ أنسٍ قال: كان النبيُّ ﷺ ـ ومُعاذٌ رَديفُه على الرَّحلِ ـ فقال: «يا مُعاذُ». قال: لَبَّيكَ يا رسولَ الله وسَعدَيكَ. قال: «ما مِن عبدٍ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله إلا حَرَّمَه على النارِ». قال: يا =

(١) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٧)(٢٦٣).

= رسولَ الله، ألا أُخبِر بها الناسَ فيَستَبشِروا؟ قال: «إذاً يَتَّكِلُوا». فأخبرَ بها معاذٌ عندَ موتِهِ تَأَثُّماً. أخرجاه[١].

ولمسلمٍ عن عُبادةَ مرفوعاً: «مَن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً عبدُه ورسولُه حَرَّمَ اللهُ عليه النارَ»[٢].

ووردت أحاديثُ فيها أن مَن أتى بالشهادتينِ دخلَ الجنةَ، وليس فيها أنه يَحرُم على النارِ، منها حديثُ عُبادةَ الذي تقدَّم قبلَ هذا، وحديثُ أبي هريرةَ: أنَّهم كانوا مع النبيِّ ﷺ في غزوةِ تبوكَ... الحديث.

وفيه: فقال رسولُ الله ﷺ: «أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأني رسولُ الله، لا يلقَى اللهَ عبدٌ بهما، غيرَ شَاكٍّ فيهما، فيُحجَب عن الجنةِ». رواه مسلم[٣].

وحديثُ أبي ذَرٍّ في «الصحيحين» مرفوعاً: «ما مِن عبدٍ، قال: لا إلهَ إلا اللهُ ثم ماتَ على ذلك إلا دخلَ الجنةَ...» =

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٨)، ومسلم: الإيمان (٣٢).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٩).

(٣) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٧).

= الحديث[١].

وأحسنُ ما قِيل في معناه ما قالَه شيخُ الإسلامِ وغيرُه: إن هذه الأحاديثَ إنما هي فيمن قالَها وماتَ عليها؛ كما جاءت مقيدةً، وقالَها خالصاً من قلبُه، مستيقناً بها قلبُه، غيرَ شَاكٍّ فيها، بصدقٍ ويقينٍ؛ فإن حقيقةَ التوحيدِ انجذابُ الروحِ إلى الله جملةً، فمن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ خالصاً مِن قلبِه دخلَ الجنةَ؛ لأن الإخلاصَ هو انجذابُ القلبِ إلى الله تعالى بأن يتوبَ من الذنوبِ توبةً نَصُوحاً، فإذا ماتَ على تلك الحالِ نالَ ذلك.

فإنه قد تواترت الأحاديثُ بأنه يخرج مَن النار من قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» وكان في قلبه من الخيرِ ما يَزِنُ شَعيرةً وما يَزِنُ خَردَلةً وما يَزِنُ ذَرَّةً، وتواترت بأن كثيراً ممن يقول: لا إلهَ إلا اللهُ يدخلُ النارَ ثم يخرجُ منها، وتواترت بأن اللهَ حَرَّم على النارِ أن تأكلَ أثرَ السجودِ من ابنِ آدمَ، فهؤلاء كانوا يُصَلُّون =

---

(١) أخرجه البخاري: اللباس (٥٨٢٧)، ومسلم: الإيمان (٩٤).

= ويسجدون لله، وتواترت بأنه يَحْرُم على النارِ من قال: لا إلهَ إلا اللهُ، ومن شهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً رسولُ الله.

لكن جاءت مقيدةً بالقيودِ الثِّقالِ، وأكثرُ مَن يقولُها لا يعرفُ الإخلاصَ ولا اليقينَ، ومَن لا يعرفُ ذلك يُخشى عليه أن يُفتَن عنها عندَ الموتِ، فيُحال بينه وبينها، وأكثرُ مَن يقولُها إنما يقولها تقليداً أو عادةً، ولم يُخالِطِ الإيمانُ بَشاشةَ قلبِه، وغالبُ مَن يُفتَن عندَ الموتِ وفي القبورِ أمثالُ هؤلاء كما في الحديث: «سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقُلتُه»(١).

وغالبُ أعمالِ هؤلاء إنما هو تقليدٌ واقتداءٌ بأمثالهم، وهم أقربُ الناسِ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

وحينئذٍ فلا منافاةَ بين الأحاديثِ؛ فإنه إذا قالَها بإخلاصٍ ويقينٍ تامٍّ لم يكن في هذه الحالِ مُصِرّاً على ذنبٍ أصلاً، فإن كمالَ إخلاصِه ويقينِه يوجِبُ أن يكونَ اللهُ أحبَّ =

---

(١) أخرجه البخاري: العلم (٨٦)، ومسلم: الكسوف (٩٠٥).

= إليه من كلِّ شيءٍ، فإذاً لا يبقَى في قلبِه إرادةٌ لما حَرَّم اللهُ ولا كراهيةٌ لما أمرَ اللهُ، وهذا هو الذي يَحرُم على النارِ، وإن كانت له ذنوبٌ قبلَ ذلك.

فإن هذا الإيمانَ، وهذه التوبةَ، وهذا الإخلاصَ، وهذه المحبةَ، وهذا اليقين، لا يتركون له ذنباً إلا يُمحَى؛ كما يُمحَى الليلُ بالنهار، فإذا قالها على وجه الكمالِ المانعِ من الشركِ الأكبرِ والأصغرِ فهذا غيرُ مُصِرٍّ على ذنبٍ أصلاً، فيغفر له ويَحرُم على النار.

وإن قالها على وجهٍ خَلَصَ به من الشركِ الأكبرِ دونَ الأصغرِ، فلم يأتِ بعدَها بما يناقضُ ذلك، فهذه الحسنةُ لا يقاوِمُها شيءٌ من السيئاتِ، فيَرجَح بها ميزانُ الحسناتِ كما في حديثِ البطاقةِ[1] ، فيَحرمُ على النارِ، ولا تَنقُصُ درجتُه في الجنةِ بقَدرِ ذنوبِه.

وهذا بخلافِ من رجحَت سيئاتُه على حسناتِه ومات =

---

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠).

= مُصِرّاً على ذلك، فإنه يستوجبُ النارَ، وإن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، وخلصَ بها من الشِّركِ الأكبرِ، لكنه لم يَمُت على ذلك، بل أتى بعد ذلك بسيئاتٍ رجحَت على حسنةِ توحيدِه، فإنه في حالِ قولِها كان مخلصاً لكنه أتى بذنوبٍ أوهَنَت ذلك التوحيدَ والإخلاصَ فأضعفَته، وقويت نارُ الذنوبِ حتى أحرقت ذلك.

بخلاف المخلصِ المستيقنِ؛ فإن حَسناتِه لا تكون إلا راجحةً على سيئاته، ولا يكون مُصِرّاً على سيئةٍ، فإن مات على ذلك دخلَ الجنةَ، وإنما يُخافُ على المخلصِ أن يأتيَ بسيئاتٍ راجحةٍ فيَضعُفَ إيمانُه، فلا يقولها بإخلاص ويقينٍ مانعٍ من جميع السيئاتِ، ويُخشَى عليه من الشركِ الأكبرِ والأصغرِ، فإن سَلِم من الأكبرِ بقيَ معه من الأصغرِ، فيضيفُ إلى ذلك سيئاتٍ تنضمُّ إلى هذا الشركِ، فيرجَحُ جانبُ السيئاتِ.

فإن السيئاتِ تُضعِفُ الإيمانَ واليقينَ، فيَضعُفُ بذلك =

= قولُ: «لا إلهَ إلا اللهُ»، فيمتنع الإخلاصُ في القلبِ، فيصير المتكلِّمُ بها كالهاذي أو النائمِ أو مَن يُحسِّنُ صوتَه بآيةٍ من القرآن من غيرِ ذوقِ طعمٍ ولا حلاوةٍ، فهؤلاء لم يقولوها بكمالِ الصدقِ واليقينِ، بل يأتون بعدَها بسيئاتٍ تُنقِصُ ذلك الصدقَ واليقينَ، بل يقولونها من غير يقينٍ وصدقٍ، ويموتون على ذلك ولهم سيئاتٌ كثيرةٌ تمنعُهم من دخولِ الجنةِ.

وإذا كَثُرتِ الذنوبُ ثَقُلَ على اللسانِ قولُها، وقسا القلبُ عن قولها، وكرِهَ العملَ الصالحَ، وثَقُلَ عليه سماعُ القرآنِ، واستبشَرَ بذِكرِ غيرِه، واطمأنَّ إلى الباطل، واستحلَى الرَّفَثَ ومخالطةَ أهلِ الغفلةِ، وكَرِهَ مخالطةَ أهلِ الحقِّ، فمثلُ هذا إذا قالها قالَ بلسانِه ما ليس في قلبه، وبِفِيهِ ما لا يُصَدِّقُ عملُه، كما قال الحسنُ: ليس الإيمانُ بالتحلِّي ولا بالتمنِّي، ولكن ما وَقَرَ في القلوبِ وصَدَّقَته الأعمالُ.

فمن قال خيراً وعملَ خيراً قُبِل منه، ومن قال شرّاً وعمل شرّاً لم يُقبَل منه، وقال بكرُ بنُ عبد الله المُزَنيُّ: ما =

= سبقَهم أبو بكرٍ بكثرةِ صيامٍ ولا صلاةٍ، ولكن بشيءٍ وقر في قلبِهِ. فمن قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» ولم يَقُم بمُوجِبها، بل اكتسبَ مع ذلك ذنوباً وسيئاتٍ، وكان صادقاً في قولها موقِناً بها، لكنَّ ذنوبَه أضعافُ أضعافِ صدقِه ويقينِه، وانضافَ إلى ذلك الشركُ الأصغرُ العمليُّ، رجحت هذه الأشياءُ على هذه الحسنةِ، ومات مُصِرّاً على الذنوب.

بخلاف من يقولها بيقينٍ وصدقٍ تامٍّ؛ فإنه لا يموتُ مُصِرّاً على الذنوب، إما ألّا يكونَ مُصِرّاً على سيئةٍ أصلاً، أو يكونَ توحيدُه المتضمِّن لصدقِه ويقينِه رَجَّح حسناتِه، والذين يدخلون النارَ ممن يقولها قد فاتهم أحدُ هذين الشرطين: إمّا أنَّهم لم يقولوها بالصدق واليقينِ التامَّينِ المنافِيَينِ للسيئاتِ، أو لرجحانِ السيئاتِ، أو قالوها واكتسبوا بعدَ ذلك سيئاتٍ رجحَت على حسناتِهم[1]. [١١٣]

[شرح١١٣] هذان الشرطان، إما أن يكونوا قالوها بغير الصدق =

---

(١) ص٥٣-٥٦.

....

= التام واليقين التام، فلهذا رجحت سيئاتهم ودخلوا النار، وإما أن يكونوا قالوها بصدق وإخلاص، ثم بعد هذا طرأ عليهم الذنوب والسيئات، فأضعفت صدقهم وأضعفت يقينهم، فماتوا على السيئات غير تائبين، فدخلوا جهنم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

۞ ثم ضَعُفَ لذلك صدقُهم ويقينُهم ثم لم يقولوها بعدَ ذلك بصدق ويقينٍ تامٍّ لأن الذنوبَ قد أضعفت ذلك الصدقَ واليقينَ من قلوبِهم فقولُها من مثلِ هؤلاء لا يَقوَى على مَحوِ السيئاتِ بل ترجحُ سيئاتُهم على حسناتِهم. انتهى ملخصاً، وقد ذكر معناه غيرُه كابنِ القيِّم وابنِ رجبٍ والمنذِريِّ والقاضي عياضٍ وغيرِهم.

وحاصلُه: أن «لا إلهَ إلا اللهُ» سببٌ لدخولِ الجنةِ، والنجاةِ من النارِ ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعملُ عملَه إلا باستجماع شروطِه، وانتفاءِ موانعِه، فقد يتخلَّف عنه مقتضاهُ لفواتِ شرطٍ من شروطِه، أو لوجودِ مانعٍ، ولهذا قِيلَ للحَسَنِ: إن ناساً يقولون: من قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» دخلَ الجنةَ، فقال: من قال: «لا إلهَ إلا اللهُ» فأدَّى حقَّها وفرضَها دخلَ الجنةَ.

وقال وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ لمن سأله: أليسَ «لا إلهَ إلا اللهُ» مفتاحُ الجنَّةِ؟ قال: بلَى، ولكن ما من مفتاحٍ إلا وله أسنانٌ، =

= فإن جئتَ بمفتاحٍ له أسنانٌ فُتِحَ لكَ، وإلا لم يُفتَح[1].

ويدلُّ على ذلك أن اللهَ رَتَّب دخولَ الجنةِ على الإيمان والأعمالِ الصالحةِ، وكذلك النبيُّ ﷺ، كما في «الصحيحين» عن أبي أيّوبَ، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، أخبرني بعملٍ يُدخِلُني الجنةَ، فقال: «تَعبُدُ اللهَ ولا تُشرِكُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ»[2].

وفي «المسند» عن بشيرِ ابن الخَصاصِيَةِ، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ لأُبايعَه فاشترطَ عليَّ شهادةَ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأن أُقيمَ الصلاة، وأن أُوتيَ الزكاةَ، وأن أَحُجَّ حَجَّةَ الإسلامِ، وأن أصومَ رمضانَ، وأن أجاهِدَ في سبيلِ الله، فقلتُ: يا رسولَ الله، أما اثنتين[3] فوالله لا أُطيقُهما: الجهادُ والصدقةُ. فقبضَ رسولُ الله ﷺ يدَه، ثم =

(١) أخرجه البخاري تعليقاً: الجنائز، قبل (١٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري: الأدب (٥٩٨٣)، ومسلم: الإيمان (١٣).

(٣) قال سماحة الشيخ: «اثنتين» غلط، ومقتضى العربية الرفع هنا، لأنها مبتدأ، والصواب: أما اثنتان، مثل: (أما السفينةُ)، (وأما الغلامُ).

= حرَّكَها وقال: «فلا جهادَ ولا صدقةَ، فبِمَ تدخلُ الجنةَ إذاً؟!» قلتُ: يا رسولَ الله، أبايعُك عليهنَّ كلِّهنَّ [1].

ففي الحديثِ أن الجهادَ والصدقةَ شرطٌ في دخول الجنةِ مع حصولِ التوحيدِ والصلاةِ والحجِّ والصيامِ، والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ[2]. [١١٤]

[شرح١١٤] من هذا الباب ما في «الصحيحين» من حديثِ جريرِ بنِ عبد الله البجليِّ رضي الله عنه قال: بايعتُ النبيَّ عليه الصلاة والسلام على شهادة أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والسَّمعِ والطاعة. قال: فلَقَّنني: «فيما استطعتَ». قال: والنُّصحِ لكلِّ مسلمٍ[3].

بايعَه على هذا كلِّه عليه الصلاةُ والسلامُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٤).

(٢) ص٥٦-٥٧.

(٣) أخرجه البخاري: البيوع (٢١٥٧) و(٧٢٠٤)، ومسلم: الإيمان (٥٦).

۞ وفي الحديثِ دليلٌ على أنه لا يَكفِي في الإيمانِ النطقُ من غيرِ اعتقادٍ، وبالعكسِ، وفيه تحريمُ النارِ على أهلِ التوحيدِ الكاملِ، وفيه أن العملَ لا ينفعُ إلا إذا كان خالصاً لله تعالى[1]. [١١٥]

[شرح١١٥] هذا بحث عظيم مهم جداً، جدير بالعناية، وجدير بالتدبر والتعقل، وجدير بالنظر والتكرار؛ لأنه يخلص من شبهات كثيرة، ويجعل طالب العلم على بصيرة في هذه الأحاديث التي يتشبث بها عباد القبور، ويتشبث بها أصحاب الردة ونواقض الإسلام، فقد أوضح العلماء كما سمعتم معانيها إيضاحاً كاملاً، وذكر الشارح الخلاصة بعد ذلك.

فالخلاصة أن هذه الأحاديث التي فيها تحريم النار على من قال: لا إله إلا الله، وفيها أن:« من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة»[2]، وفي بعضها: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله دخل الجنة»[3] إلى غير ذلك ـ فيها تفصيل، فالأحاديث التي فيها الإطلاق =

---

(١) ص٥٧.

(٢) مثل حديث جابر بن عبد الله، أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: الإيمان (١٥١).

(٣) مثل حديث أبي الدرداء، أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٨٩٨).

....

= مقيدة بالأحاديث التي فيها التقييد، فما جاء من الأحاديث مطلقاً فإنه مقيد بالأحاديث الأخرى والآيات المقيدة.

وقد أجمع أهل العلم قاطبة على أن مجرد قول: لا إله إلا الله، مجرد الشهادة من دون عمل لا يجدي على أهله، ولا ينقذهم من النار، فلا بد من إخلاص في هذا الذكر، ولا بد من عقيدة؛ فالمنافقون كانوا يقولونها وما نجّتهم من النار، والعياذ بالله.

فالحاصل أن ما جاء مطلقاً فهو مقيد بالأدلة الأخرى، فمن قال هذه الكلمة بإخلاص وصدق ويقين تامّ مُحِيَت سيئاتُه، ووجبت له التوبة من سيئاته، فهذا يدخل الجنة من أول وهلة.

وأما من قالها بغير إخلاص تامّ وبغير يقين تامّ، بل قد تلطخ بالمعاصي والسيئات، فهو تحت مشيئة الله، أو قالها بإخلاص تامّ وصدق تامّ، أو ترك السيئات والتوبة منها، ثم بعد ذلك طغت عليه السيئات، واكتسب السيئات والمعاصي، فإن هذا الاكتساب للسيئات والمعاصي يضعف توحيده ويضعف إيمانه، ويكون بهذا مستحقاً للنار، ويكون تحت مشيئة الله جل وعلا. =

....

= فينبغي التفطن لهذا، وعدم الغفلة عن هذا الشيء العظيم الذي فيه إزالة للشبهة وإيضاح للحق الذي لا ريب فيه، فكلام الله لا يتناقض، وكلام رسوله لا يتناقض عليه الصلاة والسلام، ويصدق كلُّ واحد منهما الآخرَ، يصدق بعضه بعضاً، ويؤيد بعضه بعضاً، ويوضح بعضه بعضاً، فالأمر بحمد الله واضح عند أهل العلم والإيمان والبصائر.

لكن يشتبه على أهل الهوى، أو على الجهلة الذين يتعلقون بالأموات، والاستغاثة بالأموات، والنذر للأموات، وعبادة القبور من دون الله، أو على الذين ابتلوا بالمعاصي والسيئات، وابتلوا بالميل إليها، وتعلقوا بهذه الأخبار المطلقة، وأقنعوا أنفسهم بجواز هذه المعاصي والركون إليها*.

* س: قوله: (وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾)[1] ماذا يعني به؟

ج: يعني: في الوعيد. =

(١) سلف ص٢٥٩.

....

= س: يعني إذا رد أحد الكتاب والسنة بسبب تقليد مذهبي، أو لما يرى عليه آباءه، يستدل عليه بهذه الآية؟

ج: فيه شبه بهم، والعلماء يستدلون بآيات الشرك الأكبر على الأصغر، فيستدلون بالتي نزلت في الكفار على من تساهل بأمر الله وتشبه بالكفار، وإن لم يكن متشبهاً بهم من جميع الوجوه، لكن يكفي أن يكون فيه شبه به.

س: ولكن إذا استدللت بها عليهم قالوا: جعلنا من الكفار!

ج: الآيات التي للشرك الأكبر يستدل بها على الأصغر وعلى المعاصي في الجملة؛ لأنها تشبه بأهل الكفر، فبالتقليد ومتابعة الأمر بغير نظر، ومن غير تبصر، ومن غير عناية، يكون مشابهاً لأولئك الأعداء، وفي الحديث: «مَن تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم»[1]، فيخشى عليه من العاقبة السيئة، وإن كان لم يكن مثلهم من كل الوجوه، نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه أبو داود: اللباس (٤٠٣١).

۞ قال: وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن رسولِ الله ﷺ، قال: «قال موسى: يا ربِّ، عَلِّمني شيئاً أذكُرُكَ وأدعوكَ به، قال: قُل يا موسى: لا إلهَ إلا اللهُ، قال: كلُّ عبادِكَ يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أنَّ السماواتِ السبعَ وعامِرَهُنَّ غيري، والأرضينَ السبعَ في كِفَّةٍ، ولا إلهَ إلا اللهُ في كِفَّةٍ، مالَت بهنَّ لا إلهَ إلا اللهُ». رواه ابنُ حبان والحاكمُ وصحَّحه⁽¹⁾.

أبو سعيدٍ: اسمُه سعدُ بنُ مالكِ بنِ سنانِ بنِ عُبيدٍ الأنصاريُّ الخزرجيُّ، صحابيٌّ جليلٌ، وأبوه أيضاً كذلك، استُصغِر أبو سعيدٍ بأُحُدٍ ثم شهدَ ما بعدَها، مات بالمدينة سنة ثلاث ـ أو أربع أو خمس ـ وستين، وقيل: أربع وسبعين.

قولُه: (أذكُرُكَ) هو بالرفع خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: أنا أذكرُكَ، وقيل: بل هو صفةٌ، و«أدعوكَ» معطوفٌ عليه، أي: أُثنِي عليكَ وأحمَدُك به، (وأدعوكَ) أي: أتوسَّلُ به إليكَ إذا دعوتُكَ. =

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: التاريخ (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك»: الدعاء (١/ ٥٢٨).

= قولُه: (قُل يا موسَى: لا إلهَ إلا اللهُ) فيه أن الذّاكِرَ بها يقولُها كلَّها، ولا يقتصرُ على لفظِ الجلالةِ كما يفعلُه جُهّالُ المتصوِّفةِ، ولا يقول أيضاً «هو» كما يقولُه غلاةُ جُهّالِهم، فإذا أرادوا الدعاء قالوا: «يا هو» فإنَّ ذلكَ بدعةٌ وضلالةٌ، وقد صنَّفَ جُهّالُهم في المسألتينِ، وصنَّفَ ابنُ عربيٍّ كتاباً سمّاه بـ«الهو»(١). [١١٦]

[شرح١١٦] هذا من جهل الصوفية، ولهم أغلاط وقبائح، وهم قوم يتعبدون ولهم أشياء مبتدعة، وطرق ومسالك في العبادة، ولهم أوراد ابتدعوها ونظموها وصارت لهم مذاهب ومسالك، كل طائفة ابتدعت شيئاً منها، مِن شاذلية، ومن نقشبندية، ومن قادرية، ومن خَلْوتية، ومن تيجانية وغير ذلك، وأكثرهم على غير بصيرة وعلى غير هدى، بل جهال لهم مقاصد سيئة من أكل أموال الناس بالباطل، ومن الصدّ عن سبيل الله، ومنها قصد الشهرة والظهور بشيء ما فعله الآخرون.

ومنهم أناس اجتهدوا ولكنهم أخطؤوا وغلطوا في هذا الباب، =

---

(١) ص٥٧.

....

= وكان أصل ذلك الزهد في الدنيا، والورع عن بعض المحارم، والرغبة في الآخرة، من أصولهم من العباد القدامى والأخيار القدامى، فجاء قوم جهلوا الطريق، وأساؤوا التصرف وصارت لهم أعمال مبتدعة، وأخلاق منحرفة، وأوقعوا في الشرك وعبادة غير الله ﷻ، ثم آل بهم الأمر إلى أن عبدوا شيوخهم، وجعلوهم من ذات الآلهة الذين ينفعون ويضرون، ويتصرفون في الكون، فحصل منهم بلاء عظيم وشرّ كثير، وفتن منتشرة في البلاد.

ومن جملة ما اخترعوه واشتهروا به: أنهم يقولون في ذكرهم: الله الله الله الله، ما يقولون: لا إله إلا الله، إنما يقولون: كلمة «الله الله» فقط، وبعضهم كان يقول: هو هو، أكثر اختصاراً في الكلام يعني: هو الله، هو يعني: هو ربي، فيترك «لا إله إلا الله» ويقول: هو هو.

وهذه كلها من البدع التي أحدثوها، وهذا كله منكر، والنبي ﷺ أمر أن يقال: «لا إله إلا الله»؛ «قولوا: لا إله إلا الله»[1] فالمقصود أنه ﷺ كان يقول: لا إله إلا الله، ويأمر الناس بأن يقولوا: لا إله إلا الله. =

---

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣٢٣٢).

....

= أما «الله الله» أو «هو هو» فهذه من البدع المحدثة التي أحدثها المتصوفة، وغلطوا في ذلك وأخطؤوا، فلهذا نبه عليه المؤلف.

أما ابن عربي فهو رئيس وحدة الوجود، وتصنيفه لكتابه «الهو» هذا من جهله وانحرافه، وأشد من ذلك وأكبر وأعظم دعوته إلى الوحدة، وأن الإله هو المألوه، وأن الإله والعبد واحد، والعبد هو المعبود، والخالق هو المخلوق، والرازق هو المرزوق، إلى غير ذلك من ضلالتهم التي لا يستطاع ذكرها، ولا يقوى اللسان والقلب على الكلام فيها لقبحها وضلالها.

فالحاصل أن ابن عربي من الضلال، وممن كفره جمع من أهل العلم لضلاله وتلبيسه، ودعوته إلى وحدة الوجود وأشياء في كتبه خبيثة لا ينبغي ذكرها، نسأل الله العافية، وله كتاب «الفتوحات»، و كتاب «الفصوص»، وهو من غلاة المتصوفة ومن أئمتهم في الشر والكفر والضلال، نسأل الله العافية.

۞ قوله: (كُلُّ عبادِكَ يقولون هذا) هكذا ثَبَت بخطِ المصنِّفِ(١): «يقولون» بالجمع مراعاةً لمعنى كلّ، والذي في الأصولِ «يقول» بالإفرادِ مراعاةً لِلَفظِها دونَ معناها، لكن قد روى الإمامُ أحمدُ عن عبدِ الله بنِ عمرٍو هذا الحديثَ بهذا اللفظِ الذي ذكرَه المصنِّفُ وأطولَ منه(٢).

وفي «سنن النسائي» والحاكم و«شرح السنة» بعدَ قولِه: (كلُّ عبادِك يقولون هذا): «إنما أريدُ شيئاً أن تَخُصَّني به»(٣) أي: بذلكَ الشيءِ من بين عُمومِ عِبادك(٤). [١١٧]

[شرح١١٧] يعني: شيئاً زائداً على الناس، ظن موسى أن هناك شيئاً يفوق «لا إله إلا الله» ويفضل عليها، فأراد أن يخصه ربه بذلك؛ لأن لا إله إلا الله يقولها المسلمون، فطلب عليه الصلاة والسلام =

---

(١) في المخطوطة: أثبت بخط المصنف.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠).

(٣) «السنن الكبرى» للنسائي (١٠٦٠٢) و(١٠٩١٣)، و«المستدرك» للحاكم (١/ ٥٢٨)، و«شرح السنة» للبغوي (١٢٧٣).

(٤) ص٥٧-٥٨.

....

= مزيداً من العلم والفضل، ثم أيضاً العدول عما شرعه الله إلى لفظ ما شرعه الله*.

---

* س: ما صحة هذا الحديث؟

ج: جيد، أسانيده جيدة.

س: ما حكم ما يقوله بعض الناس عند سماع القرآن: الله الله؟

ج: يقوله بعض المصريين، وليس له أصل، فالمشروع عند سماع القرآن السؤال عند آية الرحمة، والتعوذ عند آية الوعيد، وتسبيح الله وتقديسه عند ذكر الأسماء سبحان الله، والله أكبر، أما «الله الله» وحدها فلا تنفع.

س: يقولون ذلك عند القرآن وعند الأغاني.

ج: الله المستعان.

۞ فإنَّ من طَبْعِ الإنسانِ ألّا يفرحَ فرحاً شديداً إلّا بشيءٍ يختصُّ به دون غيرِه؛ كما إذا كانت عندَه جوهرةٌ ليست موجودةً عندَ غيرِه. مع أن من رحمةِ الله وسُنَّتِهِ المطَّرِدَةِ أن ما اشتدَّت إليه الحاجةُ والضرورةُ، كان أكثَرَ وجوداً كالبُرِّ والملحِ والماء ونحو ذلك، دون الياقوتِ واللؤلؤ(١). [١١٨]

[شرح١١٨] هذا من رحمة الله جل وعلا، ما كانت الضرورة إليه أشدّ والحاجة إليه أمسّ، يسَّره الله لعباده، وجعله منشوراً ورخيصاً حتى يتناوله الفقير والغني، بخلاف ما ليس له ضرورة فإنه قد يكون موجوداً ولكنه قليل؛ لأنه لا ضرورة إليه، وقد يكون غالياً أيضاً كالياقوت والجوهر واللآلئ الطيبة، والذهب وأشباه ذلك، فالماء ضرورة لا يستغني عنه أحد فجعله ميسراً بحمد الله، وهكذا البُرّ والتمر والملح وأشباه ذلك، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

---

(١) ص٥٨.

۞ ولـمّا كان بالناسِ، بل بالعالمِ كلِّه من الضرورةِ إلى «لا إلهَ إلا اللهُ» ما لا نهايةَ في الضرورةِ فوقَه، كانت أكثَرَ الأذكارِ وجوداً، وأيسرَها حصولاً وأعظَمَها معنًى، والعوامُّ والجُهَّالُ يعدلون عنها إلى الأسماء الغريبةِ والدعواتِ المُبتدَعَةِ التي لا أصلَ لها في الكتاب والسُّنَّةِ؛ كالأحزابِ والأورادِ التي ابتدعَها جهلةُ المتصوِّفةِ[١]. [١١٩]

[شرح١١٩] ولكن مع كثرتها ومع وجودها بالنسبة للمسلمين قَلَّ من يفقهونها ويفهمون معناها جيداً، ويفهمون أنها تبطل الآلهة، أي: لا معبود من دون الله، وأنها توجب أن يكون الله هو المعبود بحق ﷻ، وكان الكفرة من قريش وغيرهم يفهمونها أكثر من كثير من الناس اليوم؛ لأن أكثر الناس اليوم لا يعنى بالمعنى ولا بالحقائق، إنما يكتفي بمجرد الأشياء الظاهرة، والألفاظ السائرة من غير عناية؛ لأنه مشغول عنها بأشياء أخرى، مشغول عنها بدنياه وحاجاته وشهواته والتوسع فيها لا ينفعه، بل قد يضره كثيراً.

وأما الخُلَّصُ من الناس وأهل البصائر، فهم يعنون بالـمعاني =

---

(١) ص٥٨.

....

= والحقائق أكثر مما يعنون بالألفاظ والأشياء الظاهرة؛ لأنهم يعلمون أن المقصود الحقائق، وليس المقصود المظاهر، فلذلك تجد المؤمن، وطالب العلم يعنى بتدبر الآيات والإقبال على معانيها، ويخشع عند تلاوتها، ويعنى بالأذكار الشرعية أكثر مما يعنى غيره بذلك*.

---

* س: هل يستطيع المسلمون أن يمنعوا كتب المتصوفة؟

ج: بالنسبة إلى بلادنا كل كتبهم ممنوعة، أما في البلاد الأخرى ففيها الشرك الأكبر ظاهر، فماذا يمنعون، المقصود أنها كلها ممنوعة، ككتاب «فصوص الحكم» ففيه كفر شديد، وغيره.

س: هل لفظ التصوف لفظ إسلامي أم مبتدع؟

ج: لا أعرف، وأظنه مبتدعاً، لكنه اشتهر بين الناس، وأطلق عليهم، واشتهروا وعرفوا به، ولو كان مبتدعاً، فما دام قد عرفوا به وشاع بينهم، وتسموا به فيسمون به.

س: هل نختار لفظاً أحسن منه؟

ج: إن هداهم الله وتابوا سموا بالاسم الطيب، وما داموا على العمل الرديء فيسمون باسمهم.

س: ما مرادكم بكلمة «مستقيمين» التي يذكرها شيخ الإسلام وتتردد في كتبه؟ =

....

= ج: المستقيمون هم أهل الزهد، وما هم بأهل التصوف، من كان مثل بشر الحافي والفضيل بن عياض وأشباه هؤلاء فهم أهل الزهد والعبادة، وكانوا قبل بدعة التصوف، فيقال لهم: الزهاد والعباد.

س: لا ينبغي إطلاق كلمة التصوف والصوفية على العلماء؟

ج: المعروفون بخير يقال لهم: العباد والزهاد، ولا يقال لهم: الصوفية، إنما يقال: الصوفية، لأهل البدع الذين اخترعوا أشياء جديدة.

س: بعض الأشياء المبتدعة مذكورة عن الجنيد.

ج: ليس كل ما يذكر عن الناس صحيحاً، فلا بد من مطالعة الأسانيد، والجنيد ـ رحمه الله ـ معروف أنه يقول: علمنا مقيد بالكتاب والسنة، ومن لم يعتن بالكتاب والسنة فليس منا.

س: لكن روي عنه كرامات زائدة.

ج: ما صح عنه من الكرامات فلا يستنكر، أهل السنة يؤمنون بكرامات الأولياء إن صحت.

۞ قوله: (وعامِرَهُنَّ غيري) هو بالنصب، عطفٌ على السماواتِ، أي: لو أن السماواتِ السبعَ ومن فيهنَّ مِن العُمّارِ غيرَ الله، والأرضينَ السبعَ ومن فيهنَّ وُضِعوا في كِفَّةٍ و«لا إلهَ إلا اللهُ» في الكِفَّةِ الأُخرى مالَت بهنَّ «لا إلهَ إلا اللهُ»[1]. [١٢٠]

[شرح١٢٠] قوله: «غيري» لما كانت السماوات في العلو فناسب أن يقول: «غيري»، وهو سبحانه ليس في السماوات، فليس بداخلها لكنه في العلو، وأتى بـ«غيري» لرفع التوهمات، حتى لا يتوهم أحد أنه داخل في هذا، وهو فوق السماوات سبحانه، وفوق العرش جل وعلا، ليس داخل السماوات، ولكنه فوق السماوات، فوق العرش جل وعلا.

وقوله: «مالت» يعني: رجحت.

---

(١) ص٥٨.

۞ وروى الإمامُ أحمدُ، عن عبدِ الله بنِ عمرٍو عن النبيِّ ﷺ: أن نوحاً عليه السلام قال لابنِه عندَ موتِه: آمُرُكَ بـ«لا إلهَ إلا اللهُ» فإن السماواتِ السَّبعَ، والأرضِينَ السَّبعَ، لو وُضِعَت في كِفَّةٍ و«لا إلهَ إلا اللهُ» في كِفَّةٍ، لرجَحَت بهنَّ «لا إلهَ إلا اللهُ» ولو أن السماواتِ السَّبعَ، والأرضِينَ السَّبعَ، كُنَّ حَلقةً مُبهَمةً، قَصَمَتهُنَّ «لا إلهَ إلا اللهُ»(١).

وفيه دليلٌ على أنَّ الله تعالى فوقَ السَّماواتِ(٢). [١٢١]

[شرح١٢١] وهذا يبين عظم شأن «لا إله إلا الله» عند الرسل قديماً وحديثاً، وهي أعظم الكلام، وأفضل الكلام، وذلك في حق من اعتقد معناها وعرفه، فلا يحصل المقصود بمجرد قول: «لا إله إلا الله» لكل أحد، وذلك بإجماع أهل العلم قاطبة، ولكن هذا في حق من قالها عن عقيدة وعن بصيرة وعن العمل بمقتضاها، فإنها ترجح بجميع سيئاته، وترجح بهذه المخلوقات، وهذا بإجماع أهل العلم قاطبة. =

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠).

(٢) ص٥٨.

....

= وذكر السماوات والأرض من باب تمثيل الأشياء المعنوية بالأشياء المحسوسة، حتى يفهم وجه فضلها، وأنها أفضل الكلمات على الإطلاق.

ومن هذا حديث أبي هريرة في «الصحيحين» واللفظ لمسلم: «الإيمانُ بِضعٌ وسبعونَ شُعبةً وأفضلها قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ»[1]، فهذه الكلمة هي أفضل الكلام الذي ينطق به البشر ويتكلم به الناس، وهي أصل الدين، وأساس الملة، وهي أصل الإسلام الذي بعث الله به الرسل جميعاً.

وأصل ذلك أن يعبد الله وحده، وأن لا يشرك به ﷻ، هذا أصل الإسلام الذي بعث الله به الرسل جميعاً: أن يعبد الله وحده دون كل ما سواه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

هذا معنى (لا إله إلا الله): أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، =

---

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٩)، ومسلم: الإيمان (٣٥) (٥٨).

....

= أي: وحدوا الله، وابتعدوا عن عبادة الطاغوت، معناها: لا معبود بحق إلا الله.

فهي تثبت التوحيد والعبادة لله وحده، وتنفي العبادة عن غير الله جل وعلا؛ ولهذا صارت أعظم الكلام وأفضله، وكان لها هذا الرجحان.

أما من يقولها على غير بصيرة وعلى غير علم، ومن يقولها على غير عقيدة لها، وإنما يقولها مجاملة للناس، أو رياء كالمنافقين، فلا تزن شيئاً عند الله جل وعلا، ولا تنفعه عند الله شيئاً؛ لأنه قالها عن غير عقيدة، ولا اعتقاد لمعناها، ولا عمل لمقتضاها، فلا تزن عند الله جناح بعوضة، ولا تنفعه عند الله ﷻ؛ لأنه قد كفر بمعناها، وحاد عنها، وضل عنها، نسأل الله العافية*.

---

* س: ما درجة حديث الإمام أحمد؟

ج: ما راجعت سنده، ولا أتذكر هذا، لكن سكوت المؤلف يدل على أنه جيد، فإن أحمد رواه عن سليمان بن حرب ـ رحمه الله ـ من أهل الحديث، وهو يعتني به. =

....

= **س: لو أن أحدهم قال: لا إله إلا الله، وهو لا يصلي، هل تنفعه؟**

ج: إن قالها ولم يصل، فما أدى حقها، فيكفر بذلك عند جمع من أهل العلم، وهو المعروف عن الصحابة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ أن ترك الصلاة كفر أكبر وردة عن الإسلام.

ومن ارتدَّ عن الإسلام لم ينفعه قول: لا إله إلا الله، مثل لو جحد وجوب الصلاة، أو سب الرسول، أو سب الدين، فلا ينفعه قول: لا إله إلا الله، وهذه قاعدة: أن كل من أتى بناقض من النواقض، فلا ينفعه قول: لا إله إلا الله.

س: من قال: إن مسيلمة، أو الأسود العنسي، أو فلاناً، نبي بعد محمد، فهل تنفعه صلاته وصومه؟! وهل ينفعه قول: لا إله إلا الله؟!

ج: جاء في الحديث قوله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[1]، وجاءت آيات وأخبار أخرى تدل على هذا المعنى أيضاً، بسطها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتاب «الصلاة وحكم تاركها»، لكن المسألة خلافية بين أهل العلم، فقال بعض أهل العلم: لا يكفر بذلك إلا كفراً دون كفر، لكن أرجح القولين في شأن تارك الصلاة أنه كفر أكبر وردة نعوذ بالله.

س: ما المقصود من قوله عن الصلوات الخمس أن من تركها فإن الله =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٨٢).

....

= إن شاء عذبه وإن شاء غفر له؟

ج: المعروف في الرواية أنه من لم يحافظ عليها لا من تركها بالكلية.

س: ما معنى قول الجارية عندما سألها النبي ﷺ فقالت: في السماء[١]؟

ج: إنه في العلو و«في» مفسرة على وجهين: **أحدهما**: بمعنى الظرفية فيكون معناه: على السماء، أي: «في» بمعنى «على».

والقول الثاني: أن المراد بالسماء هنا العلو؛ أي: جنس العلو مطلق على بابها الظرفية، فالمعنى لفظ العلو ﷻ مع أنه قال: على العرش وغيره، أو معنى في السماء يعني: على السماء يعني: فوق العرش كما في قوله ﷻ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: على الأرض؛ فإن «في» تأتي بمعنى «على».

---

(١) أخرجه مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧).

۞ قولُه: «في كِفَّةٍ» بكسر الكاف وتشديد الفاء، مِن كِفَّةِ الميزانِ، قال بعضهم: ويُطلَق لكلِّ مُستديرٍ.

قوله: «مالَت بهنَّ لا إلهَ إلا اللهُ» أي: رَجَحَت عليهنَّ، وذلك لما اشتملَت عليه من توحيدِ الله الذي هو أفضلُ الأعمالِ، وأساسُ المِلَّةِ، ورأسُ الدينِ، فمن قالها بإخلاصٍ ويقينٍ، وعمل بمقتضاها ولوازِمها، واستقامَ على ذلك، فهو من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت][1]. [١٢٢]

[شرح١٢٢] وهنا ينبغي أن ينتبه لهذا الشرط الذي حصل به هذا الخير العظيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ فكثير من =

---

(١) ص٥٨.

....

= الناس يقول ويتكلم كثيراً، ولكن لا يستقيم على ما قاله، بل يقول ولا يفعل كالمنافقين، فلا يحصل على هذا الوعد العظيم، وإنما يحصل هذا الوعد لمن قال: ربي الله، يعني: إلهي ومعبودي الله ﷻ، ثم استقام على ذلك بالعمل الصالح بأداء الفرائض، وترك المحارم والوقوف عند الحدود، هذا هو الموعود بها بالخير العظيم.

فأما من قال: ربي الله، ثم عبد غيره، أو قال: ربي الله، ثم عطل حقه، فلا يحصل له هذا الوعد، وفي الآية الأخرى آية الأحقاف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف]، فلا بد من العمل ولا بد من الاستقامة.

والآيات في هذا المعنى لا تحصى، فمنها قوله جل وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] ثم فسر من هم وبين أعمالهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣].

فالإيمان يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله =

....

= عنه ورسوله، والتقوى كذلك، فجمع بينهما ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ أي: آمنوا بالله ورسوله، وحفظوا هذا الإيمان بتقوى الله، بأداء فرائضه، وبترك محارمه، وبالوقوف عند حدوده.

هؤلاء هم أولياء الله، وهم أصحاب الجنة، وهم أهل الاستقامة، بخلاف أهل الانحراف، كالمنافقين الذين قالوها باللسان، ولكن حادوا عنها بالقلب والعمل، وكذلك أهل الفجور والمعاصي قالوها باللسان وأدوا بعض معناها، ولكن لم يؤدوا حقها كاملاً، بل تخلفوا عن ذلك باتباع الشهوات والأهواء.

۞ والحديثُ يدلُّ على أن «لا إلهَ إلا اللهُ» أفضلُ الذكرِ، كما في حديثِ عبدِ الله بنِ عمرٍو مرفوعاً: «خيرُ الدعاءِ دعاءُ يومِ عَرَفَةَ، وخيرُ ما قلت أنا والنبيُّون مِن قَبلي: لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». رواه أحمد والترمذي[1].

وعنه أيضاً مرفوعاً: يُصاحُ برجلٍ مِن أُمَّتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ فيُنشَرُ له تسعةٌ وتسعونَ سِجِلًّا، كلُّ سِجِلٍّ منها مَدَّ البَصَرِ، ثم يُقال: أَتنكِرُ من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا ربِّ. فيقال: أَلكَ عُذرٌ أو حسنةٌ؟ فيهابُ الرجلُ فيُقال: لا. فيقال: بلَى، إن لكَ عندَنا حسناتٍ، وإنه لا ظلمَ عليكَ، فتخرُجُ بطاقةٌ فيها «أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه» فيقول: يا ربِّ، ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجِلاتِ؟! فيقال: إنكَ لا تُظلَم. فتُوضَع السجلاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشَتِ السجلاتُ وثَقُلَت البطاقةُ. =

(١) أحمد (٢/ ٢١٠)، والترمذي: الدعوات (٣٥٨٥).

= رواه الترمذيُّ وحسَّنه، والنَّسائيُّ، وابنُ حِبّان، والحاكم[١]، وقال: صحيح على شرطِ مسلمٍ، وقال الذهبيُّ في «تلخيصه»: صحيح.

قال ابنُ القيِّم: فالأعمالُ لا تتفاضلُ بصوَرِها وعَدَدِها، وإنما تتفاضل بتفاضلِ ما في القلوب، فتكون صورةُ العملِ واحدةً وبينهما من التفاضلِ كما بين السماءِ والأرضِ.

قال: تأمَّل حديثَ البطاقةِ التي تُوضَع في كِفَّةٍ ويقابلُها تسعةٌ وتسعونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ منها مدَّ البصرِ، فتثقُل البطاقةُ وتطيشُ السجلاتُ، فلا يُعذَّب، ومعلوم أن كلَّ مُوَحِّدٍ له هذه البطاقةُ، وكثيرٌ منهم يدخلُ النارَ بذنوبِه.

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «ما قالَ عبدٌ: لا إلهَ إلا اللهُ، مُخلصاً قطُّ، إلا فُتِحَت له أبوابُ السماءِ حتَّى تُفضِيَ إلى العرشِ، ما اجتُنِبَت الكبائرُ»[٢]. =

---

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه»: الإيمان (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرك»: الإيمان (١/ ٦).

(٢) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٦٠١).

= رواه الترمذيُّ وحسَّنه، والنسائيُّ، والحاكم، وقال: على شرط مسلم[١]. [١٢٣]

[شرح١٢٣] هذا المعنى صحيح، فهذه الأمور كلها ثابتة بالنص والإجماع، ومنها ما رواه مسلم في «الصحيح» أيضاً: «الصلواتُ الخَمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكفِّراتٌ لما بَينهُنَّ إذا اجتنبَ الكبائرَ»[٢] .

ومنها حديث عثمان في «الصحيح» لما توضأ فأخبره عليه الصلاة والسلام أنه إذا صلى بعد هذا الوضوء ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه[٣]. وذلك إذا لم تصب المقتلة، أي: ما لم يأت كبيرة.

فالحاصل أن ما ورد من الفضائل، والوعد بالجنة والكرامة، هو مقيد بقيود منها عدم الإصرار على الكبائر، فإذا أصر على الكبائر فليس هذا الوعد محتوماً ولا مضموناً، فيكون تحت مشيئة الله. =

---

(١) ص٥٨-٥٩.

(٢) أخرجه مسلم: الطهارة (٢٣٣).

(٣) انظر ما أخرجه البخاري: الوضوء (١٥٩)، ومسلم: الطهارة (٢٢٦) و(٢٢٨).

....

= فقد يعفى عنه لأسباب مثل أعمال صالحة، وفضل رحمة الله وإحسانه، وقد لا يعفى عنه لسوء أعماله، ولتقصيره في العمل الصالح، ولسيئاته التي مات عليها، فيعذب على حسب أعماله، قد يعذب مدة طويلة، وقد يعذب مدة قليلة، وقد يكون عذابه إلى كعبه أو إلى ركبته أو إلى حقوه، كما جاء في الحديث[1].

فالمقصود أن أهل الكبائر معرضون للوعيد عند أهل السنة والجماعة ولو قالوا: «لا إله إلا الله» صباحاً ومساءً، حتى تكون هذه الكلمة محققة لمحو سيئاتهم، بالعناية بها والإقبال عليها، وتحقيق معناها بترك الإصرار على المنكر.

وأما من قالها مع الغفلة والإعراض ومتابعة الشهوات، ما حقق معناها، ولم يؤدها كما ينبغي، ولم يؤد حقوقها، فلا تكون هذه الكلمة طارحة للسيئات، ولا تكون هذه الكلمة موجبة لدخول الجنة من أول وهلة، فقد يعذب.

هذا مجمع عليه، والنصوص دلت على ذلك، والنص القرآني =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٣).

....

= فيه الدلالة على أن أنواعاً من الشرك تحت المشيئة، وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن كثيراً من العصاة يدخلون النار ويحترقون فيها، وأنهم يخرجون منها بعد ذلك كالحمم ضبائر ضبائر وكعيدان السماسم[1]، ويلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حَمِيلِ السيل[2]، هذا كله واضح في دخولهم النار ثم إخراجهم منها[3].

وحديث البطاقة[4] من هذا الباب؛ فإنَّ صاحب البطاقة لم يعذَّب لأنه أتى بهذه الشهادة على وجه أدى فيه حقوقها، فصارت =

(١) السماسم: جمع سمْسم، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت ليؤْخذ حبها دقاقاً سوداً كأنها محْترقة، فشبه بها هؤلاء الذين يخرجون من النار وقد امتحشوا. النهاية في غريب الحديث، مادة (سمسم).

(٢) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عَوْد أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها. النهاية في غريب الحديث، مادة (حمل).

(٣) انظر ما أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٣- ١٨٥) و(١٩١)(٣٢٠).

(٤) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠).

....

= هذه الشهادة محرقة لسيئاته، متضمنة لتوبته منها وإقلاعه عنها، بصدقه في هذه الكلمة وعنايته بها، حتى صارت هذه الكلمة راجحة لسيئاته الكثيرة؛ لأنه أداها في آخر حياته، وعند موته عن صدق وعن إخلاص وعن ندم وعن إقلاع وعن توبة من سيئاته التي بلغت تسعة وتسعين سجلاً.

والنصوص تفسر بعضها بعضاً، ويوضح بعضها بعضاً، ويؤيد بعضها بعضاً، ومن أخطأ هذا الطريق وترك هذا السبيل الذي سلكه أهل العلم؛ لم يستقم له فهم النصوص، ولم يعرف مراد الله مما أمر الله به عباده ﷻ، وقد يفضي به ذلك إلى سوء الظن بالله، وإلى الحكم بتناقض الأدلة فيهلك بهذا، نسأل الله العافية.

۞ قوله: «رواهُ ابنُ حِبّان والحاكمُ»، (ابنُ حِبّان) اسمه محمد ابن حبّان، بكسرِ المهملةِ وتشديد الموحَّدَةِ، ابن أحمدَ بن حبان، أبو حاتم التَّمِيميُّ البُستِيُّ الحافظ، صاحب التصانيف كـ«الصحيح» و«التاريخ» و«الضعفاء» و«الثقات» وغير ذلك، قال الحاكم: كان مِن أَوعيةِ العلمِ في الفقهِ واللغةِ والحديثِ والوعظِ، ومن عقلاءِ الرجالِ، مات سنة أربع وخمسين وثلاثِ مئَة بمدينةِ بُسْتٍ، بالمهملة(١). [١٢٤]

[شرح١٢٤] «بست» مدينة بخراسان، وهو شيخ الحاكم*.

---

* س: هل كان لابن حبان منهج متميز في الجرح والتعديل؟

ج: لا شك في ذلك، ولكنه تساهل في الجرح والتعديل.

س: حتى في شيوخه؟

ج: هذا الحكم عامٌّ في شيوخه وغيرهم.

س: ذكر عبد الرحمن اليماني صاحب «التنكيل» أن في شيوخه من لا يقبل منه.

ج: هذا يحتاج إلى تتبع أيضاً، قوله هذا مطلق على كل حال، ولكن =

---

(١) ص٥٩.

....

= يحتاج إلى تتبع، فمن تتبع كتبه تتضح له حقيقته.

س: توثيق ابن حبان لا يؤخذ به؟

ج: يستأنس به، ولكن لا يعتمد عليه في المفردات، فإذا انفرد في شيء لا يعتمد عليه؛ لأنه عرف بالتساهل رحمه الله، ولا سيما إذا كان من وثقه يخالف بالمعروف فيكون الأمر أشد.

۞ وأما (الحاكمُ) فاسمُه محمدُ بنُ عبدِ الله بن محمد الضَّبِّيُّ النَّيسابوريُّ، أبو عبد الله الحافظُ، ويعرف بابن البَيِّعِ، وُلِدَ سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة، وصنَّفَ التصانيفَ كـ«المستدرك» و«تاريخ نيسابور» وغيرهما، ومات سنة خمس وأربع مئة[1]. [١٢٥]

[شرح١٢٥] رحمة الله عليه، كذلك الحاكم أيضاً معروف بالتساهل مثل ابن حبان شيخه، وابن خزيمة كذلك، ولكنه أحسن منهما جميعاً.

---

(١) ص٥٩.

۞ قال: وللترمذيِّ وحسَّنه عن أنسٍ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ، لو أَتيتَني بقُرَابِ الأرضِ خَطَايا، ثم لَقِيتَني لا تُشرِكُ بي شيئاً، لأَتيتُكَ بِقُرَابها مغفرةً»[1]. [2]*

---

* س: القسم الأخير أو القسم الثالث الذي ذكرت أنه يؤدي إلى الكفر والضلال الذي هو التقليد وما بينته أثابكم الله؟

ج: هو تقليد الكفرة فيما هم عليه، وهذا بالنظر لما جاء به الإسلام، فيقلد الكفرة في أعمالهم المبطلة وأعمالهم الباطلة، ولا يبالي، ولا ينظر في الدليل، ويقول: يكفي ما هم عليه من عبادة البدوي، أو عبادة فلان أو فلان أو فلان، فهم أعلم منا وأحسن منا، مثلما فعل اليهود والنصارى مع رؤسائهم، فأكثرهم لا يعقل ولا يعلم، وإنما تابعوا الرؤساء.

نعم، النبي ﷺ لما قاتل الروم وقاتلهم الصحابة لم يقل لكل واحد قابله: هل قام عليك الدليل؟ بل رؤساؤهم لما عاندوا تابعهم جماعتهم، وهكذا فارس؛ قاتلهم المسلمون لما أبى رؤساؤهم الدخول في الدين الحق، فالعامة تتبع رؤساءها.

---

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٤٠).

(٢) ص٥٩.

۞ التِّرمِذيُّ: اسمُه محمدُ بنُ عيسى بن سَوْرة ـ بفتح المهملة ـ بن موسى بن الضَّحّاك السُّلَميُّ، أبو عيسى، صاحب «الجامع» وأحدُ الأئمةِ الحفاظِ، كان ضريرَ البصر، رَوَى عن قُتَيبةَ وهَنّادٍ والبخاريِّ وخَلقٍ، ومات سنة تسع وسبعين ومئَتين.

وأنسٌ: هو ابنُ مالكِ بنِ النَّضرِ الأنصاريُّ الخَزْرجيُّ، خادمُ رسولِ الله ﷺ، خدمَه عشرَ سنينَ، ودعا له النبيُّ ﷺ فقال: «اللهمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه وأدخِلْه الجنةَ»[1]. ومات سنة اثنتين ـ وقيل: ثلاث ـ وتسعين، وقد جاوَزَ المئةَ.

والحديثُ قِطعةٌ من حديثٍ رواه الترمذيُّ من طريقِ كثيرِ بنِ فائدٍ، قال: حدَّثنا سعيدُ بنُ عُبَيدٍ، سمعتُ بكرَ بنَ عبدِ الله المُزَنيَّ، يقول: حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: «قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ، إنكَ ما دَعَوتَني ورجَوتَني غفرتُ لكَ على ما كانَ منكَ ولا =

(١) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١٢٥٥).

= أُبالي، يا ابنَ آدمَ، لو بَلَغَت ذُنوبُكَ عَنانَ السماءِ، ثم استَغفَرتَني غَفَرتُ لكَ، يا ابنَ آدمَ، لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ...» الحديث[1].

قال ابن رجب: وإسناده لا بأس به. وسعيدُ بنُ عُبيدٍ هو الهُنائيُّ، ذكرَه ابنُ حِبّان في «الثقات» وقال الدّارَقُطنيُّ: تفرَّد به كثيرُ بن فائدٍ عن سعيدِ بن عُبيدٍ مرفوعاً.

قال ابنُ رجبٍ: وتابعَه على رَفعِه أبو سعيدٍ مولى بني هاشمٍ، فرواه عن سعيدِ بن عُبيدٍ مرفوعاً، وقد رواه الإمامُ أحمدُ من حديثِ أبي ذَرٍّ بالمعنى[2]، وأخرجه الطبرانيُّ من حديثِ ابنِ عباسٍ، عن النبي ﷺ[3]، وروَى مسلم من حديث أبي ذَرٍّ عن النبي ﷺ، قال: «يقولُ اللهُ: مَن تقرَّبَ مِنِّي شِبراً تقرَّبتُ منه ذراعاً...» الحديث[4]. =

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٣٤٦)، وفي «الأوسط» (٥٤٨٣).

(٤) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء (٢٦٨٧).

= وفيه: «ومَن لَقِيَني بقُرابِ الأرضِ خَطيئةً لا يُشرِكُ بي شيئاً، لقِيتُه بقُرابِها مغفرةً».

قولُه: «لو أَتيتَني بقُرابِ الأرضِ» قُرابِ الأرضِ: بضم القافِ، وقيل: بكسرِها، والضمُّ أشهرُ، وهو مِلؤُها أو ما يقاربُ مِلْئَها.

قولُه: «ثم لَقِيتَني لا تُشرِكُ بي شيئاً» شرطٌ ثقيلٌ في الوعدِ بحصول المغفرةِ، وهو السلامةُ من الشِّركِ كثيرِه وقليلِه، صغيرِه وكبيرِه، ولا يسلَمُ من ذلك إلا من سَلَّمه اللهُ، وذلك هو القلبُ السليمُ، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

قال ابنُ رَجَبٍ: مَن جاء مع التوحيدِ بقُرابِ الأرضِ خطايا، لقيَه اللهُ بقُرابِها مغفرةً، لكن هذا مع مشيئةِ الله ﷻ، فإن شاءَ غفرَ له، وإن شاءَ أخذَه بذنوبِه، ثم كان عاقبته أن لا يُخلَّدَ في النارِ، بل يخرجُ منها، ثم يدخلُ الجنةَ.

فإن كَمَلَ توحيدُ العبدِ وإخلاصُه لله تعالى فيه، وقام =

= بشروطِه بقَلبِه ولسانِه وجوارحِه، أو بقلبِه ولسانِه عندَ الموتِ، أوجبَ ذلك مغفرةَ ما سلَف من الذنوبِ كلِّها، ومَنعَه من دخولِ النارِ بالكليَّة.

فمن تحقَّق بكلمةِ التوحيدِ قلبُه أَخرجت منه كلَّ ما سوى الله محبةً، وتعظيماً، وإجلالاً، ومَهابةً، وخَشْيةً، وتَوكُّلاً، وحينئذٍ تُحرَقُ ذنوبُه وخطاياه كلُّها، ولو كانت مثلَ زَبَدِ البحرِ، وربما قَلَبتها حَسَناتٍ[1]. [١٢٦]

[شرح١٢٦] (وربما قلبتها حسنات) يعني: عند كمال التوحيد، وكمال اليقين، وكمال الإخلاص، تكون في ضمنها التوبة الصادقة، فالتوبة الصادقة يبدل الله بها السيئات حسنات، مثل ما قال ﷻ وقد ذكر الشرك والقتل والزنى، قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٧٠].

فمن أتى بالتوحيد الخالص عن يقين، وعن إيمان، وعن إقلاع =

---

(١) ص٦٠-٦١.

....

= عن الذنوب، وترك لها، وحذر منها، وعن إيمان بوجوب الحذر منها، وعدم الإصرار عليها، صار ذلك كفارة لها، ومع ذلك يكون مكان كل سيئة حسنة.

فإذا تابع هذا الندم، وهذا الإقلاع، وهذا اليقين، وهذا الصدق، تابعه بالإيمان بما ينبغي والعمل الصالح، فإن الله جل وعلا يجعل مكان سيئاته حسنات؛ لأن هذه التوبة توبة صادقة وتوبة عظيمة، أتبعها صاحبها بإيمانه الصادق بما يجب الإيمان به، وبعمله الصالح الذي هو أداؤه الفرائض، وتركه المحارم، فصارت هذه التوبة تكفر السيئات، وفوق ذلك يكون مكان السيئات حسنات.

۞ فإن هذا التوحيدَ هو الإكسيرُ الأعظم[1]، فلو وُضِعَ منه ذرَّةٌ على جبالِ الذنوبِ والخطايا لقَلَبها حسناتٍ.

وقال شيخُ الإسلامِ: الشركُ نوعانِ: أكبرُ، وأصغرُ، فمَن خَلَصَ منهما وَجَبَت له الجنةُ، ومَن مات على الأكبرِ وَجَبَت له النارُ، ومَن خَلَصَ من الأكبرِ، وحصلَ له بعضُ الأصغرِ مع حسناتٍ راجحةٍ على ذنوبه، دخلَ الجنةَ.

فإن تلك الحسناتِ توحيدٌ كثيرٌ مع يسيرٍ من الشركِ الأصغرِ، ومن خَلَصَ من الأكبرِ، ولكن كَثُر الأصغرُ حتى رجحَت به سيئاتُه دخلَ النارَ، فالشركُ يُؤاخذُ به العبدُ إذا كان أكبرَ أو كان كثيراً أصغرَ، والأصغرُ القليلُ في جانبِ الإخلاصِ الكثيرِ لا يُؤاخذُ به.

وفي هذه الأحاديث:

١- كثرةُ ثوابِ التوحيدِ.

٢- وسَعَةُ كرمِ الله، وجودُه، ورحمتُه؛ حيثُ وَعَدَ عبادَه =

(١) قال الشيخ: يعني: الدواء الأعظم، أو العلاج الأعظم.

= أن العبدَ لو أَتاه بِمِلءِ الأرضِ خطايا، وقد مات على التوحيد فإنه يقابلُه بالمغفرةِ الواسعةِ التي تَسَعُ ذنوبَه[1]. [١٢٧]

[شرح١٢٧] هذا مثل ما تقدم في حديثِ صاحب البطاقة، وصاحب التسع وتسعين سجلًّا[2]، وقد كان كل سجل مدّ البصر، ومع هذا فإن البطاقة الصغيرة التي فيها الشهادتان رجحت وطاشت السجلات، لما تقدم من يقينه وإخلاصه، فقد شهد هذه الشهادة عند موته، وعند خروج روحه، حتى كانت هذه الشهادة ماحية لهذه السيئات؛ لأنها صدرت عن إيمان، وعن إخلاص، وعن صدق، وعن ندم وإقلاع عن الذنوب، وعدم إصراره عليها، فصارت راجحة لجميع سيئاته.

والدليل على هذا أن الله جل وعلا أخبر أن العصاة موعودون بالنار، وأنهم على خطر من دخول النار، وأنهم تحت مشيئة الله ﷻ، وكلام الله لا يتناقض، وكلام رسول الله لايتناقض عليه الصلاة =

---

(١) ص٦١.

(٢) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠).

....

= والسلام، فوجب أن يكون هذا له معنى، وهذا له معنى.

فالتوحيد الذي يرجح على السيئات، ويوجب دخول الجنة من أول وهلة، ويحرم صاحبه على النار، إنما يكون كذلك إذا كان توحيداً ماحياً للسيئات، قاضياً عليها، محرقاً لها، لما اشتمل عليه من الصدق والإخلاص والإيمان والندم والإقلاع، حتى صار هذا التوحيد هو مجتمع التوبة الصادقة الماحية للسيئات القاضية عليها فيدخل الجنة من أول وهلة.

بخلاف التوحيد الناقص الذي معه شيء من الشرك الأصغر، أو شيء من الكبائر، فإنه يكون توحيداً ضعيفاً قد أهزلته الذنوب والسيئات، وقد أضعفته الخطايا، فيكون صاحبه تحت مشيئة الله، إن شاء أدخله الجنة بتوحيده وإخلاصه وغفر نقصه، وإن شاء ﷻ عذبه على قدر جرائمه من قتل، أو زنى، أو سرقة، أو عقوق، أو ربا، أو ما أشبه ذلك من المعاصي التي أوجبت له دخول النار.

ثم بعد دخوله النار وبعد تطهيره فيها على قدر أعماله السيئة، يكون مصيره إلى الجنة، فلا يخلد في النار موحد، والذي يخلد في =

....

= النار الكفار الذين ليس عندهم توحيد، بل ماتوا على الكفر بالله والشرك به، فهؤلاء المخلدون في النار، لا يخلد فيها موحد أبداً.

والموحدون المسلمون لهم حالتان:

الحالة الأولى: أن يموت على استقامة، وتوبة صادقة، وتوحيد كامل، فهذا له الجنة من أول وهلة.

الحالة الثانية: مات على التوحيد ولكن له ذنوب وسيئات من معاص ما تاب منها، فهذا تحت مشيئة الله عند أهل السنة والجماعة على ظاهر الآية الكريمة ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٤٠].

فهذا إن شاء ربك عفا عنه برحمته سبحانه وجوده، وبسبب أعماله الصالحة وتقواه لله في أشياء كثيرة، وإن شاء عاقبه على قدر هذه السيئات، ثم بعدما يطهر منها ويمحص يخرج من النار، كما جاء في الأخبار المتواترة إلى نهر الحياة[1] كما قال في الحديث الصحيح: «سيخرجون منها ضبائر»[2]، وفي لفظ: «كأنهم عِيدان =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٣) و(١٨٤).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (١٨٥).

....

= السماسم فيدخلون نهراً من أنهار الجنة»[١] يعني: قد احترقوا كالفحم، نسأل الله السلامة.

فالحاصل أنه لا بد من دخول بعض العصاة في النار، ولا يلزم من ذلك أنهم سيدخلون كلهم، فقد جاءت النصوص دالة على أن بعضهم قد يعفى عنه، فقد يرحم، وقد يسلم من النار بعفو الله سبحانه ورحمته جل وعلا لأسباب مات عليها، من توحيد، وإخلاص، وأعمال صالحة، أو شفاعة الشفعاء، كالرسول ﷺ وغيره من الشفعاء.

وقد لا تؤثر فيه هذه الأشياء، فتكون ذنوبه عظيمة، ومعاصيه كبيرة، فلا يطهره إلا التعذيب في النار، وبعدما يطهر فيها ويذهب عنه هذا الخبث، ثم يخرج منها إلى الجنة*.

* س: هل من خلص من الأكبر، وحصل له بعض الأصغر مع حسناته الراجحة على ذنوبه دخل الجنة؟

ج: نعم، إذا أصاب ذنوباً كأنْ يحلفَ بغير الله وما أشبه ذلك. =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٩١).

....

= س: هل يدخل الجنة ابتداء؟

ج: نعم، يدخل الجنة ابتداء؛ لأن حسناته صارت أكبر وأعظم، فرجح ميزان حسناته.

س: ما الحجة على هذا؟

ج: الآيات، قال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٢]، لأن الشرك الأصغر إذا غمر بالأعمال الصالحات والإكثار بالخيرات صار مغلوباً، فيغلب ميزان الحسنات.

۞ ٣- والرد على الخوارج الذين يكفِّرون المسلمَ بالذنوبِ، وعلى المعتزلةِ الذين يقولون بالمنزِلَةِ بين المنزِلَتينِ، وهي منزلةُ الفاسقِ، فيقولون: ليسَ بمؤمنٍ ولا كافرٍ، ويخلدُ في النار.

والصوابُ في ذلك قولُ أهلِ السُّنَّة: إنه لا يُسلَب عنه اسمُ الإيمانِ على الإطلاقِ، ولا يُعطاه على الإطلاقِ، بل يُقال: هو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو مؤمنٌ عاصٍ، أو مؤمنٌ بإيمانِه، فاسقٌ بكبيرتِه، وعلى هذا يدلُّ الكتابُ والسنةُ وإجماعُ سلفِ الأُمةِ[1]. [١٢٨]

[شرح١٢٨] وهذا هو الحق، والخوارج: طائفة خرجوا على أهل السنة والصحابة في زمن علي ﷺ، وأخبر عنهم ﷺ بأنهم يخرجون من الإسلام ثم لا يعودون إليه[2]، وحملهم على هذا اجتهادهم على غير أسس، فاجتهدوا وقدموا وغلبوا جانب الوعيد على جانب الرجاء، وقالوا: من عصى كفر. =

---

(١) ص٦١.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣١).

....

= وقالوا في الصحابة لما حصل ما حصل من الاختلاف بين أهل الشام وأهل العراق: إن هذه المعاصي وهذا القتال يوجب كفرهم، فكفروا الطائفتين، وكفروا علياً معهم أيضاً، ولم يزالوا بهذا الرأي.

ولما حَكَّم عليٌّ الرجلين في النظر في أمور المسلمين قالوا: كيف تحكمون الرجال في دين الله؟ وجهلوا هذه الأمور حتى حصل بهم ما حصل، ولم يزل بهم علي يدعوهم إلى الله جل وعلا، وأرسل إليهم ابن عباس يناظرهم حتى هدى الله به منهم جمعاً غفيراً.

فالحاصل أنهم غلب عليهم الشدة وجانب الوعيد والرهبة من أمر العاصي، حتى صاروا يكفرون المسلمين، ويضللونهم بالمعاصي، ويجعلونهم خالدين في النار بسبب المعاصي.

وأما المعتزلة فقد قاربوهم، وقالوا بمثل ما قالوا في الجملة: إنه مخلد في النار، لكن لم يجترئوا على التكفير، وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين، فقالوا: يسمى فاسقاً، ولا يسمى مسلماً، ولا يسمى كافراً، فلا نعمل هذه ولا هذه، لا آيات الإيمان ولا آيات الكفر، ولكن نجعله في منزلة بين المنزلتين. =

....

= وهذا لا أصل له ولا أساس، فهو إما مسلم وإما كافر، والمسلم قسمان: مسلم مستقيم كامل الإسلام، ومسلم ناقص الإسلام ناقص الإيمان وهو الفاسق.

فالحاصل أنهم ضلوا في هذا الباب وغلطوا، أما أهل السنة والجماعة فوفقهم الله فقالوا: إذا كان له معاص وسيئات لا يتوب منها فهو ناقص الإيمان وضعيف الإيمان، لكن لا يكفر ولا يكون مخلداً في النار لو مات على هذه الحال، بل يكون تحت مشيئة الله ﷻ كما جاء في النصوص الدالة على أن العاصي تحت مشيئة الله جل وعلا*.

---

* س: ما ضابط الفسوق؟

ج: الفسوق هو المعصية، وقد يكبر، فالفسوق فسوقان، والظلم ظلمان، والكفر كفران، فقد يكون أكبر وقد يكون أصغر، فقد يكون شرك أكبر إذا كان عن كفر بالله، وأصغر إذا كان عن المعاصي، وهكذا الظلم.

س: أكل معصية كذلك؟

ج: إذا خرج عن الطاعة ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] لكن الفسوق فسوقان أكبر وأصغر، فالكافر فاسق لكن فسق أكبر، والزاني فاسق لكن فسق أصغر. =

....

= وهكذا يقال فيمن جحد الصلاة وجحد الآخرة: كافر، فاسق، ويقال فيمن مثلاً قصر في بعض الواجبات: فاسق، ولايسمى كافراً، وكذلك السارق والزاني والمرابي والعاق إلى آخره.

س: أيكون الذي يعصي الله على علم مثل الذي يعصي الله على جهل؟

ج: الذي يعصي الله على علم يكون عمله أكبر وأشنع مثل عمل اليهود، ومن يعصي الله على جهل ففيه تفصيل، فقد تقوم الحجة عليه، وقد يكون متساهلاً لا يسأل فيؤاخذ، وقد يكون يحب الحق ويريده وليس عنده بينة أو ما تيسر له من يسأله ويدله، فيعفى عنه.

س: هل الشيعة كفار؟

ج: الشيعة أقسام، منهم الكافر، ومنهم الفاسق، ومنهم غير ذلك، فالشيعة أقسام كثيرة قال بعضهم: اثنتان وعشرون فرقة، فالذين يعبدون أهل البيت، ويشتغلون بهم، وينذرون لهم، هؤلاء كفرة، والذين يقولون: إنهم يعلمون الغيب كذلك.

وأما الذين يقولون: إن علياً أفضل من أبي بكر الصديق ومن عمر فقط، وليس عندهم تكفير ولا غلو في أهل البيت، بل مجرد تفضيل، فلا يكونون كفاراً.

س: والذين يسبون أبا بكر وعمر؟

ج: السب فسق. =

....

= س: منهم من يقول: إن الرسالة كانت نازلة على عليّ فأخطأ جبريل وأنزلها على محمد؟

ج: هؤلاء المخوِّنة؛ خونوا جبرائيل، وهم من أكفر الناس عند أهل السنة والجماعة.

س: والذين لا يُصلُّون جماعة بل فرادى ويقولون: لا بد من إمام معصوم؟

ج: هذه معاصٍ، وهؤلاء من الشيعة الغُلاة، وهذا فسق.

س: والذين يقولون بأن القرآن ناقص؟

ج: هذا كفر أكبر، فالقرآن محفوظ، وقد كذبهم الله وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، وقولهم هذا تكذيب لقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

س: ما درجة حديث: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة»؟

ج: لا أذكر حاله الآن، ولكن أعرف أنه ثابت من دعاء النبي ﷺ لأنس قوله: «اللهمَّ أكثِر ماله وولده»، ثابت في «الصحيحين»[1]، ولكن هذه الزيادة: «وأدخله الجنة» لا أذكر من رواها[2].

---

(١) البخاري: الدعوات (٦٣٣٤)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٠).

(٢) هي عند عبد بن حميد في «مسنده ـ المنتخب» (١٢٥٥).

۞ وقال المصنِّفُ: تأمَّل الخمسَ اللواتي في حديثِ عُبادةَ[(١)]؛ فإنك إذا جمعتَ بينه وبين حديثِ عِتبانَ[(٢)] تبيَّن لكَ معنى قولِ «لا إلهَ إلا اللهُ» وتبيَّنَ لك خطأُ المغرورِينَ[(٣)]. [١٢٩]

۞ وفيه أنَّ الأنبياءَ يَحتاجُون للتنبيهِ على معنى قولِ: «لا إلهَ إلا اللهُ»[(٤)]. [١٣٠]

[شرح١٢٩] جاء في حديث عبادة وعدٌ على التوحيد بالجنة[(٥)]، وفي حديث عتبان أن الله حرم على النار من قالها يبتغي بها وجه الله[(٦)]، فلا بد من الإيمان والإخلاص وقصد وجه الله ﷻ، فلو قالها بمجرد اللسان من غير إيمان وبلا قصد كالمنافقين، لا ينفعه.

[شرح١٣٠] كما وقع لموسى فإن موسى ظن أن هناك شيئاً يمكن =

---

(١) أخرجه البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٣٥)، ومسلم: الإيمان (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٣٣).

(٣) ص٦١.

(٤) ص٦١.

(٥) سلف في الفقرة [٧٦]، ص٢٣٧.

(٦) سلف في أول الفقرة [١١٣]، ص٣٣٩.

....

= تخصيصه به زيادة على قول لا إله إلا الله[1]، فبيَّن الله له أن «لا إله إلا الله» هي الرأس والأساس، وليس شيء فوقها مع الإيمان والتصديق، والقول والنطق بها عن يقين وعن إخلاص هو أفضل الكلام، ومن قال بها بصدق وإخلاص فهو في منزلة عالية.

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: التاريخ (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك»: الدعاء (١/ ٥٢٨). وانظر الحديث ص٣٥٥.

۞ وفيه التنبيهُ لرُجْحانِها بجميع المخلوقاتِ، مع أن كثيراً ممن يقولُها يَخِفُّ ميزانُه[1]. [١٣١]

[شرح١٣١] لأنهم ما أَتوا بها على إخلاص، فقد يقولونها ويدخلون النار كالمنافقين، فهناك فرق بين القلوب؛ فقد يكون الشخصان يقولان كلاماً ويعملان أعمالاً، وبينهما مثل بين السماء والأرض وأعظم من ذلك، فبالإيمان والإخلاص والصدق يختلف أهل الجنة عن أهل النار بسبب تفاوت الأعمال، وتفاوت ما في القلوب من الصدق والإخلاص والإذعان.

---

(١) ص٦١.

۞ وفيه أنكَ إذا عرفتَ حديثَ أنسٍ[١] عرفتَ أن قولَه في حديثِ عِتبانَ: «إنَّ اللهَ حرَّم على النارِ مَن قال: لا إلهَ إلا اللهُ، يبتغي بذلك وجهَ الله»[٢]، أنه تَركُ الشِّركِ، ليس قولَها باللسانِ. انتهى ملخصاً[٣]. [١٣٢]

[شرح١٣٢] يبتغي وجه الله، المراد به ترك الشرك، وفي حديث أنس: «لا تشرك بي شيئاً»، وحديث أبي ذر: «لا يُشرِك بي شيئاً»[٤]، ومعنى يبتغي بها وجه الله أن يكون عن إخلاص وصدق لا شرك معه، فهذا هو الذي حَرُمَ على النار، فالمراد ترك الشرك، وليس المراد قولها باللسان*.

*** س: ما حكم من قال: أنا كافر، أو أنا يهودي، وما أشبه ذلك؟**

ج: هذا كفر وردة عن الإسلام، أن يقول: أنا كافر أو يهودي، هكذا مطلقاً، يحكم بكفره، وكذلك إذا قال: كلام الإنجليز أو طرائقهم أحسن =

---

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٧) (٣٣).

(٣) ص٦١.

(٤) أخرجه مسلم: الذكر والدعاء (٢٦٨٧).

....

= من الإسلام، أو أحسن من القرآن.

س: ولو قال: إنما كنت أمزح؟

ج: وإن، فالمزاح بالكفر كفر ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥- ٦٦].

س: وإذا قال: لم أقله من قلبي؟

ج: ولو، فلو تكلم بالكفر فهو كافر، فيستتاب فإن تاب وإلا قتل، يبلغ عنه ولاة الأمور فيستتيبوه فإن تاب ورجع إلى الله وآمن وكذب نفسه فهذا يسلم، وإن لم يتب يقتل ويموت كافراً مرتداً.

س: لو أن أحداً ثبت عنه أنه يسب اللهَ أو يسب من خلق هذه، يعني: يسب الله، ما حكمه؟

ج: هذا يقتل بلا استتابة.

س: من يقتله؟

ج: ولي الأمر؛ يرفع عليه دعوى بشهادة الشهود في المحكمة، والمحكمة تقتله، أو ترفعه إلى ولي الأمر فيقتله، يعني: بشهادة الشهود، وهذا شرعي، يحضر إلى ولي الأمر ويحضر من سمعه كمدع، ويحضر الشهود الذين سمعوه، والمحكمة تقتله.

والصحيح أنه لا يستتاب، وإن كان بعض أهل العلم قال: إنه يستتاب، ولكن الصحيح أنه لا يستتاب؛ لأن هذا أردع للناس عن هذا =

....

= الشر العظيم والفساد الكبير، ولأن النبي ﷺ لما بلغه أن رجلاً قتل جاريته لأنها سبت النبي ﷺ قال: «أشهد أن دمها هدر»[1].

س: هل هذه الاستتابة تدرأُ عنه الحد؟

ج: نعم تدرأ عنه حد القتل، لكن لا مانع من تعزيره بالسجن حتى لا يعود إلى مثل هذه المعصية.

س: هل الراجح في ساب النبي ﷺ استتابته أم قتله؟

ج: بل قتله، الصواب أنه لا يستتاب؛ لا سابُّ النبي ﷺ، ولا سابُّ الله سبحانه وتعالى، فكلاهما لا يستتاب.

س: لقد قلتَ: يستتاب الذي سب الله ﷻ؟

ج: كلا، بل الذي يستتاب هو المستهزئ، أما من سب الله أو سب الرسول، فالصحيح أنهما لا يستتابان.

س: ويقتل؟

ج: نعم، يقتل.

س: وساب الدين؟

ج: كلا، سابُّ الدين يستتاب.

س: ماذا لو أنه متعود على سب الدين، ولما راجعته قال: أنا =

---

(١) أخرجه أبو داود: الحدود (٤٣٦١)، والنسائي: تحريم الدم (٤٠٧٠).

....

= غير متعمد؟

ج: ولو، فهذه لا مزاح فيها ولا استهزاء، وأمره إلى الله؛ إن تاب توبة صادقة قبلها الله جل وعلا، لكن المقصود الحكم؛ لأن العفو عند الحكم قد يجرئ الآخرين، فيجرؤ الناس على الزندقة ولا يبالون، أما إذا عرف أن هناك رادعاً بقتل كان هذا أزجر للناس عن الاعتداء على هذه المحارم.

وأما إن كان صادقاً بينه وبين الله فالله يقبله جل وعلا ولو قتل، فإذا كان صادقاً في توبته، نادماً على فعل ما ارتكب، فالله يتوب على التائبين بإجماع المسلمين، وإنما هذا في الحكم فقط.

س: هل نستتيبه نحن قبل أن يرفع إلى الوالي أو القاضي؟

ج: إذا ستر عليه ونهض له بالنصح والخير فأظهر الندم والتوبة إلى الله فلا مانع، فمن ستره ستره الله في الدنيا والآخرة، فإذا أظهر التوبة والندم والإقلاع وقال بصدق ولم يعد، فممكن، أما إذا علم أنه يعود فينبغي ألا يكون هذا معه.

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

۞ أي: ولا عذابٍ، وتحقيقُ التوحيدِ هو معرفتُه والاطلاعُ على حقيقتِه والقيام بها علماً وعملاً، وحقيقةُ ذلك هو انجذابُ الرُّوحِ إلى الله محبَّةً وخوفاً، وإنابةً وتوكُّلاً، ودعاءً وإخلاصاً، وإجلالاً وهَيبةً، وتعظيماً وعبادةً، وبالجملة فلا يكون في قلبِه شيءٌ لغيرِ الله، ولا إرادةٌ لما حَرَّم الله، ولا كراهةٌ لما أمرَ اللهُ، وذلك هو حقيقةُ «لا إلهَ إلا اللهُ» ؛ فإن الإلهَ هو المألوهُ المعبودُ.

وما أحسنَ ما قالَ ابنُ القيِّم:

فلِواحِدٍ كُنْ واحداً في واحِدِ
أَعني سبيلَ الحقِّ والإيمانِ[1]. [١٣٣]

[شرح١٣٣] قوله: «فلواحد كُنْ واحداً» أي: لله وحده ﷻ.

فلواحد كُنْ واحداً في واحِدِ أعني سبيلَ الحقّ والإيمانِ =

---

(١) ص٦٢.

....

= «أعني» أي: الأخير وهو «في واحدٍ»؛ يعني: في سبيل الله.

وقوله:«فلواحدٍ» أي: لله وحده جل وعلا.

وقوله: «كُن واحداً» أي: كن أنت مجتمع القلب في عبادة الله ﷻ فلا يكون قلبك موزعاً مشتتاً؛ بل ليكن مخلصاً لله العبادة قد جمع على توحيد الله والإخلاص له والصدق في ذلك؛ ولهذا قال في الصدق:

والصدقُ توحيد الإرادة وهْوَ ... لُ الجَهدِ لا كَسَلاً ولا مُتَوانِ

المقصود أنه يكون واحداً؛ أي: يكون مجتمع القلب على الله ﷻ، لا موزعاً مفرقاً؛ والواحد: هو الله وحده ﷻ؛ فقوله: «فلواحد»: هو الله وحده جل وعلا.

وقوله: «كن واحداً» أي: كن مجتمع القلب صادق اللهجة، صادق الدعاء، صادق الإخلاص، متبتلاً لربك ﷻ في دعائه وابتغاء مرضاته وترك محارمه ﷻ.

وقوله: «في واحد»؛ أي: في شريعة الله و في سبيله جل وعلا؛ ولهذا قال:

أعني سبيل الحق والإيمانِ =

....

= أي: كن موحداً في نفسك، مُخلِّصاً لها من كلِّ الشرك، جامعاً لقلبك على الله ﷻ خوفاً ورجاءً ومحبةً وتعظيماً وإخلاصاً وشوقاً إليه ﷻ، وفراراً منه إليه، وحذراً مما يغضبه ﷻ، وأنت مع ذلك في الشريعة في سبيل الله لا تخرج عنها؛ لتكون أعمالك واجتهاداتك في سبيل واحد، هو سبيل الله وصراطه المستقيم، لا في سبل أخرى من البدع.

۞ وذلك هو حقيقةُ الشهادتين، فمن قامَ بها على هذا الوجهِ فهو من «السبعينَ ألفاً الذين يدخلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ»[١].[٢] [١٣٤]

[شرح١٣٤] وهذا هو تحقيقه، هو أن يخلص توحيده من الشوائب؛ شوائب الشرك والبدع فتحقيقه: تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، فهذا هو التحقيق: أن يخلص توحيده ويصفيه، حتى لا يكون في توحيده وإخلاصه لله شرك ولا بدعة ولا معصية، وإنما يكون توحيداً خالصاً مصفى منقى من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع التي تقدح في الدين، ومن المعاصي التي تنقص ثواب أهل التوحيد؛ لأن الشرك الأكبر ينافي التوحيد بالكلية وينقضه ويبطله، والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، والبدع تقدح في التوحيد وتضره وتنقصه.

والمعاصي ـ كذلك ـ تنقص ثواب أهل التوحيد وتنقص إيمانهم وتضعفه، فلا يكون توحيده كاملاً ولا محققاً ولا مصفى إلا =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٠٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢٠).

(٢) ص٦٢.

....

= بكونه قد خص العبادة لله وحده، وابتعد عن الشرك بالله ﷻ صغيره وكبيره، وحذر البدع أيضاً وابتعد عنها، واستقام على الشريعة بأقواله وأعماله، وهجر المعاصي أيضاً؛ لأنها تنقص إيمانه وتضعف إيمانه، فالبدع والمعاصي تنقض الإيمان وتضعفه.

والشرك الأكبر ينافيه بالكلية وينقضه ويبطله، والشرك الأصغر ينافي كمال الواجب ويضعفه، فلا يكون العبد محققاً لتوحيده ومنقياً له، صالحاً لأن يكون من السبعين إلا بهذه العناية، بعنايته بتوحيده وإخلاصه لله؛ حتى يكون توحيده مصفى من الشرك بالله ﷻ ومن البدع والمعاصي التي حرمها الله عز وجل.

وبهذا يكون من السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ لكونهم استكملوا ما أوجب الله عليهم، و ابتعدوا عما حرم الله عليهم، وهجروا البدع والمعاصي، حتى تركوا بعض ما هو مباح؛حذراً من الوقوع في المحرمات، فلا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، كما سيأتي فتركوا بعض المباحات وبعض المكروهات حذرا، من الوقوع في المحرمات، هذا من كمال توحيدهم وكمال =

....

= إيمانهم، أنهم ابتعدوا عن المعاصي والبدع، ومع ذلك ابتعدوا أيضاً عن بعض الأشياء المكروهة كالكي والاسترقاء، حرصاً منهم على كمال توحيدهم وكمال إيمانهم*.

* س: هل كان عددهم محدداً؟

ج: يأتي عدة أحاديث بعد هذا منها: أنهم سبعون ألفاً، ومنها أنه «زادني مع كل ألف سبعين ألفاً»[1]، ومنها ما هو أكثر من ذلك؛ فهم لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ، فهم كثيرون، جعلنا الله وإياكم منهم.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩).

۞ قولُه: وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، مناسبةُ الآيةِ للترجمةِ من جهةِ أن اللهَ تعالى وصفَ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ في هذه الآيةِ بهذه الصفاتِ الجليلةِ، التي هي أعلى درجاتِ تحقيقِ التوحيدِ ترغيباً في اتِّباعِه في التوحيدِ، وتحقيقِ العبوديةِ باتِّباعِ الأوامرِ، وتَركِ النواهي، فمن اتَّبعه في ذلك؛ فإنه يدخلُ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، كما يدخلها إبراهيمُ عليه السلام.

الأولى: أنه كان أُمةً، أي: قُدوَةً وإماماً، معلماً للخيرِ وإماماً يُقتدَى به، روي معناه عن ابنِ مسعودٍ[1]، وما كان ذلك إلا لتكميلِه مقامَ الصبرِ واليقينِ اللذَينِ بهما تُنالُ الإمامةُ في الدِّين، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤][2]. [١٣٥]

[شرح١٣٥] أي: بالصبر على طاعة الله، والكفّ عن محارم الله، =

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١٩٧١).

(٢) ص٦٢.

....

= واليقين بتوحيد الله والإيمان به يكون العبد إماماً، وهذا إنما يكون بسبب العلم والبصيرة والهدى؛ لأن العلم والهدى يجعله متيقناً بما أخبر الله به ورسوله، ويجعله صابراً على طاعة الله وترك محارمه، فعلى حسب علم العبد وخوفه من الله وتعظيمه لحرماته يكون صبره ويقينه.

فالرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من العلماء والأخيار إنما كانوا أئمة يهتدى بهم، ويقتدى بهم، لصبرهم ويقينهم وعلمهم العظيم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

المقصود أنه جعل لبني إسرائيل قبلنا، وفي هذه الأمة أعظم أئمة يهدون بأمر الله إلى طاعته وإلى دينه، وسبب ذلك صبرهم على كبح جماح نفوسهم عن المحارم، وصبرهم على أداء الفرائض، وصبرهم على الحدود والوقوف عندها عن يقين لا عن شك ولا عن ريب؛ بل عن يقين بما أمر الله به ورسوله،، فهم على يقين فيما آمنوا به، وعلى يقين فيما فعلوه وتركوه، ومع ذلك صب عليهم الحق وتيقنوه خبراً وأمراً، ثم ساروا عليه صابرين. =

....

= فليسوا ممن يقول ولا يعمل، أو من يعلم ولا يعمل كاليهود، فهم علماء بني إسرائيل أهل الحق والهدى، الذين عرفوا وعملوا به، بخلاف علمائهم الضالين الذين عرفوا الحق ثم حادوا عنه، وهكذا أشباههم في هذه الأمة الذين عرفوا الحق ثم حادوا عنه لهوًى في نفوسهم، ولإيثار العاجلة، سواء كان ذلك في البعض أو في الكل.

فالحاصل أن الأئمة الذين يقتدى بهم كإبراهيم عليه الصلاة والسلام والأنبياء جميعاً، وكعلماء الحق من الأمة وقبلها، إنما كانوا أئمة بهذين الأمرين، إنما كانوا أئمة يقتدى بهم ويثنى عليهم بأمرين عظيمين هما: الصبر واليقين، الصبر يتعلق بالأعمال والتروك، واليقين يتعلق بالعلم، فكانوا على علم وعلى بصيرة وعلى هدى، وهذا العلم أوجب لهم صبرهم على طاعة الله، وصبراً عن محارم الله، ووقوفهم عند حدود الله، قد آثروا الله، وآثروا دينه، وآثروا حقه؛ فصاروا على بصيرة في ترك المحارم وأداء الفرائض، والوقوف عند الحدود والمحبة في الله، والبغضاء في الله، والعطاء لله، والمنع لله إلى غير ذلك. =

....

= فإبراهيم عليه الصلاة والسلام كان زمناً طويلاً واحداً على الحق ما معه أحد، ليس على الحق سواه، ثم هدى الله له ابنة عمه سارة وصارت على دينه، ثم ابن أخيه لوط، ثم دخل الناس في دين الله بعد ذلك شيئاً بعد شيء، وكان مع ذلك ـ مع كونه واحداً ـ لم يضعف ولم يكسل؛ بل يعلِّم الناس، ويدعو الناس إلى الله، وينذر ويبشر حتى هدى الله على يديه من هدى، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ يعني: إماماً يقتدَى به معلماً للخير لا يملُّه*.

* س: الحديث الذي فيه «من أَحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[1]، هل هو قوي؟

ج: نعم، لا أعلم به بأساً من حديث أبي أُمامة.

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩٠٨٣).

۞ الثانيةُ: أنه كان قانتاً لله، أي: خاشعاً مطيعاً دائماً على عبادته وطاعته؛ كما قال شيخ الإسلام: القنوتُ في اللغةِ: دوامُ الطاعةِ، والمصلِّي إذا طالَ قيامُه أو ركوعُه أو سجودُه فهو قانتٌ في ذلك كلِّه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:٩]، فجعله قانتاً في حالِ السجودِ والقيامِ. انتهى.

فوَصَفَه في هاتين الصفتينِ بتحقيقِ العُبوديةِ في نَفسِه؛ أولاً علماً وعملاً، وثانياً: دعوةً وتعليماً واقتداءً به، وما كان يقتدَى به إلا لعَمَله به في نفسِه، ووَصَفَه في الثانية بالاستقامةِ على ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣] فتَضمَّنت العلمَ والعملَ والاستقامةَ والدعوةَ.

الثالثةُ: أنه كان حنيفاً، والحَنَفُ: الميلُ، أي: مائلاً مُنحرِفاً قَصداً عن الشركِ ؛ كما قال تعالى حكايةً عنه: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ =

= ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] [1]. [١٣٦]

[شرح١٣٦] والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام كان مع إمامته وقنوته في طاعة الله جل وعلا، مستقيماً على توحيد الله والإخلاص له، لا ينحرف هكذا ولا هكذا في حال الشدة والرخاء؛ بل وفي حال شدته وفي حال رخائه مستقيماً على توحيد الله والإخلاص له، لا ينحرف عن ذلك؛ ولهذا قال: ﴿حَنِيفًا﴾؛ فهو مقبل على الله ومعرض عمن سواه؛ فمستقيم على توحيد الله.

ويقال لأهل التوحيد: هم الحنفاء؛ لاستقامتهم على توحيد الله، وميلهم عن الطرق الأخرى والأديان الأخرى والملل الأخرى، فهم مالوا إلى الله ﷻ واستقاموا على توحيده، وأخلصوا له العمل في جميع أحوالهم، بخلاف غيرهم ممن يميل مع الرياح أينما مالت ولا يستقيم.

---

(١) ص٦٢.

۞ الرابعةُ: أنه ما كان مِن المشركين، أي: هو موحِّدٌ خالصٌ من شوائبِ الشِّركِ مطلقاً؛ فنفى عنه الشركَ على أبلغِ وجوهِ النَّفي، بحيث لا يُنسَبُ إليه شِركٌ وإن قَلَّ، تكذيباً لكفار قريشٍ في زعمِهم أنهم على مِلَّةِ إبراهيمَ عليه السلامُ.

وقال المصنِّفُ في الكلام على هذه الآية:

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لئلا يستوحشَ سالكُ الطريقِ مِن قِلَّةِ السالكين.

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ لا للملوكِ ولا للتجّار المُترَفين.

﴿حَنِيفًا﴾ لا يميلُ يميناً ولا شمالاً كفعل العلماءِ المفتُونين.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ خلافاً لمن كَثّر سوادَهم وزعمَ أنه من المسلمين.

قلتُ: وهو مِن أحسنِ ما قِيل في تفسيرِ هذه الآية؛ لكنه ينبِّهُ بالأدنَى على الأعلَى.

وقوله: «لئلا يستوحشَ» تنبيهٌ على بعضِ معنَى الآية، =

= وهو المنفردُ وحدَه بالخيرِ.

وقد روى ابنُ أبي حاتم، عن ابنِ عباسٍ في قولِه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾، كان على الإسلامِ، ولم يكن في زمانِه مِن قومِه أحدٌ على الإسلامِ غيرُه، فلذلك قالَ اللهُ: ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾. ولا تنافي بينَه وبينَ كلامِ ابنِ مسعودٍ المتقدِّم(١). [١٣٧]

[شرح١٣٧] وهذا ثبت في «الصحيحين»(٢): أنه لما ذهب إلى بلد الملك، وطلب الملك سارة، قال: إنكِ أختي في الإسلام، وأمرها أن تقول: إنها أخته في الإسلام؛ لأنه ليس على الحق غيري وغيرك، هذا صريح بأنه ليس هناك أحد على الإسلام في ذاك الوقت سوى سارة زوجته.

وهذا كلام من المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ كلام عظيم: «لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين»؛ يعني: إذا تذكر أن إبراهيم مشى على الحق وحده، =

---

(١) ص٦٣.

(٢) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٣٥٨)، ومسلم: الفضائل (٢٣٧١).

....

= وصبر عليه، وخالف أهل الأرض، يكون هذا مما يؤنسه ويعينه على الصبر.

ولا يقول: كيف تكون الناس على كذا وأنا على كذا، هذا يعين طالب الحق على الصبر على الحق، وإن كان وحده، في أي بلد، أو في أي قبيلة، أو في أي قرية، إذا تذكر أن إبراهيم صبر على الحق، وسار عليه ليس معه أحد، حتى هدى الله زوجته وسارت معه؛فهذا مما يعينه على الصبر على الحق الذي معه، وإن خالفه الناس، وإن خالفه قومه، وإن خالفه جماعته، وأصحابه ما يبالي ما دام بصيراً بالحق، يعني يعلم أنه على الحق بالأدلة، ما عنده شك، فلا يضره قوله وإن خالفه الناس.

ولهذا روي عن بعض السلف قول القاضي عياض وغيره، يقول: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين؛ يعني كن على ثبات وعلى يقين وعلى قوة في سلوك الطريق وإن خالفك الناس.

كذلك قوله: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾، يشير بهذا إلى أن بعض الناس قد =

....

= يتظاهر بالقنوت والطاعة والعمل الصالح الدائم؛ لكن ليس لله، فقد يكون صواماً قواماً كثير العبادة؛ ولكنه لأمر آخر، فليس لله؛ بل إما للملوك وإما للتجار، وإما أن يعطى كذا أو يأخذ كذا أو ليتحيل على شيء من الأمور، حتى يظن الناس أنه على هدى، وأنه طيب وهو منافق؛ إنما جاء لغرض وفعل هذا لغرض.

كذلك ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي: لم يمل يميناً وشمالاً كفعل المفتونين، فإن بعضاً ممن ينتسب إلى العلم لا يثبت على طريقة، فهو تارة مع هؤلاء، وتارة مع هؤلاء، مذبذب؛ كما قال الله عن المنافقين؛ لأنه ليس هدفه الإخلاص لله؛ بل له أهداف أخرى فلهذا لا يثبت على قدم، ولا يثبت على طريق؛ بل ينحرف هكذا وهكذا؛ لأنه مفتون بالدنيا أو مفتون بشهوات أخرى من غير المال؛ فالحاصل أنه ليس على ثبات؛ بل له أهداف كثيرة يميل معها؛ أما دعاة الحق من الأنبياء وأتباعهم بإحسان، فهدفهم واحد، وهو دعوة الناس إلى دين الله، وصبرهم على طاعة الله، وجمع الناس على الخير، وليس لهم هدف آخر.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بخلاف من أخلص لله ووحده؛ =

....

= ولكنه سار مع الكفار في بلادهم، ومجتمعاتهم، وأعيادهم، وأسفارهم، وإقامتهم؛ فيكثر سوادهم بحيث يعدّه العادّ منهم، فإذا رآه لا يميزه؛ بل يعده منهم؛ أما من كان بينهم للدعوة إلى الله، وإنكار الباطل، والدعوة إلى الخير، وتبصيرهم بقصد صالح، فهو ليس داخلاً في هذا المعنى، إنما هذا المعنى فيمن دخل بينهم للطمع في الدنيا والشهوات والأكل والشرب أو ما أشبه ذلك من حظوظ عاجلة، فهو يكثر سوادهم، ولا يكون عنده دعوة لهم إلى الخير وتنوير لهم وجهاد لهم وتبصير لهم؛ بل هذا نوع آخر.

فالحاصل أن كون الإنسان معهم يكثر سوادهم، هذا عيب، وهذا ضرر عليه وعلى غيره، إلا إذا أظهر خلافهم؛ فأظهر الدعوة إلى الله وإلى الإسلام، وإلى اتباع محمد عليه الصلاة والسلام، فهذا يعرف أنه ليس منهم؛ وإنما جاء لغرض الدعوة، أو لأمر آخر دعاه إلى المجيء؛ لكنه أظهر دينه، وأظهر توحيده فلم يعدّ منهم؛ بل أظهر ما يخالفهم؛ ولهذا قال العلماء: لا يجوز الذهاب إليهم ولا إلى بلادهم إلا لمن أظهر دينه، وكان على علم؛ لئلا يضره جلوسه بينهم، ولئلا يشبهوا عليه، ولئلا يردوه إلى الكفر بالله، هذا إذا كان =

....

= بينهم على علم وعلى هدى وعلى بصيرة، يدعوهم إلى الله جل وعلا، كان ذلك طريقاً للسلامة، وعدم الوقوع فيما هم فيه أو الميل إليهم إذا شبهوا عليه.

ومع هذا قال بعضهم: حتى ولو كان على علم بُعدُه عنهم أولَى وأسلم؛ ولكن هذا محل تفصيل ومحل نظر فيما يتعلق بالدعوة إلى الله ﷻ، فمن كان على علم وعلى بينة وعلى بصيرة، ساغ له أن يكون بينهم للدعوة؛ لهذا الغرض؛ لإنقاذهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، كما قامت الرسل بين الكفار؛ لهذا الغرض، وكما قام النبي ﷺ بين كفار أهل مكة مدة طويلة حتى آذوه، وحتى اجتمع رأيهم على قتله؛ فأخرجه الله من بين أظهرهم، كل هذا للدعوة إلى الله لإنقاذهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، هم يعرفون أنه على غير دينهم، وليس معهم، وأنه على شيء وهم على شيء؛ ولذلك عادوه وعادوا أصحابه وآذوه.

الحاصل أن قوله جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لم يك مع المشركين بأي وجه من الوجوه، لا بانتسابه إليهم، ولا =

....

= بإظهاره موافقتهم على دينهم الباطل، ولا بغير هذا مما يظن أنه منهم وأنه معهم؛ بل كان ذلك من شأنه واضحاً في أنه ليس على دينهم، وليس على طريقهم، وإن كان وحده على الحق، وإن كان ما معه إلا قليل كزوجته أو ابن أخيه؛ لكنه واضح من أعماله وأقواله أنه ليس منهم*.

---

* **س: هل صحيح أنه عندما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يا رب ليس في الأرض يعبدك غيري أنزل الله ثلاثة من الملائكة يصلون معه ؟**

ج: لا أعرفه، الله أعلم.

س: هل يكون إظهار الدين بين المشركين بإقامة الصلاة فقط؟

ج: المعروف بين العلماء أن هذا لا يكفي، فلا بد من الدعوة، ولا بد من إظهار التوحيد وإظهار ما جاءت به الرسل؛ أما مجرد الصلاة فهم لا يبالون بهذا الشيء، ولا يحصل به المقصود، الذي يحصل به المقصود هو إظهار البراءة من الشرك، وإظهار الدعوة إلى التوحيد، فهذا هو إظهار الدين، وهذا الذي قرره أهل العلم.

س: البراءة من الشرك أن تسب ساب الله!

ج: لكن هذا قد لا يعدونه سباً، وقد يعدونه سباً ولا يضرهم، وإذا =

....

= كان يضرهم فما الداعي إلى إقامته بينهم، فإن لم يكن له مصلحة في الإقامة بينهم، فليبتعد عنهم.

س: شاب يسأل: بمناسبة ذكركم أن طالب العلم لا ينبغي له أن يكون مذبذباً مرة مع هؤلاء ومرة مع هؤلاء، يقول: الآن كثر في العالم الإسلامي جماعات كلها اسمها جماعات إسلامية، وكل واحدة من هذه الجماعات تحاول بأي وسيلة من وسائل التوجيه أن تظهر بأنها متبعة للكتاب والسنة في كل شعبة من شعب الحياة، وأنتم تعرفون هذه الجماعات في الجملة، يقول: فما الذي تنصحون به؟ أأتبع هذه الجماعات كلها أو أتبع جماعة معينة أو أترك هذه الجماعات؟

ج: ننصحه أن يكون مع الحق أينما كان، مع الحق الذي مع هذه الجماعة، ومع الحق الذي مع الجماعة الأخرى، ويحذر الباطل الذي مع هذه أو مع هذه؛ فأينما يكون وأينما يحل يكون مع الحق، سواء مع هذه الجماعة أو مع هذه الجماعة، مع الجماعة التي في أمريكا، أو الجماعة التي في نجد، أو الجماعة التي في كذا.

س: ولكن كل جماعة تلزمه بكل ما تعتقده.

ج: لا يلتزم، إذا ألزمته لا يلتزم إلا بالحق، فلا أحد يلزمه إلا الله ﷻ؛ فإن ألزمته الجماعة بشيء؛ فإن كان حقاً فليلتزم به، وإن كان باطلاً فليدعه وإن سخطت، لا طاعة لـمخلوق في معصية الخالق، ومع هذا يستخدم =

....

= الأساليب الحسنة التي يكون بها داعية، ما هو مجرد ترك فقط، يتركه ويعتني بإصلاحه، يوجه الجماعة إلى الحق، يقول لها: إني تركت هذا لأجل هذا، فيقيم الدليل بالأسلوب الحسن الذي يعم به النفع، ومنه رد الشارد إلى الحق والهدى، فهو يكون مباركاً نافعاً هادياً، مع كونه لم يوافق على الباطل، فلا يكون بالعنف والشدة والإعراض والغفلة؛ بل يكون بالدليل والبرهان والحكمة والكلام الطيب والأسلوب الحسن حتى يهدي ويهتدي.

س: حديث: حدثوا الناس بما يعرفون ؟

ج: هذا أثر عن علي بن أبي طالب الصحابي الجليل ﷺ، رواه البخاري في «الصحيح» عن علي ﷺ قال: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[1]، هذا في أول «الصحيح» في العلم أو في كتاب الإيمان.

س: بعض الناس عندهم حب للصلاة وحب للصيام، وعندهم بعض الأشياء الشركية أو أشياء مخالفة؛وإذا ما قال له أحد: لا تفعل هذه الأشياء الشركية قبل تعظيمكم للصلاة، وحبكم لها، فإنهم يقولون له: كفرتنا؟!

ج: الداعي إلى الله يكون حكيماً، يعظم الصلاة في قلوبهم، يدعوهم إلى =

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٧).

....

= الصلاة والصيام، وإلى بر الوالدين، وإلى صلة الرحم، وإلى إكرام الضيف، وإلى الصدق ، وإلى ترك الزور وشهادة الزور، حتى يثبت في قلوبهم علمه وفضله، ثم يأتي إلى ما هم في من الباطل فينبه عليه، يعني يسلك الطريق التي يراها هي أقوم وأحرى لأن يقبلوا منه؛ لأنهم يدَّعون الإسلام وهم كفار صرحاء مثل قريش تبدؤهم بالتوحيد، هم قد يدعون أنهم خير منك، وأنهم أفضل منك، فتأتيهم بالشيء الذي يجعلهم يقبلون عليك ويرغبون فيك، ويقدرون علمك.

س: بمناسبة الصلاة على الجنازة اليوم إذا صلي على الجنازة هل يكون بعدها ذكر كباقي الصلوات الأخرى أم الأولى أن يخرج.

ج: إذا صلي على الجنازة ثم ذكر الذكر المشروع سواء كان جالساً أو واقفاً أو ماشياً؛فلا بأس في ذلك.

س: ماذا لو قرأ مع الفاتحة في صلاة الجنازة سورة قصيرة ؟

ج: قراءة سورة قصيرة جاءت فيها عدة أحاديث جيدة.

س: بعضهم يقول: إنها شاذة.

ج: غلط، وردت عن ابن عباس وعن غيره، وذكرها الشيخ ناصر الدين الألباني وغيره.

س: أأثبتها الألباني بالأحاديث؟

ج: نعم. =

....

= س: ما الفرق بين الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الجهاد في سبيل الله؟

ج: الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد كلها فروض كفاية، إن قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به من يكفي، فكل له نصيبه من الدعوة حسب علمه.

ونعتقد أنه ما قام أحد الآن بالواجب كما ينبغي، فهذا الفرض الكفائي ما تم، فنعتقد أنه ينبغي لكل طالب علم أن يقوم بما يستطيع من الدعوة إلى الله، والتوجيه إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل حسب طاقته ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

فلا ينبغي له أن يقول: الناس قاموا بهذا، أو هناك علماء، أو هناك كذا؛ لأن هذا مما يأتي به الشيطان، ليثبط الناس عن الدعوة إلى الله، والنهي عن المنكر، ويقول: إن قمت أنا بذلك وحدي فإن هذا لن يكفي، إن هناك من هو أكبر مني؛ ويكتفي بذلك؛ فلا يصلح هذا ولا ينبغي أن يكون.

وإنما يجب عليه، إن كان في محل به منكر، وليس هناك من ينكره غيره، ودخل في حديث «من رأى منكم منكراً»[1]، أما إن كان هناك منكر، لكنه وجد آخر وقام به فأنكره، فقد كفاه المؤونة، إن زال المنكر. =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٤٩).

....

= س: إن رأى أحدهم ما ينكر على بعض المصلين مع وجود الإمام؛هل ينبه عليه؟

ج: إن كان عنده علم جزاه الله خيراً، لكنه لا يتكلم إلا عن علم.

س: إن كان الحق لا يتعدد، فهل يسوغ أن تتعدد الجماعات، وتخالف كل واحدة الأخرى في منهاجها، وتحاربها باسم الإسلام؟

ج: ما يجوز المحاربة بغير الحق.

أما إن تعددت الجماعات، ورأوا في هذا مصالح، كأن هذا في أمريكا، وهذا في لندن، أو هذا في الشمال وهذا في الجنوب، وقصدهم التعاون على البر والتقوى، وليس قصدهم الدنيا وحطامها، ولا الفخر والخيلاء، ولا الرياء، وإنما قصدهم الحق، فلا يضر ذلك.

لكن لا يكون لهم هوًى، فيحبون أن يفخروا على الآخرين، أو يضعفوا شأنهم، بل من شأنهم التعاون على البر والتقوى، وإرشاد الآخرين إلى الحق والهدى إذا غلطوا.

أما إذا كان قصدهم التنافس والفخر والخيلاء والغرض الدنيوي فهذا حرام على الجميع، ولا يجوز.

أما إن كان قصدهم الحق والتعاون على البر والتقوى، فالعالم الإسلامي فسيح واسع، ومحتاج للدعوة، وإلى التوجيه، فقد يكون عند هؤلاء من التنظيم ما ليس عند أولئك، وقد يكون عندهم من النشاط ما =

....

= ليس عند أولئك، فكل يعمل بما يستطيع من العلم والخير.

س: هل طلب العلم واجب على كل مسلم؟

ج: يجب على كل مسلم أن يتعلم ما لا يسعه جهله، فيتعلم كيف يوحد الله، ولماذا خلق، وما هو الواجب عليه، فيتعلم حسب طاقته، لا أن يتوسع في العلوم حتى يكون عالماً كبيراً، المفروض أن يتعلم ما أوجب الله عليه، وما حرمه عليه.

س: ما صحة قول: إن الدعوة أحياناً تكون مكية لا مدنية؟

ج: ليس هذا بصحيح، فعند ظهور الشر مع العجز عن التنفيذ تكون مكية، فإن لم يستطع إلا باللسان كانت مكية، وإن استطاع الدعوة باللسان وبالعمل، تكون مدنية.

۞ قوله: وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]، مناسبةُ الآيةِ للترجمةِ من جهةِ أن اللهَ تعالى وصفَ المؤمنينَ السابقينَ إلى الجناتِ بصفاتٍ؛ أعظمُها الثناءُ عليهم بأنَّهم بربِّهم لا يشركون، أي: شيئاً من الشِّركِ في وقتٍ من الأوقاتِ، فإن الإيمانَ النافعَ مطلقاً لا يوجد إلا بتركِ الشِّركِ مطلقاً.

ولما كان المؤمن قد يعرضُ له ما يَقدَحُ في إيمانه مِن شركٍ جَليٍّ أو خَفيٍّ نفى عنهم ذلك، ومن كان كذلك، فقد بلغَ من تحقيقِ التوحيدِ النهايةَ، وفازَ بأعظمِ التجارةِ، ودخل الجنةَ بلا حسابٍ ولا عذابٍ.

قال ابنُ كثيرٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]، أي: لا يعبدون معه غيرَه، بل يوحِّدُونه، ويعلمون أنه لا إلهَ إلا اللهُ، أحدٌ صمدٌ لم يتَّخِذ صاحبةً ولا ولداً، وأنه لا نظيرَ له(١). [١٣٨]

[شرح١٣٨] وهذا من المؤلف اختصار على نهاية الآية ونهاية =

---

(١) ص٦٣-٦٤.

....

= الصفات، وكان المناسب أن تذكر الصفات لأن الله ـ جل وعلا ـ قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

هذه صفات السابقين الأخيار الذين وعدهم الله بالجنة والكرامة، وأنهم سابقون إلى الخيرات، فهم من خشية الله مشفقون، من خوفه ﷻ والحذر منه أشفقوا من عذابه، وأشفقوا من غضبه، حتى سارعوا إلى مراضيه، وتباعدوا عن مناهيه، هذه صفات عباد الله السابقين: عندهم خشية لله، وتعظيم لحرماته، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢].

فالخشية الصادقة والخوف الصادق يقتضي أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود، والمسابقة إلى كل خير، وهذه صفة أولياء الله، وصفة أحبابه الذين سارعوا إلى مراضيه، وتباعدوا عن مساخطه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [المؤمنون] أي: من صفاتهم أنهم أهل إيمان بآيات الله المتلوة في القرآن والإنجيل =

....

= والزبور وغيرها من الكتب، وبآياته المشاهدة يؤمنون أيضاً، بآياته من جبال وبحار وأنهار وأرض وسماء، وحيوانات وغير ذلك.

فهم بآيات الله يؤمنون ويصدقون أنها حق، وأنها مخلوقات له جل وعلا، وأنها دلائل على قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين، وأنه مستحق للعبادة، كما أن آياته المتلوة كذلك في كتاب الله العزيز وكتبه السابقة، كلها دلائل على أنه رب العالمين، وأنه القادر على كل شيء، وأنه مستحق لأن يعبد ويعظم ﷻ.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٥٩] ، ختمها بهذا الوصف الدال على كمال توحيدهم وكمال إخلاصهم، ولهذا خشوه ـ سبحانه ـ وراقبوه وعظموه وآمنوا بآياته ﷻ، ثم على ضوء ذلك، وعلى ضوء ما استقر في قلوبهم من الإيمان، والخوف لله والتعظيم له ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠].

هذه من صفات أولياء الله أنهم يؤتون ما آتوا من الأعمال والفرائض والطاعات وقلوبهم وجلة، أي: أنهم يعملون الأعمال =

....

= الصالحة من واجبات ومستحبات، ومع ذلك قلوبهم وجلة، يخشون أن ترد عليهم أعمالهم، يخشون أن لا تقبل منهم، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف.

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسولَ الله، في هذه الآية أهو الرجلُ يشربُ الخمرَ ويزني؟ قال: «لا، ولكنه الرجل يصومُ ويصلِّي ويتصدَّق ويخاف ألا يُقبَل منه»[١] ، فأهل الإيمان هكذا يعملون مع الخوف والحذر، ولما قالت عائشة: يا رسولَ الله، إن رأيتُ ليلةَ القدر ما أقولُ فيها؟ قال: «قولي: اللهمَّ إنكَ عَفُوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي»[٢].

فأهل الإيمان والصدق مع اجتهادهم، ومع حذرهم، ومع استقامتهم يخافون الله ويخشونه كثيراً، ويخافون أن ترد عليهم أعمالهم، ويتضرعون إليه بطلب العفو ﷻ.

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠] أي: خائفة مشفقة من الله ﷻ =

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣١٧٥)، وابن ماجه: الزهد (٤١٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥١٣)، وابن ماجه: الدعاء (٣٨٥٠).

....

= مع كمال إيمانهم، فهم مع إحسانهم ومع إيمانهم أشد خوفاً من أهل المعاصي والسيئات، وما ذاك إلا لأن هؤلاء قد عرفوا الله حق المعرفة وعرفوا أنه العظيم المستحق لأن يخاف ويحذر، بخلاف الفساق وأهل المعاصي والكفر؛ فلأنهم في غاية من الظلمة والبعد عن الله تعالى.

فأهل الشرك في غاية من الظلمة والبعد، وأهل المعاصي عندهم من الظلمة والنقص في إيمانهم والضعف في بصيرتهم، ما يجعل خوفهم ضعيفاً؛ ولهذا أقدموا على المحارم، وتساهلوا في الفرائض.

وما ذاك إلا من أجل ضعف الإيمان، وضعف المعرفة في قلوبهم، ولو عرفوا الله حق المعرفة، وعرفوا حقه عليهم، وعرفوا عظمته، وعرفوا صفاته، لسعوا إلى مراضيه، ولابتعدوا عن مساخط الله تعالى، و لما كانوا هكذا، ولكن جهلهم بالله وجهلهم بتفاصيل دينه أوقعهم فيما أوقعهم فيه من الشرك والكفر بالله تعالى والمعاصي.

وعلى إثر هذه الصفات العظيمة وخشيتهم لله وبصيرتهم به تعالى سارعوا، ولذلك قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ =

....

= [المؤمنون:٦١] أي: أولئك الذين هذه صفاتهم من الإيمان والخشية لله والتوحيد الخالص والوجل من الله والخوف منه.

وقوله جل وعلا: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي: سارعوا إلى الطاعات، وأنواع الخير من الجهاد، والصدقات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وزيارة المرضى، وإكرام الضيف، وصدق الحديث، وغير ذلك.

سارعوا إلى كل خير خوفاً من الله، وتعظيماً له، وإيماناً به، وصدقاً في طلب مرضاته ﷻ؛ ولهذا سبقوا إليها ﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ سارعوا وسبقوا، فمن كان هدفه صالحاً، وكان عن بصيرة وعن رغبة تامة، يسارع فيسبق؛ والله المستعان.

۞ قال: عن حُصَين بنِ عبدِ الرحمنِ، قال: كنتُ عندَ سعيدِ ابنِ جُبَيرٍ، فقال: أيُّكُم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارِحةَ؟ قلتُ: أنا، ثم قلتُ: أما إنِّي لم أكُن في صلاةٍ، ولكني لُدِغتُ، قال: فما صَنَعتَ؟ قلتُ: ارتَقَيتُ، قال: فما حملكَ على ذلكَ؟ قلتُ: حديثٌ حدَّثَناهُ الشعبيُّ، قال: وما حدَّثَكُم الشعبيُّ؟ قلتُ: حدَّثنا عن بُرَيدَةَ بنِ الحُصَيبِ أنه قال: لا رُقيَةَ إلا مِن عينٍ أو حُمَةٍ ، فقال: قد أحسنَ مَن انتهَى إلى ما سَمِع، ولكن حدَّثنا ابنُ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ قال:

«عُرِضَت عليَّ الأُمَمُ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهطُ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلانِ، والنبيَّ وليس معه أحدٌ، إذ رُفِع لي سوادٌ عظيمٌ فظننتُ أنهم أُمَّتي، فقيل لي: هذا موسَى وقومُه، فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: هذه أُمَّتُكَ ومعهم سبعونَ ألفاً يدخلون الجنةَ بلا حسابٍ ولا عذابٍ».

ثم نَهضَ فدخلَ منزِلَه فخاضَ الناسُ في أولئك، فقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين صَحِبوا النبيَّ ﷺ، وقال بعضُهم: =

= لعلَّهم الذين وُلِدُوا في الإسلامِ فلم يُشرِكُوا بالله شيئاً، وذكروا أشياءَ، فخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ فأخبروه، فقال:

«هُمُ الذين لا يَستَرقُونَ ولا يَكتَوُون، ولا يَتطيَّرُونَ، وعلى ربِّهم يتوكَّلُون». فقامَ عُكّاشَةُ بنُ مِحصَنٍ فقال: يا رسولَ الله، ادعُ اللهَ أن يجعلنِي منهم! فقال: «أنتَ منهُم» ثم قامَ رجلٌ آخرُ فقال: ادعُ اللهَ أن يجعلنِي منهم! فقال رسولُ الله ﷺ: «سبقَكَ بها عُكّاشَةُ».

هكذا أوردَ المصنِّفُ هذا الحديثَ غيرَ معزُوٍّ، وقد رواه البخاريُّ مختصراً ومطولاً، ومسلمٌ واللفظُ له، والترمذيُّ، والنَّسَائيُّ[1].

قولُه: (عن حُصَينِ بنِ عبدِ الرحمن) هو السُّلَميُّ أبو الهُذَيل الكوفيُّ، ثقةٌ، تَغيَّرَ حِفظُه في الآخرِ، مات سنة ستٍّ وثلاثينَ ومئة، وله ثلاثٌ وتسعونَ سنةً. =

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٠٥)، ومسلم: الإيمان (٢٢٠). والترمذي: صفة القيامة (٢٤٤٦)، والنسائي في «الكبرى»: الطب (٧٥٦٠).

= وسعيدُ بنُ جُبيرٍ: هو الإمامُ الفقيهُ مِن جِلَّةِ أصحابِ ابنِ عبَّاسٍ، روايتُه عن عائشةَ، وأبي موسى مُرسَلةٌ، وهو كوفيٌّ مولًى لبني أَسَدٍ، قُتِل بين يَدَيِ الحجاجِ سنةَ خمسٍ وتسعين، ولم يُكمِلِ الخمسينَ[1]. [١٣٩]

[شرح١٣٩] قُتِل سعيدُ بن جبير بين يدي الحجاج ظلماً وعدواناً، و كان الحجاج قتل أناساً كثيرين، يزعم أنهم ممن دخلوا في نقض البيعة لعبد الملك بن مروان، ثم كانوا مع ابن الأشعث في جهاد الروم، ثم صار هناك كلام في عبد الملك وفي الحجاج بن يوسف، وحصل للمسلمين اختلاف بذلك، ثم أجمعوا رأيهم على خلع الحجاج، ثم خلعوا بعده عبد الملك، فصار بسبب ذلك أشياء، ثم اجتمع الحجاج وابن الأشعث وصار بينهم مقتلة عظيمة في دير الجماجم، ووقعات عدة، ثم بعد ذلك صار الحجاج يتتبع من كان في هذا الغزو ويقتل من وجد منهم.

وهذا من جهله وظلمه، فإنه كان من الواجب لما انقضت المعركة، وانتهت الحرب، الكف عن الناس، وانتهى الأمر، ولكنه =

---

(١) ص٦٣-٦٤.

....

= لظلمه وتهاونه بالدماء، كان يتتبع من كان في هذا الغزو، وكان ينسب إليهم أنهم من أهل الضلال، وكان من جملتهم سعيد بن جبير، وكان معهم من الجماعة من الفقهاء والعلماء فقتلهم*.

---

* س: هل المظالم هذه التي عملها الحجاج يصلح معها أن نقول عنه: إنه كافر؟

ج: لا هذه من جنس المظالم الأخرى ما يكفر بها، لكنه على خطر عظيم، نسأل الله السلامة.

س: وما تأويلهم في قتالهم؟

ج: تأويلهم في هذا أنهم تعدوا الحدود، وأنهم خرجوا على ولي الأمر، وأنهم يخشى من شرهم إفساد الدولة.

س: إذن هو نفس تأويل المقاتلين ممن كان مع ابن الأشعث والفقهاء؟

ج: الظاهر والله أعلم أنه من ظلم الحجاج وتساهله في الأمور، تأولوا أنه ينبغي خلعه لظلمه وعدوانه، ثم قال لهم قائل: إذا خلعتموه فعليكم أن تخلعوا رئيسه عبد الملك لأنه فرع، فصار بعضهم إلى هذا الشيء، لأن عبد الملك أقره على هذا الظلم، فوجب خلعه لظهور المعاصي وظهور الظلم، وخفي عليهم قول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «إلا أن تَروا =

....

= كفراً بَواحاً عندَكم من الله فيه برهانٌ»[١]، لأنه ليس كل واحد عنده علم كامل فاجتهدوا، غفر الله لهم.

س: السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هل يمرون بالصراط؟

ج: ولكن لا يضرهم مرورهم بالصراط، يمرونه وهم مرتفعون عليه فلا يضرهم ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء:١٠٢].

*** س: إذاً إذا كان قبل الزوال نقول: الليلة؟**

ج: نعم، وبعده البارحة، وقد يقال: البارحة ولو قبل الزوال، وردت أخبار تدل على هذا منها حديث الرسول ﷺ عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: «هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا»[٢]، وفيه دليل لجواز إطلاق البارحة على الليلة الماضية وإن كان قبل الزوال.

س: نخرج من النص الأول بأنه ليس من قول الرسول ﷺ الذي يقول ما بعد الزوال وما قبل الزوال؟

ج: هذا كلام ثعلب من أئمة اللغة، وليس من كلام الرسول ﷺ. =

(١) أخرجه البخاري: الفتن (٧٠٥٦).

(٢) أخرجه مسلم: الرؤيا (٢٢٧٥).

....

= يصير معناه أن اللغة يغلب فيها هذا، وتستعمل أيضاً البارحة قبل الزوال، ذهبوا إلى ذلك أي: يغلب على كلامهم البارحة فيما بعد الزوال وقد يقولون أيضاً في بعض الأحيان: البارحة؛ قبل الزوال.

۞ قولُه: (انقَضَّ) هو بالقافِ والضادِ المعجمةِ، أي: سقطَ، و(البارحةَ) هي أقربُ ليلةٍ مَضَت، قال أبو العباسِ ثَعلبٌ: يُقال قبلَ الزوالِ: رأيتُ الليلةَ، وبعدَ الزوالِ: رأيتُ البارحةَ، وهكذا قال غيرُه، وهي مشتقة مِن بَرَح: إذا زال[1]. [١٤٠]

[شرح١٤٠] قد جاء في بعض النصوص ما يدل على أنه يقال: البارحة ولو في أول النهار، لكن هذا هو الأغلب فالبارحة بعد الزوال، وقبل الزوال يقال: الليلة، وورد في بعض النصوص ما يدل على أنه تسمى البارحة، وإن كان الحديث في أول النهار، لأنها مضت الليلة*.

---

(١) ص٦٥.

۞ قولُه: (أمَا إنِّي لم أكُن في صلاةٍ) القائلُ حُصينٌ خاف أن يَظُنَّ الحاضرونَ أنه ما رأَى النَّجمَ إلا لأنه يصلِّي، فأراد أن ينفيَ عن نفسه إيهامَ العبادةِ وأنه يصلِّي، مع أنه لم يكُن فَعَل ذلك، وهذا يدلُّ على فضلِ السلفِ الصالحِ وحرصِهم على الإخلاصِ، وشدَّةِ ابتعادِهِم عن الرياءِ، بخلافِ من يقول: فعلتُ وفعلتُ؛ لِيُوهِمَ الأغمارَ أنه مِن الأولياءِ، وربما عَلّقَ السُّبْحَةَ في عنقِه، أو أخذَها في يدِه يمشي بها بين الناسِ؛ إعلاماً للناسِ أنه يسبِّح عددَ ما فيها من الخرزِ.

وقد قال الإمامُ محمدُ بن وَضَّاح: حدثنا أسدٌ، عن جَريرِ بن حازم، عن الصَّلتِ بنِ بَـهْرام، قال: مَرّ ابنُ مسعودٍ بامرأةٍ معها تسبيحٌ تُسبِّح به، فقَطَعَه وألْقاه، ثم مرَّ برجلٍ يُسبِّح بحصًى فضربه برِجْله، ثم قال: لقد جئتُم ببِدْعة ظلماءَ، أو لقد غَلَبتُم أصحابَ محمدٍ ﷺ عِلماً[1].[2] [١٤١]

[شرح١٤١] أي: أنتم بين أمرين: إما أنكم جئتم ببدعة ظلماء، أو =

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٤٠٩) و(٥٤١٠) دون ذكر مروره بالمرأة.

(٢) ص٦٥.

....

= أنكم فقتم أصحاب محمد ﷺ علماً وغلبتموهم، والثاني غير صحيح، فعلم أنه الأول، وأنهم جاؤوا ببدعة ظلماء لا وجه لها، أي: أن إظهارهم التسبيح بالحصى أو بشيء يعلق بالحلقة أو باليد، أو يسبحون بخرزات، أن هذا شيء أحدثتموه بعد أصحاب محمد ﷺ، وهو من البدعة بإظهار التعبد بأشياء ما تعبد بها الأولون، ويكفي التعبد بالأصابع، فإن الأصابع مسؤولة مستنطقة، فالتعبد بها هو المشروع عند التسبيح*.

---

* س: هل هناك دليل على أنه لا يسبح إلا باليمين؟

ج: ورد في بعض الأحاديث حديث جيد وهو الأفضل، فلا بأس به أنه كان يعقدها بيمينه، ولكن إذا عقد باليدين فلا بأس، لأنه جاء في حديث آخر ما يدل على العقد بالأصابع كلها، ولكن اليمين أفضل؛ لأن النبي ﷺ كان يحب التيامن.

س: هل هناك حديث جاء بعدم التسبيح بالأصابع اليسرى؟

ج: إطلاق الحديث عند أبي داود وغيره أنه أمر أن يعقد بالأصابع وقال: «إنهن مسؤولات مستنطقات»[1]. =

---

(١) أخرجه الترمذي: الدعوات (٣٥٨٣)، وأبو داود: الصلاة (١٥٠١).

....

= س: لكن هذه الرواية مقيَّدة برواية «سنن أبي داود» باليمنى؟

ج: جاء هذا وهذا؛ فيحمل على التوسعة؛ فهذا أفضل وهذا جائز.

س: لكن يعرف أن المطلَق أحياناً يقيَّد، فرواية عائشة: كان رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بأصابع يده اليمنى[1]، وعائشة كذلك تعرف أن الرسول ﷺ أحواله في البيت من هذا التسبيح، وكذلك ورد في رواية أخرى: أنه بأنامل أصابعه اليمنى، فما أطلقه بعض الرواة يمكن أن يحمل على هذا التقييد.

فمن العموميات: كان الرسول ﷺ يعجبه التيمن في أمره كله[2]، إذا كان لا يمس الذكر باليمنى، كذلك يمكن أن نقول: لا يمس النجس كذلك باليمنى، وعلى هذا فنرى أن لكل يد وظيفة مخصصة بها.

ج: الأصل في هذا التعميمُ والتوسعة وعدم التشديد؛ فاليمنى أفضل والباقي جائز؛ هذا هو الصواب.

---

(١) هذا في حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود: الصلاة (١٥٠٢).

(٢) أخرجه البخاري: الوضوء (١٦٨)، ومسلم: الطهارة (٢٦٨).

۞ قولُه: (ولكنِّي لُدِغتُ) هو بضمٍّ أولِهِ وكسرِ ثانيه، مبني لما لم يُسمَّ فاعلُه، أي: لَدغَتْه عقربٌ أو نحوُها.

قولُه: (قلتُ: ارتَقَيتُ) لفظ مسلم: «استَرقَيتُ» أي: طلبتُ مَن يَرقِيني.

قوله: (فما حملكَ على ذلكَ؟) فيه طلبُ الحُجَّة على صحةِ المذهبِ[1] *.

---

* س: كيف يكون فيه طلب الحجة على صحة الشيء؟

ج: أي: إذا فعل الشيء قال له: ما حجتك على الشيء؟ حتى تتم الفائدة، فالعمل بدون حجة ما تتم الفائدة حتى يكون هناك دليل يدل على هذا الشيء، فالفعل (استرقى) ما أحد يعرف الاسترقاء طلب فيه ذم سؤال الناس.

س: أي هذا يطلب منا الآن، حتى لو كان عامياً؟

ج: المقصود طلب العلم فطلبة هذا البيت طلبة علم، أما العامي يسأل أهل العلم فقط، يسأل عن شرع الله، يسأل: ما هو شرع الله؟ ما هو حكم الله؟ما هو مشروع لي؟ ما هو الواجب علي.

---

(١) ص٦٥.

۞ قوله: (حديث حَدَّثَناه الشعبيُّ) أي: حَمَلني عليه حديثٌ حدَّثَناه الشعبيُّ، واسمه عامر بن شَراحِيل الهَمْداني ـ بسكون الميم ـ الشَّعْبي. وُلِد في خلافةِ عمرَ، وهو من ثِقَات التابعين وحُفَّاظهم وفقهائِهم، مات سنة ثلاث ومئة.

قوله: (عن بُريدَةَ) بضمِّ أوَّله وفتح ثانيه، تصغيرُ بُرْدة (بن الحُصَيْب) بضمِّ الحاء وفتح الصادِ المهملتين، ابنِ عبد الله بنِ الحارث الأسلميِّ، صحابيٌّ شَهِير، مات سنةَ ثلاثٍ وستين. قاله ابنُ سعدٍ.

قوله: (لا رُقْيَةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ) هكذا رُويَ هنا موقوفاً، وقد رواه أحمدُ وابنُ ماجَهْ عنه مرفوعاً [١]، ورواه أحمدُ وأبو داود والترمذيُّ عن عِمرانَ بن حُصَين به مرفوعاً [٢]. قال الهيثميُّ: رجال أحمد ثقات.

و(العين): هي إصابة العائنِ غيرَه بعينه، و(الحُمَةِ) =

---

(١) أحمد (١/ ٢٧١)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٣).

(٢) أحمد (٤/ ٤٣٦)، وأبو داود: الطب (٣٨٨٩)، والترمذي: الطب (٢٠٥٧).

= ـ بضم المهملة وتخفيف الميم ـ: سُمُّ العقرب وشبْهها. قال الخَطَّابي: ومعنى الحديث: لا رُقْيَةَ أَشفى أو أَوْلى من رُقْية العَيْن والحُمَة. وقد رَقَى النبيُّ ﷺ ورُقيَ.

قلتُ: وسيأتي ما يتعلَّق بالرُّقَى إن شاء الله تعالى.

قوله: (قد أَحسَنَ مَن انتهى إلى ما سَمِع) أي: مَن أَخذ بما بَلَغَه من العِلم وعمل به، فقد أَحسن، لأنه أَدَّى ما وَجَب وعمل بما بَلَغه من العِلم، بخِلافِ مَن يعملُ بجهلٍ أو لا يعملُ بما يعلمُ، فإنه مسيءٌ آثمٌ.

وفيه فضيلةُ عِلْمِ السَّلَف وحُسنُ أَدَبهم وهَدْيهم وتلطُّفهم في تبليغِ العِلْم، وإرشادُهم مَن أَخَذ بشيء ـ إنْ كان مشروعاً ـ إلى ما هو أفضلُ منه، وأن مَن عمل بما بَلَغَه عن الله وعن رسولِه فقد أحسنَ، ولا يتوقفُ العملُ به على معرفةِ كلام أهلِ المذاهبِ أو غيرِهم.

قوله: (ولكنْ حدَّثَنا ابنُ عباس) هو عبدُ الله بن عبَّاس بن عبد المطَّلِب، الهاشميُّ ابنُ عمِّ النبي ﷺ، دعا له النبيُّ ﷺ =

= فقال: «اللهمَّ فَقِّهْه في الدِّين وعَلِّمْه التأويلَ»[1]، فكان كذلك. قال عمر: لو أدرك ابنُ عباسٍ أسنانَنا ما عَشَرَهُ منا أَحدٌ، أي: ما بلغ عُشرَه في العِلْم، مات بالطائف سنةَ ثمانٍ وستينَ.

قال المصنف: فيه عُمقُ عِلْم السَّلَف، لقوله: (قد أَحسَن مَن انتَهى إلى ما سمعَ، ولكن...) كذا وكذا، فعُلِمَ أنَّ الحديثَ الأولَ لا يخالفُ الثاني.

قوله: (عُرِضَت عليَّ الأُمَم) وفي رواية التِّرمِذي والنَّسَائي في «الكبرى»[2]، من روايَة عَبْثر بن القاسم، عن حُصَين بن عبد الرحمن أن ذلك كان ليلةَ الإسراءِ، ولفظه: لما أُسرِيَ بالنبيِّ ﷺ جعلَ يَمُرُّ بالنبيِّ ومعه الواحدُ. قال الحافظُ: فإنْ كانَ ذلك محفوظاً، كانت فيه قُوَّة لمن ذَهَب إلى تَعدُّد الإسْراءِ وأنَّه وَقَعَ بالمدينةِ أيضاً غيرُ الذي وَقَعَ بمكةَ. كذا قالَ، وليس بظاهرٍ، بلْ قد يكونُ رأى ذلك ليلةَ =

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦).

(٢) الترمذي: صفة القيامة (٢٤٤٦)، والنسائي: الطب (٧٥٦٠).

= الإسراءِ، ولم يُحدِّثْ به إلا في المدينةِ. وليس في الحديثِ ما يدلُّ على أنه حَدَّث به قريباً من العَرْض عليه.

قوله: (فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهْطُ) هو الجماعةُ دونَ العَشَرة، قاله النَّوَويُّ.

قوله: (والنبيُّ ومعه الرجلُ والرجلانِ، والنبيُّ وليس معه أَحدٌ) فيه أن الأنبياءَ مُتفاوِتُونَ في عَدَد أتباعِهم وأنَّ بعضَهم لا يتبعُه أَحدٌ، وفيه الردُّ على مَن احتَجَّ بالأكثرِ وزَعَم أنَّ الحقَّ محصورٌ فيهم، وليس كذلكَ، بل الواجبُ اتِّباعُ الكتاب والسُّنَّة مع مَن كانَ، وأينَ كانَ.

قولُه: (إذ رُفع لي سوادٌ عظيمٌ) السوادُ: ضدُّ البياضِ، والمرادُ هنا الشخصُ الذي يُرَى مِن بعيدٍ، أي: رُفع إليه أشخاصٌ كثيرةٌ.

قوله: (فظننتُ أنَّهم أُمَّتي) استَشكَل الإسماعيليُّ كونَه ﷺ لم يَعرِف أُمَّتَه حتى ظَنَّ أنهم أُمَّةَ موسى عليه السلام، وقد ثبتَ من حديثِ أبي هريرةَ: كيفَ تعرفُ مَن لم ترَ مِن أُمَّتِكَ؟ =

= فقال: «إنهم غُرٌّ مُحجَّلون مِن أَثرِ الوُضُوءِ»(١).

وأجابَ بأن الأشخاصَ التي رآها في الأفُقِ لا يُدرَكُ منها إلا الكثرةُ من غيرِ تمييزٍ لأعيانِهم، وأما ما في حديثِ أبي هريرةَ فمحمولٌ على ما إذا قَرُبوا منه، ذكَرَه الحافظُ(٢). [١٤٢]

[شرح١٤٢] وهذا حق لأنه رآهم من بعيد؛ فهو ﷺ ما رأى إلا السواد، والسواد هي الأشخاص التي يرى سوادها واجتماعها من بعيد لكن لا يتعقب تفصيلها، هذا هو السواد، كذا أو كذا هل هم رجال أو نساء، أو حيوانات أخرى، أي: سواد له شأن وله ضخامة، ولكن ليس بالقريب حتى يعرف تفصيله وصفاته.

فلهذا ظنهم أُمته فكانوا قوم موسى، فإذا قربوا ودنوا عرفهم وميَّزهم عن الأشخاص الأخرى والجماعات الأخرى والأمم الأخرى؛ ميزهم بالعلامة التي أخبر بها عليه الصلاة والسلام وهي =

---

(١) أخرجه مسلم: الطهارة (٢٤٩).

(٢) ص٦٥-٦٧.

....

= أنهم غرٌّ محجَّلون من أثر الوضوء* .

---

* س: الأشخاص التي رآها أم التي رآهم؟

ج: جنس الأشخاص إذا رآها؛ ورآهم للجماعة.

۞ قولُه: (فقِيل لي: هذا موسى وقومُه) أي: موسى بنُ عمران كَلِيمُ الرحمنِ، وقومُه الذين اتبعوه؛ وفيه فضيلةُ موسى وقومِه.

قولُه: (فنظرتُ، فإذا سَوادٌ عظيمٌ) لفظ مسلم بعد قولِه: «هذا موسى وقومُه»: «ولكنِ انظُر إلى الأُفقِ، فنظرتُ، فإذا سَوادٌ عظيمٌ، فقِيلَ لي: انظُر إلى الأُفُقِ الآخرِ، فنظرتُ، فإذا سَوادٌ عظيم، فقِيلَ لي: هذهِ أُمَّتُكَ».

قولُه: (ومعهُم سَبعُونَ ألفاً يدخلُون الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ) أي: لتحقيقِهِمُ التوحيدَ.

قال الحافظ: المرادُ بالمعيَّـةِ المعنويةُ، فإن السبعينَ ألفاً المذكورين من جملةِ أُمَّتِه، لكن لم يكونوا في الذين عُرِضُوا إذْ ذاكَ، فأُريدَ الزيادةُ في تكثيرِ أُمتهِ بإضافةِ السبعينَ ألفاً إليهم.

قلت: وما قالَه ليس بظاهرٍ، فإن في روايةِ ابنِ فُضَيل: =

= «ويدخل الجنةَ من هؤلاء مِن أُمَّتِكَ سبعونَ ألفاً»[1].[2] [١٤٣]

[شرح١٤٣] ليس معنى ذلك أنهم بعيدون عنهم لكن من جملتهم؛ من جملة هذه الأمة سبعون ألفاً، وفي اللفظ الآخر: «زادَني مع كلِّ ألفٍ سبعينَ ألفاً»[3]، فالحاصل أنهم ليسوا بجماعة آخرين خارج عن هذا السواد، بل هم من جملة هذا السواد.

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٠٤).

(٢) ص٦٧.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩).

۞ وقد وردَ في حديثِ أبي هريرةَ في «الصحيحين» وصفُ السبعينَ ألفاً بأنهم: «تُضِيءُ وجوهُهُم إضاءةَ القمرِ ليلةَ البدرِ»[١]، وفيهما عنه مرفوعاً: «أوَّلُ زُمرَةٍ تدخلُ الجنةَ على صورةِ القمرِ، والذين على آثارِهم كأَحسنِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً»[٢].

وجاءَ في أحاديثَ أُخَرَ: أن مع السبعينَ ألفاً زيادةً عليهم، فروى أحمدُ والبيهقيُّ في «البعثِ» حديثَ أبي هريرة في السبعينَ ألفاً؛ فذكره، وزاد قال: «فاستزدتُ ربِّي فزادَني مع كلِّ ألفٍ سبعينَ ألفاً»[٣]، قال الحافظ: وسندُه جيِّد.

وفي الباب عن أبي أيوبَ عند الطبراني[٤]، وعن حُذَيفة عند أحمد[٥]، وعن أنسٍ عند البزَّار[٦]، وعن ثَوْبان عند ابن =

---

(١) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٥٤٢)، ومسلم: الإيمان (٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري: بدء الخلق (٣٢٥٤)، ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٠٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٨٨٢).

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٣).

(٦) انظر «إتحاف الخيرة» (١٠٢٤٧)، «المطالب العالية» (٤٦١٤). وأخرجه أبو يعلى =

= أبي عاصم[1]، قال: فهذه طرقٌ يقوِّي بعضُها بعضاً.

قال: وجاء في أحاديث أُخَرَ أكثرُ من ذلك، فأخرج الترمذيُّ وحسَّنَه والطبرانيُّ وابنُ حِبّان في «صحيحه» من حديثِ أبي أُمامةَ رفعه: «وَعَدَني رَبِّي أن يُدخِلَ الجنةَ مِن أُمَّتي سبعينَ ألفاً، مع كلِّ ألفٍ سبعينَ، كذا ألفاً لا حسابَ عليهم ولا عذابَ، وثلاثُ حَثَياتٍ مِن حَثَياتِ ربِّي»[2].[3] [١٤٤]

[شرح١٤٤] يجوز الرفع والنصب: «سبعون» مبتدأ، و«سبعين» نصب على المفعولية؛ أي: وعدني أن يدخل مع كل ألف سبعين ألفاً؛ فكلٌّ على حسب التقدير*.

---

* س: الحثية الواحدة كم عددها؟

ج: الله ﷻ أعلم بها، لا يحصيها إلا هو؛ على حسب التوحيد والإيمان.

= في «مسنده» (٣٧٨٣).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٥٥).

(٢) الترمذي: صفة القيامة (٢٤٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٧٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٤٦). وأخرجه أيضاً ابن ماجه: الزهد (٤٢٨٦).

(٣) ص٦٧.

۞ ورَوَى أحمدُ وأبو يعلَى منْ حديثِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ سبعينَ ألفاً يَدخُلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ، وُجوهُهُم كالقمرِ ليلةَ البدرِ، قلوبُهُم على قلبِ رجلٍ واحدٍ، فاستَزَدتُ ربِّي ﷻ فزادَني مع كلِّ واحدٍ سبعيَن ألفاً»(١).

قال الحافظُ: وفي سندِه راويانِ: أحدُهما ضعيفُ الحفظِ، والآخرُ لم يُسَمَّ.

قلتُ: وفيه «أن كلَّ أُمَّةٍ تُحشَر مع نبيِّها».

قولُه: (ثم نهضَ) أي: قامَ.

قولُه: (فخاضَ الناسُ في أولئك) قال النوويُّ: هو بالخاءِ والضادِ المعجمتين، أي: تكلَّمُوا وتَناظَروا(٢). [١٤٥]

[شرح١٤٥] في وصف السبعين قلوبهم كقلب رجل واحد، وهذا وصف خاص وإلا فأهل الجنة كذلك، قد جاء في الأحاديث =

---

(١) أحمد (١/ ٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (١١٢).

(٢) ص٦٧-٦٨.

....

= الصحيحة في «الصحيحين» وغيرهما على أن أهل الجنة قلوبهم كقلب رجلٍ واحدٍ[1]؛ أي: ليس بينهم غل ولا حقد ولا تنافس، بل كلهم على طريقة واحدة، متحابون ليس بينهم غل ولا حقد، فقد نزع الله ما في قلوبهم من غل، فهم على قلب رجل واحد وعلى خلق رجل واحد، أخلاقهم كريمة، وقلوبهم صافية سليمة، هذه حال أهل الجنة جميعاً، لكن هؤلاء السبعين وأشباههم ومن التحق بهم تكون لهم ميزة زائدة في الفضل.

(١) انظر ما ورد في البخاري: بدء الخلق (٣٢٤٦)، ومسلم: الجنة (٢٨٣٤).

۞ قال: وفي هذا إباحةُ المناظرةِ في العلمِ والمباحثةِ في نصوصِ الشرعِ على جهةِ الاستفادةِ وإظهارِ الحقِ[1]. [١٤٦]

[شرح١٤٦] أي: لا على سبيل الرياء والسمعة، أو على سبيل الهضم من زيد وعمرو ونحو ذلك وإظهار فضله عليه، بل يكون البحث بين طلاب العلم لقصد الاستفادة، وإظهار الحق، مع قطع النظر عن كونه يظهر على يد فلان أو يد فلان أو يد فلان، وإنما مع الإخلاص والصدق ومع صفاء القلوب؛ إذ المقصود الفائدة فقط.

ولا يجوز أن يكون البحث والمذاكرة من أجل إظهار فضل زيد على عمرو أو خالد على بكر، أو من أجل أن يمدح بذلك، أو أن يرائي الناس به؛ فإن هذا وسيلة إلى ظلمة القلوب، وإلى قسوتها، وإلى ذهاب الفائدة وضياعها. نسأل الله السلامة.

---

(١) ص٦٨.

۞ وفيه: عمقُ عِلْمِ السلفِ لمعرفتِهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعلمٍ[1]. [١٤٧]

[شرح١٤٧] الصحيح «بعملٍ» وإن كان الأصل «بعلم»؛ فصواب العبارة: «لم ينالوا ذلك إلا بعملٍ».

---

(١) ص٦٨.

۞ وفيه: حِرصُهم على الخيرِ، ذكَره المصنِّفُ.

قولُه: (فقال: هم الذين لا يَستَرقُون)، هكذا ثبتَ في «الصحيحين».

وفي رواية مسلم التي ساقها المصنِّفُ هنا زيادةُ: «ولا يَرقُون» وكأنَّ المصنِّفُ اختصرَها كغيرِها؛ لما قيل: إنَّها مَعلُولةٌ.

قال شيخُ الإسلامِ: هذه الزيادةُ وَهمٌ من الراوي، لم يقل النبي ﷺ: «لا يَرقُون»؛ لأن الراقي محسن إلى أخيه، وقد قال النبيُّ ﷺ ـ وقد سئل عن الرُّقَى ـ قال: «مَن استطاعَ منكُم أن ينفعَ أخاه فليَفعَل»(١). وقال: «لا بأسَ بالرُّقَى ما لم تكنْ شِركاً»(٢).

وأيضاً: فقد رقَى جبريلُ النبيَّ ﷺ(٣)، ورقَى النبيُّ ﷺ =

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٠).

(٣) أخرجه مسلم: السلام (٢١٨٥) و(٢١٨٦).

= أصحابَه[١].

قال: والفرقُ بين الراقِي والمُسترقِي: أن المُسترقِي سائلٌ مُستعطٍ مُلتفِت إلى غيرِ الله بقلبِه، والراقي محسنٌ.

قال: وإنما المرادُ وصفُ السبعينَ ألفاً بتمام التوكُّلِ، فلا يسألون غيرَهم أن يَرقِيَهُم ولا يَكوِيَهُم ولا يتطيَّرون.

وكذا قال ابنُ القيِّم، ولكن اعترضَه بعضُهم بأن قال: تغليطُ الراوي مع إمكانِ تصحيح الزيادةِ لا يُصارُ إليه، والمعنى الذي حملَه على التغليطِ موجودٌ في المُرقِي؛ لأنه اعتلَّ بأن الذي لا يطلبُ مِن غيرِه أن يَرقِيَه، تامُّ التوكُّلِ، فكذا يقال: والذي يَفعلُ به غيرُه ذلك ينبغي ألّا يمكِّنَه منه لأجلِ تمامِ التوكُّلِ، وليس في وقوع ذلك من جبريلَ عليه السلامُ دلالةٌ على المدَّعى، ولا في فعلِ النبيِّ ﷺ له أيضاً دلالةٌ في مقامِ التشريعِ وتبيينِ الأحكامِ. =

(١) انظر البخاري: الطب (٥٦٧٥) و(٥٧٤٣- ٥٧٤٥)، ومسلم: السلام (٢١٩١) و(٢١٩٢) و(٢١٩٤).

= كذا قال هذا القائلُ، وهو خطأٌ من وجوهٍ:

الأولُ: أن هذه الزيادةَ لا يمكن تصحيحُها إلا بحملها على وجوهٍ لا يصحُّ حملُها عليها، كقول بعضِهم: المرادُ: لا يَرقُون بما كان شِركاً أو احتملَه، فإنه ليس في الحديثِ ما يدلُّ على هذا أصلاً.

وأيضاً فعلى هذا لا يكون للسبعينَ مزيَّةٌ على غيره، فإن جملةَ المؤمنينَ لا يَرقون بما كان شِركاً.

الثاني: قولُه: (فكذا يقال...) إلى آخره، لا يصحُّ هذا القياسُ، فإنه من أَفسدِ القياسِ، وكيف يُقاسُ مَن سألَ وطلبَ على مَن لم يَسأَل؟»[1]. [١٤٨]

[شرح١٤٨] قوله: «المُرقِـي كذلك» أي: إذا كان ترك الاسترقاء أَولى، فينبغي أيضاً أن يكون المُرقِـي لا يقبل هذا الشيء، بل من أراد أن يحسن إليه فليمنعه، فهذا قياس فاسد، إذ ليس السائل كالمعترض على السؤال، هناك فرق بعيد، ولهذا جاء في الأحاديث =

---

(١) ص٦٨-٦٩.

....

= الصحيحة: «ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرِف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»[١].

هذا بخلاف السائل الذي يكون له نوع من الذل، ونوع من الاستعطاف، ونوع من الالتفات إلى المسؤول، فلا يستويان، لا يستوي هذا الذي يرقي من دون أن يسأل مع الذي يسأل، فبينهما فرق.

(١) أخرجه البخاري: الزكاة (١٤٧٣)، ومسلم: الزكاة (١٠٤٥).

۞ مع أنه قياسٌ مع وجودِ الفارقِ الشرعيِّ، فهو فاسدُ الاعتبارِ؛ لأنه تسويةٌ بين ما فَرَّقَ الشارعُ بينهما بقوله: «مَن اكتَوَى أو استَرقَى فقد بَرِئ مِن التوكُّلِ». رواه أحمدُ، والترمذيُّ وصحَّحه، وابنُ ماجه، وصحَّحه ابنُ حِبان، والحاكمُ أيضاً [1]، وكيف يُجعَل تركُ الإحسانِ إلى الخلقِ سبباً للسَّبقِ إلى الجِنانِ؟![2] [١٤٩]

[شرح١٤٩] حديث «من اكتوى أو استرقى...» هذا فيه نظر وما أظن صحته وإن صححه ابن حبان، فإن هذا المتن بعيد عما هو معروف عن النبي عليه الصلاة والسلام، وما هو معروف في القواعد الشرعية.

وهذا الحديث مداره على عَقّار بن المغيرة، وفي انفراد عقار بهذا الحديث نظر، وهو صدوق، والصدوق درجة غير الثقة، وقد لا =

---

(١) أحمد (٤/ ٢٤٩)، والترمذي: الطب (٢٠٥٥)، وابن ماجه: الطب (٣٤٨٩)، وابن حبان: الرقى والتمائم (٦٠٨٧)، والحاكم: الرقى والتمائم (٤/ ٤١٥) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٢) ص٦٩.

....

= يحتج به إذا انفرد، وانفراد عقار بهذا عن أصحاب المغيرة من الأئمة والأثبات والتابعين يخرجه عن درجة الاحتجاج به.

وهو مخالف لظاهر الأحاديث الصحيحة، ففيه نظر، فأقرب ما يقال ـ إن صح ـ: إنه يكون شاذاً؛ كما قال الحافظ، فإن خولف، فالراجح المحفوظ، ومقابله الشاذ، فإنه إذا خولفت الأدلة الشرعية المعروفة بحديث ما وإن كان سنده جيداً، اعتُبر شاذاً؛ كونه خالف من هو أوثق منه، ولا يعتبر به إلا أن يحمل هذا الحديث على التوكل الكامل، ففي صيغة هذا الحديث وألفاظه نظر إلا أن يحمل على التوكل الكامل، لكن ظاهر إطلاق الصيغة أنه التوكل كله، لكن لو استقام سنده وسلم فإنه يحمل على البراءة من التوكل الكامل، وليس من جنس التوكل فقط، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ أمر أن يُسترقَى من العين[1].

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة والمستفيضة التداوي والكي والاسترقاء، فالقول بأن هذا براءة من التوكل اعتماداً على رواية =

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٣٨)، ومسلم: السلام (٢١٩٥) من حديث عائشة.

....

= عقار هذا، فيه نظر، والمقصود أن للبحث تتمة بالنظر في حال عقار.

وبكل حال لو ثبت أن عقاراً سليم من القدح أو الجرح، فهو من باب الأخبار الشاذة، لأن شرط الحديث الصحيح أن يكون متصل السند ولا يكون معلاً ولا شاذاً، هذا بالنسبة للأحاديث الكثيرة والآيات الدالة على الأسباب، ولا سيما ما يتعلق بالكي نفسه والاسترقاء، فهذان الشيئان خالفا الأحاديث الصحيحة، فعن ابن عباس عند البخاري[١]: «الشفاء في ثلاث»، ومنها الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ في الكي والاسترقاء، وهي ثابتة في «الصحيح» أيضاً: أن النبي ﷺ أمر أن يسترقى من العين، وأمر امرأة جعفر أن تسترقيَ لأولادها[٢].

---

(١) برقم (٥٦٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٩)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٠).

۞ وهذا بخلاف من رَقَى أو رُقِيَ من غيرِ سؤالٍ، فقد رَقَى جبريلُ النبيَّ ﷺ[1]، ولا يجوزُ أن يُقال: إنه عليه السلام لم يكن متوكِّلاً في تلك الحالِ[2]. [١٥٠]

[شرح١٥٠] ولا غرابة في أن حَذَفَه المهذِّب الشيخ عبد الرحمن بن حسن في «فتح المجيد» ولم يذكره؛ لأنه استغربه، ورأى أنه غير مطابق لقواعد الشرع وأوامر الشرع، ولهذا حذفه من «التهذيب»، فإنه رحمه الله هذب الشرح هذا وأدخل فيه بعض النقول، وحذف منه بعض الأشياء التي رأى أن حذفها أحسن، ومن جملة ذلك أنه حذف هذا الاعتراض الذي ذكر على الرقية، وحذف أيضاً هذا الحديث، وحذف أشياء غيره.

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢١٨٥) و(٢١٨٦).

(٢) ص٦٩.

۞ الثالث: قوله: (ليسَ في وُقُوعِ ذلكَ من جبريلَ...) إلى آخره، كلامٌ غيرُ صحيحٍ، بل هما سيِّدا المتوكِّلينَ، فإذا وقعَ ذلك منهما دلَّ على أنه لا يُنافي التوكُّلَ، فاعلَمْ ذلكَ[1]. [١٥١]

[شرح١٥١] أي: لا ينبغي ترك التوكل من النبي ولا من جبريل عليه الصلاة والسلام، أي: لو كان فيه نقص لما فعله جبرائيل ولما فعله النبي ﷺ، ثم علاوة على ما قال الشارح قول آخر: وهو أن هذه الزيادة لم تقع إلا في حديث ابن عباس هذا «يرقون»، ولم تأت في الأحاديث الأخرى التي جاء فيها أخبار السبعين؛ أخبار عمران بن حصين وأبي هريرة والجماعة ذكروا السبعين، فلم يأت في رواياتهم «ولا يرقون» إنما جاء فيها «ولا يسترقون» بالسين، فدل ذلك على أن رواية ابن عباس هي التي اختصت بالوهم؛ لأن فيها الزيادة عند مسلم دون غيرها، الصحابة الذين رووا قصة السبعين ما رووا فيها «ولا يرقون»؛ فهذا من دلائل عدم صحة هذه الزيادة، وأنه من بعض الرواة الذين رووا حديث ابن عباس*.

---

* س: الرقية في الإناء، أي: الذي يأتي بإناء ويقرأ وينفث في الإناء، هل =

---

(١) ص٦٩.

....

= ورد في هذا حديث؟

ج: ورد في حديث عند أبي داود في أول كتاب الطب[١]، وهو حديث جيد لا بأس به: أن رسول الله ﷺ دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فدعا له ثم أخذ تراباً من بُطْحان فجعله في قدح، ثم نفث عليه بماء، ثم صبَّه عليه.

س:ورد أنه يكتب بالزعفران، ما أصل هذه الراوية؟

ج: لم أجد لهذا أصلاً، وإن كان يروى عن ابن عباس، لكن على أصلها ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة أنه مروي عن ابن عباس، ولكن لم أقف على السند، ولم أر ما يدل ثبوته عن ابن عباس، وفعله بعض السلف، فعله أحمد والجماعة من السلف يكتبون للمرقي في صحون نظيفة بزعفران وتغسل ويشربها المريض، هذا موجود منذ العهد القديم منذ القرن الثاني وما بعده ولا أعرفه عن الصحابة.

ولهذا فيما يظهر لي أن الأَولى ترك ذلك، وأن يكتفى بالرقية على المريض، أو يأتي بماء يشربه وفي طعام يأكله أو يدهن به، أي: شيء يباشر المريض رأساً، أما شيء يكتب ثم يغسل، لا أعرف له أصلاً ثابتاً عن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، إنما هو من فعل بعض السلف، وما روي عن ابن =

---

(١) برقم (٣٨٨٥).

....

= عباس وما رأيته وما رأيت أحداً رواها بإسنادها، فلتبحث ولتنظر.

س: الحديث الذي فيه قصة اللديغ فدعا النبي ﷺ بماء وملح وقرأ عليهما؟

ج: جارٍ كذلك، لكن لا أذكر الآن سنده ومن رواه، غاب عن ذهني الآن لا أتذكر، لكنه مر بي هذا الشيء، أظنه أن جبرائيل قرأ للنبي ﷺ بماء وملح في لدغة أصابت النبي ﷺ[١].

س: الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقرأ في يديه ويمسح، هل يقاس عليه المسح بالماء ؟

ج: لا يقاس عليه؛ لأن كون الإنسان يقرأ على جزء من جسمه، ثم يجعله على بقية جسمه لا يمكن أن يقرأ بشيء منفصل، ألا يقاس عليه، فالنبي ﷺ ثبت عنه أنه كان إذا أحس بشيء يقرأ في يديه ﷺ «قل هو الله أحد» والمعوذتين، ويمسح من ذلك ما أقبل من جسده ورأسه ثلاث مرات عليه الصلاة والسلام عند النوم[٢].

وتكميل لهذا البحث مما يؤيد ما أشرت إليه من القياس، قد يتأيد القياس بأن عائشة رضي الله عنها وأرضاها لما مرض النبي ﷺ في آخر حياته، وكان يعجز أن يقرأ في يديه بسبب الضعف، صارت هي تقرأ في =

---

(١) انظر «شعب الإيمان» (٢٥٧٥) و(٢٥٧٦).

(٢) انظر «صحيح البخاري» (٥٠١٦) و(٥٠١٧) و(٥٧٤٨).

....

= يديه وتمسح بهما وجهه، تقرأ هي على يد النبي ﷺ وتمسح بهما جسده[١].

س: الرُّقى بالأوراق، ما مدى صحته؟

ج: هذا الذي يسأل عنه الإخوان، يروى عن ابن عباس ذلك وعن جماعة من السلف فعلوه، ولكن إذا تيسر أن يكون على المريض من باب أولى القراءة على المريض، أو في شيء يشربه أو يدهن به أو نحو ذلك.

س: إذاً ما لها صحة؟

ج: لا أعرف عنها شيئاً عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة، إنما هي تروى عن ابن عباس، ولكن من باب الطب، أي: التطبب، لا من باب العبادات.

س: أقول: إن لم يصح الحديث عندهم يستدلون بـ«لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»[٢]، أهذا الحديث تدخل فيه الرقية بالماء؟

ج: قد يعمها، لكن ما هو وارد أولى؛ لأن الغالب المعروف عن الصحابة الرقى على نفس المرضى؛ فالرقى على المريض أظهر، ولكن من حيث العموم النفث في إناء أو النفث في طعام، أو ما أشبه ذلك قد يدخل في العموم لا بأس بالرقى، هذا يسمى رقى ولا يسمى تميمة، مثل الحجاب، وما تقدم ألصق.

---

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٥١).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٠).

۞ قوله: (ولا يَكتَوُون) أي: لا يسألون غيرَهم أن يَكوِيَهم، كما لا يسألون غيرَهم أن يَرقِيَهم استسلاماً للقضاءِ وتَلذُّذاً بالبلاءِ[1]. [١٥٢]

[شرح١٥٢] وهذا وإن كان كما أنه ليس له أن يكويهم ليس بجيد، ظاهر النص: لا يسألون ولا يفعلون أيضاً، «لا يَستَرقُونَ ولا يَكتَوُونَ» لم يقل: ولا يسألون، إنما التأويل من الشارح ومن سار على طريقه، الكي هنا يكره ولو من غير سؤال؛ لأن الرسول ﷺ قال: «لا يَكتَوُون» لم يقل: لا يسألون أحداً أن يكويهم؛ أي: لا يطلبون من أحد أن يكويهم قال: «لا يسترقون ولا يكتوون» فنفس الاسترقاء مكروه؛ يعني: تركه أولى إلا عند الحاجة، ونفس الكي كذلك إلا عند الحاجة.

وثبت عنه ﷺ أنه أمر أسماء بنت عميس أن تسترقي لأولاد جعفر[2]، فدل ذلك على جواز الاسترقاء عند شدة الحاجة، فيكون وصف السبعين بهذا الفضل من باب الأولوية لا من باب الكراهة، =

---

(١) ص٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٩)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٠).

....

= ولا من باب التحريم.

فالأولى والأفضل أن لا يسترقي، فإن استرقى فلا حرج، ولهذا أمر ﷺ أن يسترقَى من العين[1].

وفيه: «ولا يكتوون» أي: لا يفعلون الكي عند الاستغناء عنه، أما عند الحاجة إليه فلا كراهة؛ لأن الحاجة تزيل الكراهة، ولهذا في «صحيح البخاري» عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: في كية نار، أو شرطة محجم، أو شربة عسل، وأنهى أمتي عن الكي»[2]، وفي الآخر: «وما أحب أن أكتوي»[3]، هذا يدل على الكراهة فإذا دعت الحاجة إليه زالت الكراهة وقد كوى النبيُّ ﷺ بعض أصحابه[4]، وقد اكتوى خبَّاب ابن الأَرَتّ وغيره[5]، فالمقصود أن الكي جائز عند الحاجة إليه من =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٣٨)، ومسلم: السلام (٢١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٠).

(٣) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٣)، ومسلم: السلام (٢٢٠٥).

(٤) انظر مسلم: السلام (٢٢٠٧) و (٢٢٠٨).

(٥) أخرجه البخاري: المرضى (٥٦٧٢)، ومسلم: الذكر والدعاء (٢٦٨١).

....

= دون كراهة، فإذا استغني عنه ووجد طباً آخر، ودواء آخر، فالأولى تركه لما فيه من التعذيب، فما ينبغي للمؤمن أن يتعجل شيئاً من العذاب إلا عند الحاجة لذلك*.

---

* س: ولكن بعض الأمراض ممكن أن تستعصي على بعض الأطباء.

ج: هذه حاجة، إذا عرف أن هذا الداء الكي أحسن له فلا بأس، الرسول ﷺ قال: «الشفاء في ثلاث» أراد بذلك الدعوة إلى هذا الشيء.

۞ أما الكَيُّ في نفسِه فجائزٌ كما في «الصحيح» عن جابرِ بن عبد الله: أن النبيَّ ﷺ بعثَ إلى أُبيٍّ بنِ كعبٍ طبيباً، فقطعَ له عِرقاً وكَوَاه[١].

وفي «صحيح البخاريِّ» عن أنسٍ: أنه كُوِيَ من ذاتِ الجَنبِ، والنبيُّ ﷺ حيٌّ[٢].

وروى الترمذيُّ وغيرُه عن أنسٍ: أن النبيَّ ﷺ كَوَى أسعدَ بنَ زُرَارَةَ مِن الشَّوْكةِ[٣].

وفي «صحيح البخاريِّ» عن ابنِ عباسٍ مرفوعاً: «الشفاءُ في ثلاثة: شَربَةِ عَسَلٍ، وشَرطَةِ مِحْجَمٍ، وكَيَّةِ نارٍ، وأنا أَنهى عن الكَيِّ»[٤]. وفي لفظ: «وما أُحبُّ أن أَكتويَ»[٥].

قال ابنُ القيِّم: فقد تَضمَّنَت أحاديثُ الكَيِّ أربعةَ أنواعٍ: =

---

(١) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: الطب (٥٧١٩،٥٧٢٠،٥٧٢١).

(٣) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٠).

(٤) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٠).

(٥) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٣)، ومسلم: السلام (٢٢٠٥).

= أَحدها: فِعلُه.

والثاني: عدمُ محبَّتِه له.

والثالث: الثناءُ على مَن تَـرَكَه.

والرابع: النهيُ عنه.

ولا تَعارُضَ بينها بحَمدِ الله، فإنَّ فِعلَه له يدلُّ على جَوازِه، وعَدَمُ محبَّتِه له لا يدلُّ على الـمَنْعِ منه، وأما الثناءُ على تارِكِيه فيدلُّ على أن تركَه أَوْلَى وأفضلُ، وأما النهيُ عنه فعَلَى سَبيلِ الاختيارِ والكراهيةِ(1). [١٥٣]

[شرح١٥٣] هذا كلام قيِّم حسن مطابق للواقع*.

---

* س: قولُه: «الغر المحجَّلون» هل هو خاص بهذه الأمة؟

ج: العلامة فقط، لكن الوضوء لهم وللأمم قبلهم، التحجيل لهذه الأمة لهم خاصة وجوههم فيها نور، وكذلك الأيدي والأرجل فيها نور خاص، يعرفهم بها نبيهم عليه الصلاة والسلام، جعلنا الله وإياكم منهم.

س: الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢] هل هي =

---

(١) ص٦٩.

....

= خاصة أم عامة ؟ يعني هل هي خاصة بأشخاص معينين؟

ج: لا، ليست خاصة، الأمر للأُمة كلها، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الأمر لجميع الأمة ليس خاصّاً.

س: ما رأيك فيمن يدعي أنه يمكنه تحصيل المعارف والعلوم الكثيرة، ولو لم يتعلم؟

ج: هذا من الجهل بسنة الله في عباده، لأن التعلم من التقوى، قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: أطيعوه، ومن جملة الطاعة التعلم والتفقه في الدين، وليس معنى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ بغير تعلم، يعني: اتقوا الله، أي: صلوا وصوموا ونحو ذلك وأنتم تاركو العلوم، وأنتم ما تعلمتم من أحد، ولا تدبرتم القرآن، ولا أخذتم الأحاديث عن رسول الله ﷺ ! هذا خطأ لا يقول به أحد، نفس التعلم من التقوى، فمن اتقى الله بطلب العلم والإخلاص لله في الطلب والمواظبة والمثابرة علَّمه الله.

وهذا مثل قول بعض الناس في قول الله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:١٠٥] فيقول: معناها: أني لا يضرني ضلال الناس ولو لم آمرهم ولا أنهاهم لأني مهتد، وهل يحصل هداية كاملة وأنت مضيع للأمر والنهي؟!

من الهداية التي شرطها الله أن تكون أماراً للمعروف، ناهياً عن المنكر =

....

= حسب طاقتك، وبهذا تكون مهتدياً، أما إذا ضيعت ذلك فيضرك ضلال غيرك، إذا أنت لم تأمر ولم تنه يضرك.

س: هل صح قول أبي بكر عن هذه الآية؟

ج: نعم، رواه أبو داود بسند جيد والإمام أحمد أيضاً في أول «المسند»[1].

س: ما هو العلم الواجب؟

ج: ما لا يسع العبد جهله، أي: يتعلم ما أوجب الله عليه وما حرم الله عليه حتى يكون على بصيرة، وأعظم ذلك توحيد الله فيتعلم الشهادتين.

وقد جمع ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، في «ثلاثة الأصول»، فأشار إلى هذا المعنى بعبارات واضحة، يأتي الكلام عليها إن شاء الله في الدرس الآخر.

المقصود أن العلم الواجب هو الذي لا يسع العبد جهله من حيث يعرف ما أوجب الله عليه، وما حرم الله عليه على بصيرة حتى يعبد الله على بصيرة.

س: حديث «فإذا رأيت هوى متبعاً وشُحّاً مُطاعاً... »؟

ج: حديث جيد في الجملة؛ رواه أبو داود وغيره، قال: «إذا رأيتَ شُحّاً =

---

(١) أبو داود: الملاحم (٤٣٣٨)، وأحمد (١/ ٢).

....

= مطاعاً، وهوًى متَّبعاً، ودُنيا مُؤثَرة، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه، وأمراً لا يدان لك به؛ فعليك بخاصة نفسك بنفسك»[1]، أي: رأيت أموراً خمسة: شحّاً مُطاعاً، وهوًى متَّبَعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وأمراً لا يدانِ لكَ به؛ أي: لا طاقة لك به؛ أي: إذا كان لا طاقة عنده ليتكلم وغير معلوم.

س: ما معنى «ودَعْ عنكَ العوامَّ»، هل هم الناس؟

ج: أي: عامة الناس، أي: اشتغل بنفسك، أي: التزم بنفسك، من جهة إلزامها الحق وكفها عن الباطل، أما الهجرة فهذا معروف من الأدلة الأخرى.

---

(١) أخرجه الترمذي: التفسير (٣٠٥٨)، وأبو داود: الملاحم (٤٣٤١)، وابن ماجه: الفتن (٤٠١٤).

۞ قوله: «ولا يَتطيَّرون» أي: لا يتشاءَمونَ بالطيورِ ونحوِها.

وسيأتي بيانُ الطِّيَرةِ وما يتعلَّق بها في بابِها إن شاءَ الله تعالى[1]. [١٥٤]

[شرح١٥٤] أي: أن المؤلف عقد لها باباً خاصاً، قال: باب ما جاء في التطير؛ والتطير كما تقدم: هو التشاؤم من مرئيات أو مسموعات، ومن صفات أهل الجنة أنهم لا يتطيرون، أي: لا يتشاءمون بالمرئيات أو المسموعات التشاؤم الذي يضرهم ويردهم عن حاجاتهم.

أما الفأل؛ فإن المؤمن يحب الفأل كما كان النبي ﷺ يحب الفأل[2]: وهو أن يسمع كلمة طيبة فيسر بها، وينشرح لها صدره، وهذا ليس من الطيرة في شيء، ويأتي في هذا الكلام إن شاء الله.

مثل الإنسان المريض يقال له: يا مشافى يا معافى يا سليم، فيفرح بهذه الكلمة، أو الإنسان الذي يلتمس الضالة، فيقول: يا واجد يا موفق يا مهدي أو ما أشبه ذلك فليس في هذا شيء، فهو من باب الفأل. =

---

(١) ص٦٩.

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢٢٢٣).

....

= المقصود من التطير إذا كان إنسان مثلاً خرج مسافراً فرأى إنساناً سيئ الخلقة، أو وافى حيواناً سيئ الخِلقة، أو سمع صوت غراب، أو كلاماً غير لائق؛ فتشاءم بهذا ورجع عن حاجته؛ فهذا من باب التطير*.

*** س: إذا تعسر على الإنسان أمرٌ فرجع عنه؛ فهل يُعدُّ هذا من باب التطير؟**

ج: ليس ذلك من التطير ما دام تعسر عليه؛ فيلتمس غيره.

۞ قوله: (وعلى ربِّهم يتوكَّلُون) ذكرَ الأصلَ الجامعَ الذي تفرَّعَت عنه هذه الأفعالُ، وهو التوكُّلُ على الله، وصِدقُ الالتجاءِ إليه، والاعتمادُ بالقلب عليه، الذي هو خلاصةُ التفريدِ، ونهايةُ تحقيقِ التوحيدِ الذي يثمرُ كلَّ مقامٍ شريفٍ من المحبَّةِ والخوفِ والرجاءِ، والرضَا به ربّاً وإلهاً، والرضَا بقضائِه؛ بل ربما أوصَلَ العبدَ إلى التلذُّذِ بالبلاءِ وعَدِّهِ من النَّعماءِ، فسبحانَ مَن يتفضَّل على من يشاءُ بما يشاءُ، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ(١). [١٥٥]

[شرح١٥٥] كثير من الناس قد يغلط في التوكل، ويحسب أنه ينافي الأسباب؛ وليس الأمر كذلك، فالتوكل لا ينافي الأسباب؛ بل نفس الأسباب من التوكل، فالتوكل شيء عظيم محبوب لله، مأمور به؛ بل واجب على المسلم، وهو أي: التوكل يجمع أمرين:

الأمر الأول: الاعتماد على الله، والإيمان بأنه مسبب الأسباب ومدبر الأمور، وأن كل شيء بيده من الشفاء والمرض، والصحة والسقم، وقضاء الحاجة، وعدم ذلك كل ذلك بيده ﷻ. =

---

(١) ص٦٩-٧٠.

....

= والأمر الثاني: تعاطي الأسباب والأخذ بها من الطاعات التي هي أسباب الجنة، وترك المعاصي التي تركها من أسباب الجنة، والأخذ بالأسباب التي تنفع في الدنيا من التجارة، أو الحراثة، أو الفلاحة، أو النجارة، أو الخرازة، أو غيرها من الأسباب التي يحتاجها في الدنيا حتى يستغني بها عن الحاجة إلى الناس.

فالتوكل يجمع الأمرين؛ يجمع ثقة بالله، واعتماداً عليه، وإيماناً بأنه مسبِّب الأسباب، وأنه مدبر الأمور، وأنه قد سبق علمه بكل شيء، وقدر كل شيء؛ فهو يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف يعلم هذا، وهذا أمر.

والأمر الثاني: هو الأخذ بالأسباب، وأن هذا الاعتماد على الله، وهذه الثقة به لا تمنع الإنسان من الأخذ بالأسباب؛ بل ترك الأسباب نقص في العقل وقدح في الشرع، ولا يمكن أن تكون الأسباب كذلك: نقص في العقل وقدح في الشرع، والاعتماد عليها كذلك؛ فلا يعتمد عليها ولا يسلبها ولا يعطلها؛ بل يأخذ بها، ويعمل بها من غير اعتماد عليها، ومن غير التفات إليها؛ بل مع =

....

= اعتماده على الله، وعلمه وإيمانه بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

فإذا ذهب إلى الطبيب لا يظن أن هذا الطبيب هو الشافي المعافي؛ بل أمره إلى الله ﷻ؛ فأنت مأمور بالطبيب: «تَداوَوْا، ولا تَداوَوْا بحرام»[1]؛ ولكن ليس الشفاء بيد الطبيب؛ إنما هو من جنسه إذا تسبب وعمل بما يستطيع وبما يظهر له من علمه فقد ينفع وقد لا ينفع.

كذلك إذا ذهب إلى من يرقيه من أهل العلم أو من طلبة العلم أو من الراقين المعروفين، فلا يظن أن هذه الرقية هي الشافية المعافية؛ بل هي أسباب، فقد تنفع الرقية وقد لا تنفع الرقية، وقد ينفع الكي وقد لا ينفع الكي، وقد تنفع العملية التي أجراها الطبيب وقد لا تنفع، فالأمور بيد الله ﷻ؛ فإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله؛ لأن الله جعل لكل داء دواء، فإذا وفق الطبيب أو المعالج أو الكي لدواء الداء؛ برئ بأمر الله إذا كان الأجل لم يحضر.

فالحاصل أن الأمور بيد الله ﷻ، وأن الأسباب لا تنافي اعتماده =

---

(١) أخرجه أبو داود: الطب (٣٨٧٤).

....

= على الله، وإيمانه بأنه مسبب الأسباب؛ بل هذا شيء وهذا شيء؛ فالاعتماد على الله شيء عظيم، ومقتضى الإيمان بأنه رب العالمين، وأنه مسبب الأسباب، وأنه مقدر كل الأشياء، فمن مقتضى ذلك التوكل عليه، والثقة به، والاعتماد عليه ﷻ.

والإيمان الصادق واليقين الجازم أنه لن يفوتك شيء مما كتبه الله لك، ولن يصيبك شيء مما كتبه الله عليك؛ بل أنت عالم بهذا وموقن؛ ولكنك مأمور بالأسباب؛ فإن الأشياء قد تعلق على أسبابها؛ فأنت مأمور بهذه الأسباب التي تجلب الخير، وتدفع الشر في صحتك أو في أهلك أو في أولادك أو في مزرعتك، أو ما أشبه ذلك.

فأنت تلاحظ أسباب نمو الزرع وسلامته، وتلاحظ أسباب سلامة الحيوانات ونموها، وما أشبه ذلك، وتلاحظ أسباب صحتك وسلامة صحتك وسلامتك من الأمراض؛ ولكن لا عن اعتماد على الأسباب، ولا عن الإعراض عن الله؛ بل أنت مع الله، تؤمن بأنه مسبب الأسباب، وأنه على كل شيء قدير، وأنه قد سبق في علمه موتك وحياتك، وما يصيبك وأنت في بطن أمك وقبل =

....

= ذلك، فإذا توكل الإنسان على الله على هذا المعنى فقد أصاب الشرع، وإذا توكل على الله بمعنى آخر، وهو أنه يعطل الأسباب، فيبقى في بيته، أو في المسجد، لا يتعاطى الأسباب؛ بل يتركها ويقول:إن هذا هو الشرع؛ فقد غلط في ذلك.

أما لو رأى إنسان أن المعالجة لا تناسبه، ورأى أنه يتلذذ بهذا المرض، ويرجو فيه عافية الله وتكفيره للسيئات، وحط الخطايا، أو رأى الأطباء فيهم من الشر ما فيهم، وفي طبهم من الشر ما فيه، ورأى أن يبقى على مرضه، وألا يعالج؛ فلا حرج عليه ولا بأس؛ فالتداوي ليس بواجب؛ بل فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه مباح وتركه أفضل.

والثاني: أنه مباح وتركه مباح، على السواء.

والثالث: أن فعله أفضل، وهو قول الجمهور.

والرابع: أنه متأكد جداً حتى يداني به الوجوب،وهو قول آخر قاله بعض الحنفية وجماعة.

فالحاصل أن الأدوية والتداوي والعلاج ما هي واجبة؛ إنما =

....

= قصاراها أن تكون مستحبة ومتأكدة، وليست بواجبة؛ اللهم إلا في بعض الحالات القليلة التي يعلم فيها أنه إذا ترك الدواء فيها فقد أعان على قتل نفسه؛ كالمقطوع الذي يقطع ويحتاج إلى حسم الدم وإيقافه، أو ما أشبه ذلك؛ فقد يقال هنا بالوجوب في بعض الحالات التي يعلم يقيناً أنه متى أهملها فقد تسبب في هلاك نفسه.

فالأشياء التي يقرها الأطباء ويعلم الناس أن علاجها سبب للسلامة، وأن ترك ذلك من أسباب الهلاك فينبغي للمؤمن في هذه الحالة أن يبادر، وأن يعالج؛ حتى لا يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]*.

---

* س: هل القول الأول في التداوي أنه مباح؟

ج: نعم؛ **الأول**: أنه مباح وتركه أفضل.

الثاني: متساوي الطرفين.

الثالث: أنه مستحب؛ لقول الجمهور من قوله ﷺ: «تداووا، ولا تَداوَوْا بحرام»، وأنه رقى عليه الصلاة والسلام.

الرابع: تأكيده حتى يداني الوجوب؛ يعني: يتأكد جداً حتى يقارب الوجوب. =

....

= فالحمد لله؛ فالأصل الإباحة والسلامة حتى تعلم أن فيه ممنوعاً.

س: بالنسبة لأدوية غير الطبيب، هل يوجد أدوية عربية ذكرت في أحاديث، فيستغنى بها عن الطبيب؟

ج: قد يحتاج إلى الطبيب في ترتيبها وفي كيفية استعمالها؛ لأن العامي قد لا يعلم كيفية استعمالها، فما جاء في الأحاديث أو ما جاء عن السلف الصالح فهذا نوع من الطب؛ لكن بعضه قد يحتاج إلى ترتيب وتنظيم من الأطباء العارفين المجربين له، وبعضه لا يحتاج شيئاً؛ فبعضه مبين مثل الرقى التي بينها النبي ﷺ، والتعوذات كلها من أسباب العلاج، وكلها من أسباب السلامة.

وكذا الأوراد أو الأذكار الشرعية فهي علاج لذنوبك وسيئاتك، وبعضها علاج لحفظك من الشر؛ مثل قوله ﷺ: «من تصبَّح بسبع تمراتٍ عجوةً، لم يضرُّه سِحرٌ ولا سُمّ»[1]، وفي بعض الروايات: «من عجوة المدينة»[2]، وفي بعض الروايات: «مما بين لابتيها»[3]، هذا دواء منصوص عليه ما يحتاج إلى مراجعة الأطباء.

كذلك ما جاء في الحديث من قراءة المعوِّذتين و(قل هو الله أَحد) ثلاث =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٦٨)، ومسلم: الأشربة (٢٠٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود: الطب (٣٨٧٥).

(٣) وهي عند مسلم (٢٠٤٧)(١٥٤).

....

= مرات بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب، وأنها سبب للوقاية من كل شيء[١]، وكذلك آية الكرسي، وأنها سببُ الوقاية من الشيطان[٢]، وأشياء نص عليها النبي ﷺ، فهذه ما تحتاج لأحد.

س: وكذا الحبة السوداء؟

ج: الحبة السوداء قد تحتاج إلى تنظيمها، كيف تستعمل، من أهل الطب العارفين بها، هي شفاء؛ لكن كيف تستعمل؟ هل تستعمل عشر حبات أم عشرين حبة؟ وما قدر استعمالها؟ هل يوجد معها شيء وهل يوضع عليها شيء؟ فهي قد تحتاج الأطباء المجربين.

س: الأطباء المعاصرون هؤلاء أم الطبيب العربي؟

ج: أيُّ طبيب.

س: بعضهم لا يعرف.

ج: بعضهم مقلد يعمل ما يعمله الجهلة، وبعضهم عنده بصيرة يستطيع أن يعطي فائدة.

س: هل المقصود بالتمرات: تمر العجوة بالذات أو من أي تمر كان؟

ج: جاء في النصوص ذكر العجوة وجاء في بعضها: «مما بين لابتيها» =

---

(١) أخرجه أبو داود: الأدب (٥٠٨٢)، والترمذي: الدعوات (٣٥٧٥)، والنسائي: الاستعاذة (٥٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري: فضائل القرآن (٥٠١٠).

....

= رواه مسلم في «الصحيح»[1] أي: من جميع تمر المدينة، وجاء في بعض النصوص «من تمر» فقط بإطلاق؛ فيرجى أن التمر كله يحصل به المقصود؛ لكن إذا كان من تمر المدينة يكون أبلغ وأكمل؛ لأنه قد يكون لجوها، واستيطان النبي عليه الصلاة والسلام فيها، أو لسابقتها، وقد يكون لها سر خاص، الله أعلم به؛ مثل ما نص عليه النبي ﷺ، فإذا كان منها يكون أكمل في هذا الدواء.

س: الذي رأى حادثاً معيناً في طريقه وتشاءم منه ثم ارتد عن السفر، فهل هذا من الطيرة؟

ج: هذا من الطيرة دون شك، ولا يجوز هذا، إذا رأى ناساً متصادمين أو أمواتاً فتشاءم ورجع، فهذا من الطيرة.

---

(١) برقم (٢٠٤٧)(١٥٤).

۞ واعلَم أن الحديثَ لا يدلُّ على أنهم لا يباشرون الأسبابَ أصلاً كما يظنُّه الجَهلَةُ؛ فإن مباشرةَ الأسبابِ في الجملةِ أمرٌ فِطريٌّ ضروريٌّ لا انفِكاكَ لأحدٍ عنه، حتى الحيوانِ البَهيمِ؛ بل نفسُ التوكُّلِ مباشرةٌ لأعظمِ الأسبابِ ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي: كافيه؛ إنما المرادُ أنهم يتركون الأمورَ المكروهةَ مع حاجتِهم إليها توكُّلاً على الله كالاسترقاءِ والاكتواءِ.

فتركُهم له ليس لكونِه سبباً ؛ لكن لكونِه سبباً مكروهاً، لا سيما والمريضُ يتشبَّثُ بما يظنُّه سبباً لشفائه بخيطِ العنكبوت؛ أما نفسُ مباشرةِ الأسبابِ والتداوي على وجهٍ لا كراهيةَ فيه فغيرُ قادحٍ في التوكُّلِ؛ فلا يكونُ تركُه مشروعاً؛ كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما أنزل الله من داءٍ إلا أنزلَ له شفاءً»[1] .

وعن أُسامةَ بنِ شَريكٍ قال: كنتُ عندَ النبيِّ ﷺ وجاءتِ الأعرابُ، فقالوا: يا رسولَ الله، أنتداوَى؟ فقال: =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٧٨).

= «نعم يا عبادَ الله تَداوَوا، فإنَّ اللهَ ﷻ لم يَضَعْ داءً إلا وَضَعَ له شفاءً غير داءٍ واحدٍ» قالوا: ما هو؟ قال: «الهَرَم». رواه أحمد[1]*.

قال ابن القيِّم: فقد تضمَّنت هذه الأحاديثُ إثباتَ الأسبابِ والمسبَّباتِ[2]. [١٥٦]

[شرح١٥٦] المسبَّب: هو الناشئ عن السبب؛ أما المسبِّب: فهو الله ﷻ؛ المسبِّب هو الفاعل، والمسبَّب هو الناشئ عن السبب كشفاء من المرض ونحو ذلك.

*** س: المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها توكلاً على الله كالاسترقاء والاكتواء؟**

ج: هذا مكروه إلا عند الحاجة، فإذا اشتدت الحاجة إليه فعل، ولذلك أَمر النبي ﷺ أسماء أن تسترقيَ لأبناء جعفر[3]، وأمر عائشة أن تسترقي من =

---

(١) أحمد (٤/ ٢٧٨)، وأخرجه الترمذي: الطب (٢٠٣٨)، وأبو داود: الطب (٣٨٥٥)، وابن ماجه: الطب (٣٤٣٦).

(٢) ص٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي: الطب (٢٠٥٩)، وابن ماجه: الطب (٣٥١٠).

....

= العين[١].

الحاصل أنه إذا كان له حاجة شديدة جاز الشيء المكروه، والاسترقاء مكروه؛ لأنه حاجة إلى الناس، فهو سؤال وطلب، وسؤال الناس في نفسه مذموم، بخلاف من يرقيك ابتداء منه دون سؤال منك، وفي معنى الحديث «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل»[٢] خلاف الكي فهو مكروه؛ فهو نوع من التعذيب، وفي الحديث السابق: «ما أحب أن أكتوي»[٣]، و«أَنهى أُمتي عن الكيّ»[٤]، ومع ذلك فهو مباح في الجملة: «الشفاءُ في ثلاث، كية نار، وشرطة محجم، وشربة عسل»[٥]، فالحاصل أنه مكروه عند عدم الحاجة إليه، إذا احتيج إلى الشيء زالت الكراهة.

س: حديث: لم يجعل الله شفاءكم فيما حرم عليكم، ما درجة صحته؟

ج: رواه البيهقي عن أم سلمة[٦]، ولا أعرف حاله؛ لكن يغني عنه أحاديث أخرى، «تَداوَوْا ولا تداووا بحرام»[٧]، وفي الخبر: «إنها ليست =

(١) أخرجه البخاري: الطب (٥٧٣٨)، ومسلم: السلام (٢١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم: السلام (٢١٩٩).

(٣) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٣)، ومسلم: السلام (٢٢٠٥).

(٤) أخرجه البخاري: الطب (٥٦٨٠).

(٥) قطعة من الحديث السابق.

(٦) في «السنن الكبرى» (١٠/ ٥).

(٧) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨).

....

= بدواء؛ ولكنها داءٌ» رواه مسلم[1].

س: إذا اضطر إلى التداوي بهذا المحرم لتطهير الجروح مثل اللومي؟

ج: الظاهر ما يكون ضرورة، ما يسمى ضرورة؛ لأن التطهير يكون بأشياء كثيرة غير محرمة، نفس اللومي هذا المعروف، وغيره كالأشياء الحوامض فهي تطهر.

س: بعض الأمراض العصرية تعالج بأشياء محرمة شرعاً؟

ج: على كل حال، الأصل ألا يتداوى بحرام، إلا إذا اضطر لشيء علم أن غيره لا يكفي، فالضرورة لها أحكام ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩]، وقد ذكر الأطباء منها شيئاً مثل: إسعاف الدم، فالدم أصلاً حرام ـ المسفوح لا يذهب إليه ـ لكن إذا جاءت حاجة إلى الإسعاف أسعف بحقنة من الدم للضرورة.

س: إذا كان الإمام يقرأ وأتى ذكر الرسول ﷺ، فهل يجوز أن أصلي عليه وأنا في الصلاة؟

ج: الظاهر أن تركه أولى؛ لأن هذا محل إنصات؛ لكن إذا وقف فلا بأس أن تصلي أو تسبح عند التسبيح أو تدعو عند الدعاء، كان النبي ﷺ في صلاة الليل إذا مر بآية دعاء دعا، و إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح[2]؛ أما في =

---

(١) مسلم: الأشربة (١٩٨٤).

(٢) انظر ما أخرجه مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٢)، وما أخرجه أحمد (٦/ ٩٢).

....

= الفريضة فالأمر غير ذلك؛ ولهذا أرجح القولين أنه لا يفعل ذلك في الفريضة.

وقال بعضهم: يفعل هذا ولو في الفريضة، فإذا مرت آية تسبيح سبح، أو آية دعاء دعا، أو آية فيها ذكر النبي ﷺ صلى عليه؛ لكن هذا أولى أن يكون في النافلة، فلم يكن النبي ﷺ يفعله في الفريضة؛ أما في النافلة فهو المستحب؛ فإذا مرَّ ذكرُ النبي ﷺ صلى عليه، وإذا مر عليه تسبيح العزيز الحكيم التواب الرحيم، قال:سبحانه عز وجل، وإذا مر ذكر الجنة قال: اللهم اجعلني من أهلها، اللهم أدخلنيها، وما أشبه ذلك، أو ذكر النار قال:اللهم عافني منها، اللهم اجعلني من غير أهلها، أو ما أشبه ذلك، فلا بأس؛ فهذا ثابت في النافلة؛ أما في الفريضة فالأولى عدمه؛ لأن النبي ﷺ لم يحفظ عنه أنه فعله في الفرائض.

س: هل المراد بالاسترقاء هنا: أن يطلب من غيره أن يرقيه؟

ج: نعم، هذا هو الاسترقاء.

س: وهل هذا فيه نص على الإنكار فيه؟

ج: نعم هذا هو؛ ولم تدع الضرورة للكي، فيمكن أخذ أسباب غير الكي إذا تيسرت هذه الأسباب، ومشهور عند العامة عند الأطباء: آخر الطب الكي، المقصود أن المعنى صحيح؛ فينبغي أن نقدم عليه غيره إذا تيسر.

س: يقول ﷻ ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ =

....

= [الأعراف:٤٦] من هم؟

ج: الله أعلم.

س: بعض الألفاظ المشهورة عند العامة عند نهاية بعض الآيات مثل: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:٨] قال: بلى، ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك:٣٠] يقول: يأتي به الله، فهل ورد بهذا شيء صحيح؟

ج: لم يأت عند قوله: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ شيء صحيح، لا نعرف أنه ورد به شيء، يأتي بعض الناس بأحاديث؛ لكن لا نعرف لها أصلاً؛ أما ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ و﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] ورد فيه حديث ضعيف من طريق أعرابي، غير معروف العدالة[١]؛ أما في آخر القيامة ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة:٤٠]، فقد ورد فيه حديث جيد عن النبي ﷺ قال: «سبحانك فبَلَى» فيستحب إكماله، أي: يقال: سبحانك فبلى.

س: من روى هذا الحديث؟

ج: ذكره أبو داود وغيره وإسناده جيد[٢]، وذكره ابن كثير في عقب تفسير سورة القيامة، وذكر أحاديث أخرى؛ لكن حديث الأعرابي، فيه ذكر =

---

(١) أخرجه أبو داود: الصلاة (٨٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود: الصلاة (٨٨٤).

....

= سور ثلاث: القيامة والتين والمرسلات؛ ولكنه ضعيف؛ أما الحديث الآخر جاء في سورة القيامة خاصة فهو لا بأس به.

س: عند الآية الكريمة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠] فيقول الساجد: بلى أنا أعرف الرحمن؟

ج: لم يرد في هذا شيء، ولا هو مستحب.

س: إذا قرئ في الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قيل: استعنا بالله؟

ج: قد تقدم أن هذا ليس له أصل، إذا قرئ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: استعنا بالله، ولا يقبل هذا؛ لأنه ما حفظ عن النبي ﷺ أنه كان يقول هذا.

وبعضهم إذا قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قال: اللهم اغفر لي وارحمني ثم قال: آمين؛ فهذا ليس له أصل، فآمين هي دعوة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وهي دعوة موجودة.

س: سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ إذا قرأها سبَّح؟

ج: ليس له أصل؛ أما إذا فعله من دون قصد في قراءته العادية يعني: في خارج الصلاة من دون قصد فالأمر سهل؛ لكن كونه يواظب على هذا الشيء فإن هذا ليس له أصل.

۞ وإبطالَ قولِ مَن أنكرَها والأمرَ بالتداوي، وأنه لا يُنافي التوكُّلَ، كما لا ينافيه دفعُ داءِ الجوع والعطشِ والحرِّ والبردِ بأضْدادِها؛ بل لا تَتِمُّ حقيقةُ التوحيدِ إلا بمباشرةِ الأسبابِ التي نَصَبها الله مقتضياتٍ لمسبَّباتِها قدراً وشرعاً(١). [١٥٧]

[شرح١٥٧] وهذا لا يخفى أن الأسباب الشرعية بعضها واجب، وبعضها مستحب، وإنما الكلام هنا عن تعاطي الأسباب أن التداوي على أربعة أمور؛ أي: التداوي بالأمور الحسية.

أما الأسباب الشرعية التي أمر الله بها، هذه فبعضها واجب، مثل أداء الفرائض وترك المحارم؛ فهذه واجبة؛ لأنها من أسباب دخول الجنة.

وبعضها مستحب، مثل النوافل والصدقات والتطوع وأشباه ذلك والتسبيح والتهليل، وما أشبه ذلك؛ فهذه أسباب مشروعة مستحبة فيها خير عظيم؛ لكن حين تطلق كلمة التداوي فالمقصود بها الأمور الحسية المعروفة أي: الطب وهو الذي جاء على أربعة أنحاء. =

---

(١) ص٧٠.

....

= أما الأسباب الشرعية فهي قسمان:

أسباب واجبة: كأداء الفرائض، وترك المحارم.

وأسباب مستحبة: كأداء النوافل وترك المكروهات*.

* س: إذا كان عند الإنسان مرض يعطله عن العبادة، ويعطله عن أداء واجبات العبادة، ويعلم علاجه؛ لكنه يتركه، فما الواجب؟

ج: الظاهر في هذا أنه متأكد في حقه العلاج، لأمرين:

الأول: لما في العلاج من رجاء الخير، والقيام بأمر الله، والدعوة إلى الله، وحضور جماعة المسلمين.

والأمر الثاني: ليسلم من إيذاء الأولاد والزوجات ومن إتعابهم؛ فإذا لم يترتب على هذا المرض إتعاب أحد فله ذلك.

۞ وأنَّ تعطيلَها يقدحُ بمباشرتِه في نفسِ التوكُّلِ[1] كما يقدحُ في الأمرِ والحكمةِ، ويضعِفُه من حيث يظنُّ معطِّلُها أن تركَها أقوى من التوكُّلِ[2]، فإنَّ تَرْكَها عَجزٌ ينافي التوكُّلَ الذي حقيقتُه اعتمادُ القلبِ على الله في حصولِ ما ينفعُ العبدَ في دينِه ودنياه، ودَفعِ ما يضرُّه في دينه ودنياه، ولا بدَّ مع هذا الاعتمادِ من مباشرةِ الأسبابِ، وإلا كان معطلاً للأمرِ والحكمةِ والشرعِ، فلا يَجعَلُ العبدُ عجزَه توكُّلاً ولا توكُّله عجزاً[3].»[4] [١٥٨]

[شرح١٥٨] أي: إذا باشر الأسباب كان معطلاً للأمر، كأن ترك =

---

(١) قال سماحة الشيخ: أي: بمباشرة التعطيل في نفس التوكل، ولو قرنت لكان أظهر للمعنى، أراد الشارح بهذا تأكيد الإيضاح، وبعض التأكيد ليس بجيد.

(٢) قال سماحة الشيخ: لعلها: أقوى للتوكل، فتكون (من) زائدة؛ يظن معطلها أن تعطيلها كان أقوى للتوكل، هذا معنى الكلام. ومن الممكن أن أصلها (في)، فصحفت العبارة (للتوكل)، و(أقوى في التوكل) أقرب، فاللام بعيدة. أو لعل أصلها (في) وصحفت إلى (من).

(٣) هذا كلام ابن القيم رحمه الله.

(٤) ص٧٠.

....

= الفرائض مثلاً، والحكمة التي شرع الله من أجلها أوضح الأسباب؛ لأنها يدفع الله بها البلاء، فيشبع بها الجائع، ويروي الله بها الظمآن، ويكتسي بها العاري، يعني: يعطل الحكمة من هذه الأشياء، ومعطل للشرع الذي أمر بهذه الأشياء التي ينبغي أن يفعلها الإنسان من تداوٍ وأكل وشرب ومراعاته لصحته، ومن طاعات لدخول الجنة وترك للمعاصي والنجاة من النار.

فمن ترك هذه الأسباب كلها فقد عطل الأمر والنهي، وعطل الشرع والحكمة، فالأسباب متنوعة، وترك الطاعات تعطيل للشرع، سواء أكانت مستحبة أم كانت واجبة، ترك الأسباب التي تنفع من دواء يحتاج إليه، من لبس الثوب الجيد الثخين في الشتاء، ولبس الملابس المناسبة كذلك، وتبريد الماء، أو تسخين الماء البارد، إلى غير هذا، فكلها أسباب لها حكمة، فإذا عطلها فقد عطل الحكمة التي خلقت لها.

وقوله: (فلا يجعَل عجزَه توكُّلاً ولا توكُّلَه عجزاً) هاتان كلمتان قد تشكلان، فما معناهما؟ =

....

= المعنى ـ والله أعلم ـ: أنه لا ينبغي للمؤمن أن يجعل عجزه توكلاً، أي أن يجعل عدم قيامه بالأسباب وعدم عنايته بها توكلاً.

(ولا توكُّلَه عجزاً) أي: إذا بطلت القوى وانتهى كل شيء، قال: أنا توكلت على الله، فلا يعدُّ مثل هذا توكلاً!! إنما ينبغي له أن يجمع بين الأمرين، فيتوكل دائماً، ويتعاطى الأسباب دائماً، فيجمع بينهما، أي: يعتمد على الله دائماً، ويصرف إليه ﷻ مع مباشرة الأسباب.

فلا يكون ممن إذا انتهى كل شيء وعجز عن كل شيء، قال: أنا الآن متوكل على الله، فينبغي له أن يتوكل على الله، وهو قادر وقوي، فيتوكل على الله، ولو ضعفت الأسباب، فيتوكل على الله جل وعلا ويأخذ بالأسباب، ولا ينبغي له أن يجعل عجزه وضعفه وكسله توكلاً، فيقول: لا أفعل كذا، ولا أفعل كذا وكذا، وكأن يقول: لن أعمل بالمزرعة، ولن أتعاطى بالتجارة فأنا متوكل؛ فمثل هذا إنما هو عجز وما هو بتوكل*.

* س: بعض المحلات التي يطلب فيها العلاج كلها منكرات ومعاص =

....

= ونساء سافرات وكلها بلايا؟

ج: قد يكون له عذر بذلك إذا صبر على المرض، ويؤجر على ذلك بسبب قصده الصالح، أنه إذا ذهب البلاء فقد يصاب في دينه أو عقيدته لما يشاهده، فيعذر في هذا؛ لأنه ترك أسباباً مباحة؛ لئلا يقع في محرمات، فالتداوي مستحب، وهذا الأصلح، لكن قد يفضي به هذا التداوي إلى أشياء لا تحمد عقباها، لأن اللواتي يباشرنه نساء، وقد يكن جميلات، وقد لا يأمن على نفسه من الميل إليهن، فالحاصل أنه إذا رأى أن العلاج فيه مشقة عليه أكثر، وأن خطره أعظم، فيكون تركه حينئذ أفضل.

س: وهل الأفضل له أن يصبر على المرض؟

ج: إذا كان يخشى من العلاج شراً أكبر، نسأل الله العافية.

* * *

باب الخوف من الشرك

۞ لما كان الشِّركُ أعظمَ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به؛ ولهذا رتَّب عليه من عقوباتِ الدُّنيا والآخرةِ ما لم يُرتِّبه على ذنبٍ سِواهُ، من إباحة دماءِ أهلِه وأموالهم، وسَبْيِ نسائهم وأولادِهم، وعدمِ مغفرتِه من بين الذنوبِ إلا بالتوبةِ منه.

نبَّه المصنِّفُ بهذه الترجمةِ على أنه ينبغي للمؤمنِ أن يخافَ منه، ويحذَره، ويعرفَ أسبابَه ومبادئَه وأنواعَه؛ لئلا يقعَ فيه؛ ولهذا قال حذيفةُ: كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخيرِ، وكنتُ أسألُه عن الشَّرِّ مخافةَ أن أقعَ فيه. رواه البخاري[1]. [١٥٩]

[شرح١٥٩] وأيضاً رواه مسلم في «الصحيح»؛ فالحديث رواه الشيخان[2]، وهو حديث طويل له شأن، وهو حديث جليل عظيم، وفي آخره لما سأله: كنا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال النبي ﷺ: «نعم» ثم قال حذيفة: وهل =

---

(١) ص٧٢.

(٢) البخاري: المناقب (٣٦٠٦)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٧).

....

= بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ». قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قوم يهدون بغير هَديي، ويَستَنُّون بغير سُنَّتي، تَعرِف منهم وتُنكِر». قلت: صِفهُم لنا يا رسول الله. قال: «دعاةٌ على أبواب جهنَّم من أجابَهُم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله، صِفهُم لنا. قال: «هم من جلدَتِنا ويتكلمون بألسنتِنا». قلت: فما تأمُرُني إن أدرَكَني ذلك. قال: «تلزَمُ جماعةَ المؤمنين وإمامَهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: «فاعتزِل تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ على أصلِ شجرةٍ، حتى يأتيَكَ الموتُ وأنت على ذلك»[1].

وهو حديث جليل عظيم، وهو في «الصحيحين» جميعاً، وهو في كتاب الفتن الجزء الأخير، الجزء الثالث عشر من «فتح الباري»*.

---

* س: ما معنى «تعض على أصل شجرة»؟

ج: يعني: ولو كنت وحدك، فإن لم توجد جماعة للمسلمين فلا تخالط الناس على باطلهم، بل تعتزلهم وتثبت على الحق ولو أن تموت على ذلك، وهذا واضح.

---

(١) أخرجه البخاري: المناقب (٣٦٠٦) و(٧٠٨٤)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٧).

۞ وذلك أنَّ مَن لم يَعرِف إلا الخيرَ قد يأتيه الشرُّ ولا يعرف أنه شَرٌّ، فإما أن يقعَ فيه، وإمّا أن لا ينكِرَه كما ينكِرُه الذي عَرَفه، ولهذا قال عمرُ ابن الخطاب ﷺ: إنما تُنقَضُ عُرَى الإسلامِ عُروةً عُروةً إذا نشأَ في الإسلامِ من لم يَعرِفِ الجاهليةَ[1]. [١٦٠]

[شرح١٦٠] الله المستعان، هذا من أسباب الفساد والشر أن الإنسان لا يعرف الجاهلية ولا يعرف الشر، فيخيل إليه أن كل شيء خير؛ فهذا يفيد أنه ينبغي للإنسان أن يعرف هذا وهذا، وأن لا يقتصر على الخير فقط ولا على الشر فقط، بل يتعلم هذا وهذا؛ يتعلم حدود الشرك والمعاصي التي حرمها الله عليه حتى يجتنبها، ويتعلم ما أوجبه الله عليه وما شرعه حتى يأتي به؛ فيكون المؤمن مجاهداً في هذا وفي هذا؛ فيتعلم ما شرع الله له وما أوجبه عليه، حتى يؤديه على بصيرة، ويتعلم ما حرمه الله عليه من الشرك وما دونه، حتى يدعَه على بصيرة، وحتى لا يلتبسَ عليه يوماً ما.

---

(١) ص٧٢.

۞ قال شيخُ الإسلامِ: وهو كما قال عمر؛ فإن كمالَ الإسلامِ هو الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكَرِ، وتمامُ ذلك بالجهاد في سبيل الله، ومن نشأ في المعروف فلم يَعرِف غيرَه، فقد لا يكون عندَه من العلمِ بالمنكرِ وضَرَرِه ما عندَ مَن عَلِمَه، ولا يكون عندَه من الجهاد لأهلِه ما عند الخبيرِ بهم؛ ولهذا يوجد عند الخبيرِ بالشرِّ وأسبابِه ـ إذا كان حَسَنَ القصدِ ـ من الاحترازِ عنه والجهادِ لهم ما ليس عندَ غيرِه.

ولهذا كان الصحابةُ أعظمَ إيماناً وجهاداً ممن بعدَهم، لكمالِ معرفَتِهم بالخيرِ والشرِّ، وكمالِ محبَّتِهم للخيرِ وبُغضُهم للشرِّ، لما علموه من حُسنِ حالِ الإيمانِ والعملِ الصالحِ وقُبحِ حالِ الكفرِ والمعاصي.

قال: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

قال ابنُ كثيرٍ: أخبرَ تعالى أنه ﴿لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أي: ﴿لَا يَغۡفِرُ﴾ لعبدٍ لقيَه وهو مشركٌ به، ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ =

= ذَٰلِكَ ﴾ أي: من الذُّنوبِ، ﴿لِمَن يَشَآءُ ﴾ من عبادِه.

قلتُ: فتبيَّن بهذا أن الشركَ أعظمُ الذنوبِ؛ لأن اللهَ تعالى أخبرَ أنه لا يغفِرُه؛ أي: إلا بالتوبةِ منه، وما عداه، فهو داخلٌ تحت مشيئةِ الله: إن شاءَ غفرَه بلا توبةٍ، وإن شاءَ عذَّب به، وهذا يوجِبُ للعبدِ شِدَّةَ الخوفِ من هذا الذنبِ الذي هذا شأنُه عندَ الله!

وإنما كان كذلك:

١- لأنه أقبحُ القبحِ، وأظلمُ الظُّلمِ؛ إذ مضمونُه تنقيصُ ربِّ العالمين، وصَرفُ خالص حَقِّه لغيرِه، وعَدلُ غيرِه به، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١].

٢- ولأنه مُناقِضٌ للمقصود بالخلقِ والأمرِ، مُنافٍ له من كلِّ وجهٍ(١). [١٦١]

[شرح١٦١] يعني: المقصود بالخلق أن يعبدوا الله وحده، والأمر =

---

(١) ص٧٢-٧٣.

....

= كذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] فالشرك يناقض ذلك كله، وقد تنقص الله من جعل له شريكاً من معبوداته، كما كانت العرب تقول: إلا شريكاً تملكه وما ملك! فهذا تنقص لله، ثم كيف يكون شريكه ومملوكه؟! وكذلك هذا عدل بالله بمساواة غيره به؛ فهذا يعبد وهذا يعبد، فسوى غيره به، وهذا من أظلم الظلم، وسوء ظن بالله أن يظن أنه يرضى بهذا أو يقر هذا.

۞ وذلك غايةُ المعاندةِ لربِّ العالمين، والاستكبارِ عن طاعته والذُّلِّ له، والانقيادِ لأوامرِه، الذي لا صلاحَ للعالم إلا بذلك، فمتى خلا منه خَرِبَ وقامت القيامةُ كما قال ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى لا يُقالَ في الأرضِ: اللهُ اللهُ». رواه مسلم[1].[2] [١٦٢]

[شرح١٦٢] جاء في بعض الروايات: «حتى لا يُقال في الأرض: لا إلهَ إلا اللهُ»[3]. نفس الكلمة كلمة التوحيد، عند مسلم: «الله الله»، والمعنى: الله موجود، أو الله أكبر، وما أشبه ذلك، يعني: أن الناس ينسون ربهم بالكلية، عندما يرفع القرآن ويجهل الناس حقيقة الدين، ويقبض الله أرواح المؤمنين والمؤمنات، ويبقى الأشرار لا يعرفون إلا آلهتهم المعبودة من دون الله، من أوثانهم وأصنامهم، ولا يبقى لهم علم بالله ﷻ بالكلية، فعليهم تقوم الساعة، نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٤٨).

(٢) ص٧٣.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٨).

۞ ٣- ولأن الشِّركَ تشبيهٌ للمخلوقِ بالخالقِ ـ تعالى وتقدَّسَ في خصائص الإلهيةِ من مُلْكِ الضَرِّ والنَّفعِ، والعطاءِ والمنعِ، الذي يوجبُ تَعلُّقَ الدعاءِ والخوفِ والرجاءِ والتوكُّلِ وأنواعِ العبادةِ كلِّها بالله وحدَه، فمن عَلَّقَ ذلك لمخلوقٍ فقد شَبَّهه بالخالق، وجعلَ من لا يملك لنفسه ضَرّاً ولا نَفْعاً ولا مَوتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً ـ فَضلاً عن غيرِه ـ شبيهاً بمن له الخَلْقُ كلُّه، وله المُلكُ كلُّه، وبيدِه الخيرُ كلُّه، وإليه يرجعُ الأمرُ كلُّه سبحانَه.

فأَزِمَّةُ الأمورِ كلُّها بيديه سبحانَه، ومَرجِعُها إليه، فما شاءَ كان، وما لم يشأْ لم يكُن، لا مانعَ لما أعطَى، ولا مُعطِيَ لما منعَ، الذي إذا فتحَ للناس رحمةً فلا ممسكَ لها، وما يُمسِك فلا مُرسِلَ له من بعدِه، وهو العزيزُ الحكيمُ، فأقبحُ التشبيهِ تشبيهُ العاجزِ الفقيرِ بالذاتِ بالقادرِ الغنيِّ بالذاتِ، ومن خصائصِ الإلهيةِ الكمالُ المطلقُ من جميعِ الوجوهِ الذي لا نَقصَ فيه بوجهٍ من الوجوه.

وذلك يوجِبُ أن تكونَ العبادةُ كلُّها له وحدَه، والتعظيمُ =

= والإجلالُ والخشيةُ والدعاءُ والرجاءُ والإنابةُ والتوكُّلُ والتوبةُ والاستعانةُ وغايةُ الحبِّ مع غاية الذُّلِّ، كل ذلك يجبُ عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكونَ لله وحدَه، ويمتنعُ عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكونَ لغيرِه، فمَن فعلَ شيئاً من ذلك لغيرِه فقد شَبَّه ذلك الغيرَ بمن لا شبيهَ له، ولا مثلَ له، ولا نِدَّ له، وذلك أقبحُ التشبيهِ وأبطلُه، فلهذه الأمورِ وغيرِها أخبرَ سبحانَه أنه لا يغفرُه مع أنه كتبَ على نفسِه الرحمةَ.

هذا معنَى كلامِ ابنِ القيِّم.

وفي الآية رَدٌّ على الخوارجِ المُكفِّرين بالذنوب، وعلى المعتزلةِ القائلين بأن أصحابَ الكبائرِ يدخلون النارَ، ولا بُدَّ، ولا يخرجون منها، وهم أصحابُ المنزلةِ بين المنزلتينِ، ووجهُ ذلك أن اللهَ تعالى جعلَ مغفرةَ ما دونَ الشِّركِ معلَّقةً بالمشيئة، ولا يجوزُ أن يُحمَلَ هذا على التأكيدِ[1]*.

---

* سؤال من الشيخ: ما وجه الرد من الآية على الخوارج والمعتزلة؟ =

---

(١) ص٧٣-٧٤.

....

= أحد الطلبة: الخوارج لأنهم يكفرون بالمعاصي، والله ﷻ جعل أكبر معصية الشرك، وما دون الشرك إن شاء غفره وإن شاء عذب به.

الشيخ: فدل هذا على أنه ليس بكافر؛ لأن الكافر لا يغفر له إذا مات على كفره.

أحد الطلبة: والمعتزلة يقولون بالمنزلة بين المنزلتين؛ بمعنى أنه لا يعد كافراً ولا مؤمناً، وهو مخلد في النار، فيوافقون الخوارج في الآخرة.

الشيخ: والتعليق يقتضي أنه قد لا يخلد، وأنه لا يدخل النار أيضاً، ما دام أنه معلق، فقد يغفر له ولا يدخل النار، فالرد واضح عليهم.

۞ فإن التائبَ لا فَرقَ في حقِّه بين الشركِ وغيرِه، كما قال تعالَى في الآية الأُخرى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] فهنا عَمَّمَ وأطلقَ، لأن المرادَ به التائبُ، وهناك خَصَّ وعلَّقَ لأن المرادَ به من لم يتب. قالَه شيخُ الإسلامِ[1]. [١٦٣]

[شرح١٦٣] هذا محل إجماع بين أهل العلم والتفسير، فآية الزمر الكريمة في التائبين بإجماع أهل التفسير وأهل العلم؛ لأن الله قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فأطلق وعمَّم، ولم يشرط الشرك، فدل على أن المراد به التائبون، وأما المشرك فلا يغفر له لو مات على شركه كما في آية النساء.

وفي آية النساء خص وعلق، خص الشرك بعدم المغفرة وعلق ما دونه على المشيئة، فدل على أن المراد غير التائبين؛ لأن القرآن لا يتناقض، بل يصدق بعضه بعضاً، ويفسر بعضه بعضاً. =

---

(١) ص٧٤.

....

= فآية الزمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ في حق التائبين، فمن تاب تاب الله عليه في الشرك وما دونه، وآية النساء في حق غير التائبين؛ لأنه خصص وعلق، خصص الشرك بالمغفرة، وعلق ما دونه على المشيئة، فدل على أن المراد به غير التائبين*.

---

* س: قيل: إن آية الزمر من أرجى الآيات، فكيف يكون هذا وبعدها الشروط المقيدة لتلك التوبة: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]؟

ج: وعدهم المغفرة وأمرهم، فبين لهم أن المغفرة لا تكون بمجرد أنسابهم وأسمائهم ونحو ذلك، بل بأسباب؛ بالأعمال الصالحات، فالمغفرة لها أسباب مثل التوبة والعمل الصالح.

۞ قولُه: وقال الخليلُ عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

الصَّنَمُ: ما كان مَنحُوتاً على صورةِ البشرِ، والوثَنُ: ما كان منحوتاً على غيرِ ذلك، ذكره الطبريُّ عن مجاهد.

والظاهرُ أن الصنمَ ما كان مصوَّراً على أيِّ صورةٍ، والوثنَ بخلافِه كالحجرِ والبُنْيةِ[1]. [١٦٤]

[شرح١٦٤] «البنية»: هي ما يبنى على أي مكان كعمود أو جدار أو قبة تعبد، والمقصود أن الصنم لا يختص بما كان منحوتاً على صورة البشر، كما قال الشارح لا كما قال ابن جرير رحمه الله، فمن حفر الصور كصورة أسد أو صورة ذئب أو صورة إنسان أو صورة ملك، فهذا يقال له: صنم إذا عُبد من دون الله، فإذا لم يعبد يقال له: صورة، وكذلك الوثن هو ما يعبد من دون الله مطلقاً، حتى الصنم يسمى وثناً، كما قال الله: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا﴾ [العنكبوت:١٧]. =

---

(١) ص٧٤.

....

= سمى الأصنام أوثاناً؛ فالوثن أعمّ، والصنم أخصّ، فكل صورة معبودة من صور الحيوانات فهي صنم، وكل ما يعبد من دون الله يسمى وثناً، فيطلق ذلك على الأصنام وعلى غير الأصنام، كالأشجار والأحجار المعبودة من دون الله، والصور المعبودة من دون الله، فكلها تسمى أوثاناً.

۞ وإن كان الوَثَنُ قد يُطلَق على الصنمِ، ذكر معناه غيرُ واحدٍ، ويُروَى عن بعض السلف ما يدلُّ عليه.

وقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي﴾ أي: اجعلني ﴿وَبَنِيَّ﴾ في جانبٍ عن عبادةِ الأصنامِ، وباعِد بيني وبينها، قيل: وأرادَ بذلك بَنيهِ وبناتِهِ من صُلبِه، ولم يذكرِ البناتِ لدخولهم تَبَعاً في البنين، وقد استجابَ اللهُ دعاءَه وجعلَ بنيهِ أنبياءَ، وجنَّبَهم عبادةَ الأصنامِ، وإنما دعا إبراهيمُ عليه السلامُ بذلك لأنَّ كثيراً من الناس افتُتِنُوا بها، كما قال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦].

فخاف من ذلك ودعا الله أن يُعافِيَهُ وبَنيه من عبادتها، فإذا كان إبراهيمُ عليه السلامُ يسألُ اللهَ أن يَجنُبَه ويَجنُبَ بَنيهِ عبادةَ الأصنامِ، فما ظنُّكَ بغيرِه؟ كما قال إبراهيمُ التَّيميُّ: ومن يأمنُ من البلاءِ بعدَ إبراهيم. رواه ابنُ جريرٍ وابن أبي حاتم[1]. [١٦٥]

[شرح١٦٥] قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] =

(١) ص٧٤.

....

= كما قال الشارح يفيد أن المؤمن يسأل ربه العافية من مضلات الفتن، ومن أسباب الفتن، ولا سيما عند كثرتها ووجود أسبابها، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما رأى أنها أضلت كثيراً من الناس سأل ربه أن يقيه وبنيه عبادة الأصنام.

وبنوه يحتمل أنه ليس له بنات، ولهذا خص البنين، ويحتمل أن له بنات ولكن ترك ذكرهن تبعاً للبنين كما قال الشارح، والأقرب ـ والله أعلم ـ أنه ترك ذكرهنَّ لأنهن غير موجودات، والمقصود أنه سأل لبنيه فقط الوقاية من عبادة الأصنام، ويحتمل أنه أراد البنين المخصوصين، وهم الحاضرون الموجودون في زمانه من صلبه.

ويحتمل أنه أرادهم وغيرهم، فاستجيب له في بعض، ولم يستجب له في بعض؛ فإن قريشاً كلهم من ذرية إبراهيم، ومع هذا وقع فيهم الشرك، ومنهم أبو طالب، ومنهم أبو لهب المنصوص عليه أنه من أهل النار.

فالمقصود أن هذه الدعوة قد تكون أراد بها قوماً مخصوصين من بنيه، وهم الموجودون لديه في ذاك الوقت، فأجاب الله دعوته =

....

= فيهم، وقد يكون أراد بنيه وبني بنيه الموجودين، وقد يكون أراد آخرين منهم.

فالحاصل أنه دعا، وليس كل دعوة يدعوها نبي تستجاب، فقد يستجاب له في بعض، وقد لا يستجاب له في بعض، فدعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن كانت مظنة الإجابة لكنها قد تستجاب وقد لا تستجاب، وقد تجاب في بعض، ولا تجاب في بعض، فقد دعا النبي ﷺ لأمته «أن لا يجعلَ بأسَهُم بينَهم» فلم يُستجَب له في ذلك عليه الصلاة والسلام[1]، وكذلك دعا على جماعة فلم يستجب له فيهم، بل هداهم الله وأسلموا.

فالحاصل أن دعوات الأنبياء وغير الأنبياء قد تستجاب لما فيها من المصالح العظيمة، وقد لا تستجاب لحكمة بالغة أرادها الله ﷻ، فليس كل دعوة من الأنبياء وغيرهم تستجاب أبداً، وإن كان الأنبياء أَولى الناس بالاستجابة، وأحقهم بالاستجابة، لفضلهم وتقدمهم على غيرهم بالعلم والعمل، ولكن ربك حكيم عليم جل وعلا، =

(١) أخرجه مسلم: الفتن (٢٨٩٠).

....

= فهو أحكم وأعلم ﷻ، فهو أعلم بأحوال عباده، فقد تكون الدعوة محل استجابة لحكم وأسرار، وقد تكون ليست محل الإجابة لحكم وأسرار خفيت على من دعا*.

* س: هل جميع العرب من ذرية إسماعيل؟

ج: معروف أن بعض العرب من قحطان، وقريش جماعة آخرون من العرب من ذرية إسماعيل مثل تميم وغيرهم فهم أُمم كثيرة، ولكن قريشاً مقطوع أنهم من ولد إسماعيل؛ والحاصل أن دعوته لبَنيه ليست عامة لكل ذريته إلى يوم القيامة أنهم يهتدون وأنهم يُسلِمون.

۞ وهذا يوجِبُ للقلبِ الحيِّ أن يخافَ من الشِّركِ، لا كما يقول الجُهَّالِ: إن الشركَ لا يقعُ في هذهِ الأُمةِ، ولهذا أَمِنوا الشركَ فوَقَعوا فيه، وهذا وجهُ مناسبةِ الآيةِ للترجمةِ.

قال: وفي الحديث: «أخوفُ ما أخافُ عليكُم الشِّركُ الأصغرُ» فسُئِل عنه فقال: «الرِّياءُ»[1].[2] [١٦٦]

[شرح١٦٦] إذا كان إبراهيم يخاف البلاء على بنيه وعلى نفسه، فجدير بكل مؤمن أن يخشى على نفسه، وأن يحذر الشرك وأسبابه ووسائله، وألا يتساهل؛ فإن العبد إذا أمن الشيء وتساهل فيه قد يقع فيه، وهو لا يشعر لتساهله وغفلته، لكن متى أخذ حذره، ومتى استعان بالله على السلامة من ذلك الشيء، فهو حري أن يوفق ويعان، وهكذا سنة الله في عباده، فمن حذر الشيء وخافه وابتعد عن أسبابه فالغالب عليه السلامة، ومن تساهل وتهاون بالشيء فقد يقع فيه لغفلته وتساهله.

ولما ابتلي كثير من الناس بظنهم أن الشرك لا يقع من الأمة، =

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) ص٧٤-٧٥.

....

= وأن الأمة مطهرة جهلاً منهم، وقعوا في الشرك واستحسنوه، ودعوا إليه وهم لا يشعرون، نسأل الله العافية، مثل كثير من عُبّادِ الأولياء كعُبّاد البدوي، وعباد الحسين، وعباد الشيخ عبد القادر، وعباد الأنبياء، وقعوا في الشرك، ودعوا إليه، وتمرغوا فيه، وهم يظنون أنهم سالمون، وأنهم مطهرون.

۞ هكذا أوردَ المصنِّفُ هذا الحديثَ مختصراً غيرَ مَعزُوٍّ، وقد رواه الإمامُ أحمدُ، والطبـرانيُّ، وابنُ أبي الدنيا، والبيهقي فـي «الزهد»، وهذا لفظُ أحمدَ قال: حدثنا يونسُ، قال: حدثنا ليثٌ، عن يزيدَ ـ يعني ابنَ الهادِ ـ قال: عن عَمرٍو، عن محمودِ بنِ لَبِيد، أن رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكُم الشِّركَ الأصغرَ» قالوا: وما الشركُ الأصغرُ يا رسولَ الله؟ قال:«الرياءُ، يقول اللهُ يومَ القيامةِ إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالِهِم: اذهبُوا إلى الذين كنتُم تُراؤُونَ في الدُّنيا، فانظُرُوا هل تَجِدونَ عندَهم جزاءً»[1].

قال المنذريُّ: ومحمودُ بنُ لبيدٍ رأَى النبيَّ ﷺ ولم يصحَّ له منه سماعٌ فيما أرَى، وذكر ابنُ أبي حاتم أن البخاريَّ قال: له صُحبةٌ. قال: وقال أَبي: لا تُعرَفُ له صحبةٌ. ورجَّحَ ابنُ عبدِ البرِّ الحافظُ أن له صُحبةً وقال: جُلُّ روايتِه عن الصحابةِ، وقد رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ جيدٍ عن محمودِ بن لَبيدٍ، عن رافع =

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٣٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١) ولم أقف عليه في المطبوع من «الزهد» له.

= بن خَدِيج، وقيل: إن حديثَ محمودٍ هو الصوابُ دون ذِكرِ رافعٍ، مات محمودٌ سنةَ ستٍّ وتسعينَ، وقيل: سنةَ سبعٍ وله تِسعٌ وتسعونَ سنةً[1]. [١٦٧]

[شرح١٦٧] تقدم في المصطلح أن مرسل الصحابي حُجة، وأن الصحابي وإن لم يكن له سماع، فإن روايته عن الصحابة غالباً، ولهذا كانت رواية طارق ابن شهاب عن أبي موسى كثيرة وعن غيره.

الحاصل أن مرسلات الصحابة حجة قائمة ومسندة، فلهذا يقول العراقي:

أما الذي أَرسلَهُ الصَّحابِيْ فحكمُهُ الوَصلُ على الصَّوابِ

وبعضهم حكى فيه الإجماع.

فهنا «الليثُ» هو الليثُ بن سعد، و«عمرو» هو عمرو بن دينار[2]، والله أعلم، وهذا السند معروف عنده. =

(١) ص٧٥.

(٢) بل هو عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، لم يسمعه من محمود بن لبيد بينهما عاصم بن عمر بن قتادة، وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٤١٣٥) من طريق إسماعيل بن جعفر، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن عاصم بن عمر، =

....

= ثم ذكر الشارح أنه رواه الطبراني بسند جيد عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج أن رسول الله ... الحديث، أي: فاتصل أيضاً.

= عن محمود بن لبيد. وقد ذكر الإمام أحمد أن عمراً هو عمرو بن أبي عمرو في «مسنده» (٥/ ٤٢٨) في الحديث الذي يلي هذا الحديث، فقال: حدثنا إبراهيم بن أبي العباس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم ابن عمر الظفري عن محمود بن لبيد، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم» فذكر معناه. أي: معنى الحديث المذكور.

۞ قوله: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكُم الشركَ الأصغرَ»[١] هذا مِن رحمتِه ﷺ لأُمته وشفقَتِه عليهم، وتحذيرِه مما يخافُ عليهم، فإنه ما من خيرٍ إلا دَلَّهم عليه وأمرَ به، وما من شَرٍّ إلا وأخبرَهم به وحذَّرَهم عنه، كما قال ﷺ فيما صَحَّ عنه: «ما بعثَ اللهُ من نبيٍّ إلا كان حقاً عليه أن يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خيرِ ما يعلَمُه لهم، وينهاهُم عن شرِّ ما يعلَمُه لهم»[٢].[٣] [١٦٨]

[شرح١٦٨] رواه مسلم في «الصحيح»[٤] من حديث عبد الله بن عمرو، وفي آخر هذا الحديث ذكر الفتن ثم قال: «فمن أحَبَّ أن يُزَحزَحَ عن النار ويُدخَلَ الجنةَ، فلتدرِكه مَنِيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ، وليأتِ إلى الناسِ الذي يُحبُّ أن يُؤتَى إليه»، أي: وليعامل الناس كما يحب أن يعامل» .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه مسلم: الإمارة (١٨٤٤).

(٣) ص٧٥.

(٤) مسلم: الإمارة (١٨٤٤).

۞ ولما كانت النفوسُ مجبولةً على محبَّةِ الرياسةِ والمنزلةِ في قلوبِ الخلقِ إلا من سَلَّم اللهُ، كان هذا أخوفُ ما يُخافُ على الصالحينَ لقوَّةِ الداعي إلى ذلك، والمعصومُ من عَصَمَه اللهُ[1]. [١٦٩]

[شرح١٦٩] لأن الشيطان يأتي إلى العباد والصالحين، ويزين لهم كثيراً بإظهار شيء من أعمالهم لمحبة الناس، أو ثناء الناس، أو السمعة بين الناس، وهذه من دسائس الشيطان ومكائده، يبتلي كثيراً من العباد والأخيار لإظهار بعض الأعمال للرياء، فحذر النبي ﷺ من ذلك، وأبدى عاقبة ذلك عليه الصلاة والسلام، وأن تكون أعمال العبد كلها لله وحده يبتغي بها وجهه ﷻ، وليحذر مكائد الشيطان في تزيينه إظهار بعض الأعمال من أجل مراءاة الناس أو سمعتهم.

فإذا خِيفَ على الصالحين من الشرك الأصغر، فيخاف على من غيرهم من باب أولى الشرك الأكبر والأصغر جميعاً، فإذا كان الصالح صاحب العلم وصاحب الفضل يخشى عليه ـ مع علمه =

---

(١) ص٧٥.

....

= وفضله وفقهه ـ أن يقع في الشرك الأصغر، فكيف بالجاهل الذي ليس عنده من البصيرة والعلم ما عند ذلك الصالح وذلك العالم؟! فهو يخشى عليه من هذا ومن هذا، وهذا هو الشاهد إذا كان يخشى على الصالحين من الشرك الأصغر، فمن ليس عنده صلاح بل عنده فسق يخشى عليه مما هو أكبر منه وهو الشرك الأكبر*.

*** س: سؤال حول العصمة، هل يجوز للإنسان أن يقول: اللهم اعصمني؟**

ج: لا، بل: احفظني، وإن كان ليس أحد معصوماً إلا الرسول ﷺ، بل يحفظ الله بعض العباد حتى لا يقع في الشر فضلاً منه وإحساناً ﷻ.

س: ما مدى صحة هذا الحديث أن النبي ﷺ إذا نظر في المرآة، قال: «اللهمَّ كما حَسَّنتَ خَلْقي فحَسِّن خُلُقي»؟

ج: لا أعرف هذا[1]، لكن يوجد حديث رواه جماعة، ذكره الحافظ: «اللهمَّ أحسنتَ خَلْقي فأحسِن خُلُقي»[2] وهذا غير مقيد بالنظر في المرآة، وهذا لا بأس به، أما ذكر المرآة في الحديث ما أتذكره.

(١) هو عند ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٦٣)، وفيه ضعف.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٣).

۞ وهذا بخلافِ الداعي إلى الشِّركِ الأكبرِ فإنه إمّا معدومٌ في قلوبِ المؤمنينَ الكاملينَ، ولهذا يكون الإلقاءُ في النارِ أسهلَ عندَهم من الكفرِ(١). [١٧٠]

[شرح١٧٠] وقد ذكر هذا ﷺ في قوله: «ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حلاوةَ الإيمانِ... وأن يكرَهَ أن يعودَ في الكفرِ بعدَ أن أنقذَه اللهُ منه، كما يكرَهُ أن يُقذَفَ في النارِ»(٢).

---

(١) ص٧٥.

(٢) أخرجه البخاري: الإيمان (١٦)، ومسلم: الإيمان (٤٣).

۞ وإما ضعيفٌ، هذا مع العافيةِ، وأما مع البلاءِ فـ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، فلذلك صارَ خوفُه ﷺ على أصحابه من الرياءِ أشدَّ لقوَّةِ الداعي وكثرتِه دونَ الشركِ الأكبرِ لما تقدَّم[1]. [١٧١]

[شرح١٧١] ولهذا جاء في حديث آخر قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشَى عليكم، ولكنِّي أخشَى أن تُبسَطَ عليكُم الدُّنيا»[2]، فذاك الشرك الأكبر، لأنهم قد عرفوا من حال الجاهلية ومن حال عبادة الأصنام والأوثان ما عرفوا، فهم لا يخشى عليهم أن يقعوا في الشرك الأكبر، لكمال علمهم، وكمال بصيرتهم، وقلة الداعي إلى ذلك، ولكن خاف عليهم الفتنة في الدنيا وشهواتها وشرها، قال: «والله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشَى أن تبسطَ عليكم الدُّنيا»[3]، وهنا خاف =

(١) ص٧٥.

(٢) أخرجه البخاري: الجزية (٣١٥٨)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٦١).

(٣) أخرجه البخاري: الجزية (٣١٥٨)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٦١).

....

= عليهم الشرك الأصغر لكثرة دواعيه، ومكائد الشيطان في شأنه، وتزيينه للناس من أهل العلم والصلاح ونحو ذلك*.

---

* س: هل يدخل حب الدنيا والتمتع فيها في الشرك الأصغر؟

ج: قد يقع؛ لأن في الإنسان ضعفاً باتباع هواه، ويعدّه جمع من أهل العلم نوعاً من الشرك الأصغر، لأنه نوع من الهوى، لكن الصحيح في هذا أنه لا يسمى بالشرك الأصغر إلا بالنقل، فما جاء به النقل يسمى الشرك الأصغر، وما لم يأت به النقل وهو من المحرم فهو من باب المعاصي، أو من باب البدع على حسب حاله.

فالشرك يقتصر فيه على النقل، فما كان من نوع العبادة لغير الله هذا الشرك الأكبر، وما كان دون ذلك مما يسمى شركاً كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان، والرياء، هذا يسمى شركاً كما جاءت به النصوص لكنه أصغر.

وأما الزنى والسرقة وأشباه ذلك فهذه تسمى معاصي وتسمى كبائر، حسب ما جاء في النصوص، لكن بعض السلف يطلق على المعاصي أنها نوع من الشرك الخفي، لأنها نوع من اتباع الهوى، فهذا من باب الاجتهاد يسميها بعض الناس من باب الاجتهاد.

س: كقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]؟ =

....

= ج: هذا هو نعم.

س: والذي يقع في الفتنة وهو ليس له فيها حيلة؟

ج: يجتهد ويسأل ربه الفرج والهداية والسلامة إذا وقع، ويلجأ إلى الله ويتضرع إليه، ويسأل ربه المخرج.

س: الذي يأتي بعض الرياء من أمور الدنيا مثلاً، مثل أن يحس في نفسه أنه رامٍ أو شيء ويفتخر على غيره؟

ج: هذا شيء ثانٍ، «إن اللهَ أوحَى إليَّ أن تواضَعُوا حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ»[1]، ما ينبغي له أن يفخر لا برمايته ولا بسياقته، وليحمد الله الذي أعطاه ويسر له سبحانه، والحمد لله والفضل لله، فقد يبتلى بتضييع هذه المعرفة وبجهلها، ويبتلى الآخر المحقور والمسخور بالفوز والبصيرة والنجاح.

س: قول: «صدق الله العظيم» بعد قراءة القرآن، هل هو بدعة، وإذا كان كذلك فما معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران:٩٥]؟

ج: هذا الذي يفعله الناس لا أصل له، وينبغي تركه، أما إذا قال في بعض الأحيان لمناسبة أو شيء للتعجب من عظم ما في الآيات، وما دلت =

---

(١) أخرجه مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥).

....

= عليه من المعنى العظيم، وما ظهر من مطابقتها، وقال: «صدق الله العظيم» من باب بيان عظم شأنه، وبيان عظم ما أخبر به ﷻ، ولا يتخذ عادة عند التلاوة، فلا بأس به.

من هذا قوله: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران:٩٥] «صدق الله» فيما أخبر به ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ ليس هذا المراد أن يقال دائماً، إنما قاله النبي ﷺ لبيان صحة ما جاءت به التوراة والإنجيل وما جاء به القرآن.

س: عندما دخل الحسن والحسين فقال النبي ﷺ: «صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥]»[1]؟

ج: عند المناسبة مثل ما استعمل عند الصحابة صدق الله وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يدل على عظم ما أرسل به رسوله ومعجزات الأنبياء، وأن الله أخبر عن شيء فوقع، من باب تنبيه الحاضرين على أن هذا الذي رؤي ووجد من دلائل صدق الله ورسوله ﷺ فيما أخبر عنه.

س: الآن استمر حتى في الصلاة فيقوله أحدهم في الصلاة؟

ج: هذا من الجهل لأنه اعتاده فظن أنه قربة، فهذا لا أصل له عند =

---

(١) أخرجه أبو داود: الصلاة (١١٠٩)، وابن ماجه: اللباس (٣٦٠٠)، والترمذي: المناقب (٣٧٧٤)، والنسائي: الجمعة (١٤١٣).

....

= السلف الصالح، ولا ينبغي أن يتخذ عادة، وقد نبهنا على هذا غير مرة.

س: بعض القراء إذا قرأ القرآن أخذ يهتز ويتمايل، ما أصل ذلك؟

ج: لا نعرف لهذا أصلاً.

س: الذي يُقَبِّلُ القرآنَ هل لهذا أصل؟

ج: إذا كان عن محبة وعن شيء في نفسه، لا نعرف في هذا شيئاً، لكن ليس مشروعاً، فالذي يضع المصحف على عينيه ويقبل المصحف ويقول: هذا كلام ربي، ما نعرف فيه شيئاً، وإنما هو من باب المباحات.

ﷺ مع أنه أخبرَ أنه لا بدَّ من وقوع عبادةِ الأوثانِ في أُمَّتِه، فدلَّ ذلك على أنه ينبغي للإنسانِ أن يخافَ على نفسِه الشِّركَ الأكبرَ، إذا كان الأصغرُ مَخُوفاً على الصالحين من الصحابةِ مع كمالِ إيمانهم، فينبغي للإنسان أن يخافَ الأكبرَ لنقصانِ إيمانِهِ ومعرفتِه بالله.

فهذا وجهُ إيرادِ المصنِّف له هنا مع أن الترجمةَ تشمَلُ النوعين[١]. [١٧٢]

[شرح١٧٢] ومن هذا ما جاء في الحديث «لا تقوم الساعة حتى تلحقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثانَ»[٢]، ومن هذا الحديث الصحيح: «لَيحمِلَنَّ شِرارُ هذه الأُمَّةِ على سَنَنِ الذين خَلَوا مِن قَبلِهم أهلِ الكتابِ قبلكم حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ»[٣].

ومعلوم أن من سنن من قبلنا عبادة الأوثان وعبادة الأصنام، =

---

(١) ص٧٥-٧٦.

(٢) أخرجه أبو داود: الفتن والملاحم (٤٢٥٢)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٥٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٥).

....

= هذه من طرقهم فطرق اليهود والنصارى والمشركين عبادة الأصنام والأوثان، فالنبي ﷺ أخبر أن هذه الأمة تسلك مسالك من كان قبلها.

فدل ذلك على أنه يقع فيهم الشرك في الجزيرة وغير الجزيرة وليسوا معصومين، كما يظن بعض الجهلة أن أمة محمد معصومة لا يقع فيها شر، كذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «لا تقومُ الساعةُ حتى تَضطَرِبَ أَلَيَاتُ نساءِ دَوسٍ على ذِي الخَلَصَةِ»(١) بَوَّب عليه البخاري في «صحيحه»: «باب تغيُّر الزمانِ حتى تُعبَدَ الأوثان»، المقصود أن هذا واقع، وقد تعلق بعضهم بحديث «إن الشيطانَ قد أَيِسَ أن يُعبدَ في بلدكم هذا»(٢) . هذا قد يتعلق به بعض الناس ولا يفهم المراد ولا يدري ما معنى الله ورسوله في الحديث.

فالشيطان قد ييأس من الشيء ويحصل، وقد يرجوه ويحصل، فالشيطان غير معصوم بيأسه ولا برجائه، فهو عدو الله وليس =

---

(١) أخرجه البخاري: الفتن (٧١١٦)، ومسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي: الفتن (٢١٥٩)، وابن ماجه: المناسك (٣٠٥٥).

....

= معصوماً، فقد يرجو شيئاً لظهور أسبابه فلا يحصل، وقد ييأس من شيء لظهور أسباب اليأس فيحصل، فالشيطان لما رأى ظهور الدين وإقبال الصحابة عليه والمسلمين، وظهور الجهاد ونحو ذلك، وقوة الدواعي للحق يئس أن يعبد في الجزيرة، فيئس من عودتهم إلى الشرك بالله وعبادة الأوثان والأصنام؛ لما رأى من الصلاح ومن ظهور العلم والفقه في الدين والجهاد الصادق، ولكنه لم يقل: إن الله يأسه، قد يئس هو ولم يقل: إن الله يأسه، ولكنه يرضى بالتحريش بينكم وبما تحتقرون من أعمالكم.

وأخبرنا ﷺ في أحاديث أخرى أن هذا الشرك يقع في هذه الأمة، وقد يقع في الجزيرة نفسها وفي غيرها، فعلم بذلك أن يأس الشيطان ليس معصوماً وليس صحيحاً، فقد يئس ولكنه وقع الشرك في الجزيرة وفي غيرها، وهذا أمر معلوم لا إشكال فيه، وظن بعض الناس أن هذا صحيح، وأن ما يقع من الشرك عند قبر الرسول ﷺ أو عند قبر خديجة بمكة أو عند غيرهما أو عند المشهور من قبور الصحابة أن هذا ليس بشرك، وأن هذه الأمة معصومة. =

....

= وهذا من الجهل الكبير فالشرك يعرف بواقعه وبأعمال أهله لا بمجرد الخبر الخالي عن كل شيء، فالرسول ﷺ حين أخبر عن يأس الشيطان لم يقل: إن الله قد حفظ يأسه وصدق يأسه، بل مجرد خبر، وأخبر في أحاديث أخرى أن هذا اليأس ليس بصحيح، وأن الشرك قد يقع في هذه الأمة في آخر الزمان، وأنها تعبد الأوثان، وأنها تسلك مسلك من كان قبلها من الأمم في الشرك وغيره، وأن الناس في آخر الزمان ينزع من قلوبهم الإيمان، ويأخذ الله المؤمنين والمؤمنات، ثم يبقى الناس في شرك وباطل وعبادة لغير الله، حتى تقوم عليهم الساعة.

فالأصول في هذا كثيرة جداً في «الصحيحين» وغيرهما، فلا ينبغي أن يغتر المؤمن وطالب العلم بما اغتر به كثير من الناس ممن لم يعرفوا حقيقة الشرك، ولم يعرفوا مراد النبي ﷺ بالأحاديث، بل أخذوا بعضاً وتركوا بعضاً، فغلب عليهم الجهل بالحقائق، ووقعوا في الشرك وهم لا يشعرون بسبب قلة العناية والجمع بين الأخبار، والنظر في النصوص وما تدل عليه، وتطبيق النصوص التي جاءت =

....

= في هذا على ما دلت عليه والنصوص الأخرى على ما دلت عليه*.

---

* س: أخبرني أحد الإخوان أنه وجد في «تاريخ نجد» لابن غنَّام أنه ذكر نساء دوس؟

ج: وقع هذا في دولة آل سعود حول بيشة، ومعروفة إلى الآن.

س: وهل يقع مرة أخرى؟

ج: قد يقع وماذا يمنع. وموجود الآن الشرك بين الحجاج وغير الحجاج والمواطنين، وإن كانوا قد يخفونه إذا خافوا لكنه يقع، فكثير من الحجاج الآن ليس عندهم من البصيرة والهدى ما يعصمهم من الشرك ويحفظهم منه، فإذا جاؤوا عند قبر النبي ﷺ صاحوا يستغيثون بالرسول ﷺ ويطلبون منه، هكذا في المقابر مقابر أهل البيت من الشيعة وغير الشيعة، هكذا بمكة يقع شيء كثير من هذا، وكثير من الناس الآن لا يعرفون حقيقة التوحيد كما ينبغي، ولهذا يظنوا دعاء الأموات والاستغاثة بالأموات من الدين ومن الهدى.

س: إذا كان رجل يسلك طريقاً معيناً إلى المسجد ووجد في هذا الطريق الراحة النفسية، أيعد هذا من الشرك؟

ج: لا ليس فيه شيء هذا طيب؛ لأن هذا الطريق أسلم من غيره.

۞ قال المصنِّفُ: وفيه أن الرياءَ من الشِّركِ وأنه من الأصغرِ وأنه أخوفُ ما يُخافُ على الصالحين.

وفيه قُربُ الجنةِ والنارِ والجمعُ بين قربِهما في حديثٍ واحدٍ على عملٍ واحدٍ متقاربٌ في الصورةِ[1]. [١٧٣]

[شرح١٧٣] هذا يشير إلى حديث ابن مسعود الآتي وحديث جابر: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[2]. والجنة والنار قريبتان؛ هذا قد توفي على التوحيد فيكون من أهل الجنة، وهذا قد توفي على الشرك فيكون من أهل النار، وقد يكونان في مكان واحد وفي ساعة واحدة فهذا قد توفي على التوحيد والإيمان فله الجنة، وهذا توفي على الشرك والكفر بالله فله النار، وقد يكونا أخوين، وقد يكون أب وابنه هذا للجنة وهذا للنار؛ نسأل الله العافية.

وفي الحديث الصحيح: «الجنةُ أقربُ لأحدِكم من شراكِ نعلهِ، =

---

(١) ص٧٦.

(٢) هذا حديث جابر أخرجه مسلم: الإيمان (٩٢) (١٥١). أما حديث ابن مسعود فأخرجه البخاري: الجنائز (١٢٣٨) و(٤٤٩٧) وسيأتي.

....

= والنارُ مِثلُ ذلك»[١] وجه ذلك أن الرجل قد يموت على التوحيد والإيمان فيكون من أهل الجنة، والآخر يموت على ضد ذلك فيكون في النار*.

---

* س: رجال دخلوا المسجد والإمام يصلي هل يحق لهم أن يقضوا جماعةً ما فاتهم من الصلاة؟

الشيخ: هل جاؤوا والإمام قد سلم؟

السائل: لا بل بقي عليهم ركعتين، أيقضون باقي الصلاة الجماعة؟

ج: الأفضل عدم ذلك، وهو يصح إن شاء الله، ولكن الأفضل أن يصلي كل واحد منفرداً بنفسه؛ لأن النبي ﷺ لما أدرك عبد الرحمن بن عوف في صلاة الفجر، وقد صلى ركعةً فصلى معه النبي ﷺ والمغيرة الركعة الباقية، ثم قضى كل واحد بنفسه منفرداً الركعة التي فاتته مع عبد الرحمن ابن عوف[٢]، ولم يؤمَّ النبيُّ ﷺ المغيرةَ في ذلك، بل كل واحد قضى منفرداً بنفسه، هذا هو الأولى والأفضل، كل واحد يقضي منفرداً، ولو فعلوا صح إن شاء الله.

س: إذا قامت الصلاة وهم يصلون نافلة؟ =

---

(١) أخرجه البخاري: الرقاق (٦٤٨٨).

(٢) أخرجه مسلم: الصلاة (٤٢١)(١٠٥).

....

= ج: الأفضل قطعها لقول الرسول ﷺ: «إذا أُقيمت الصلاةُ فلا صلاةَ إلا المكتوبةُ»(١)، إلا إذا كان في آخرها فلا يقطع كأن يكون قد ركع الركوع الثاني فالأفضل عدم القطع؛ لأنه بقي منها الشيء اليسير.

س: قضاء الظهر خلف من يصلي العصر، ما حكمه؟

ج: فيه خلاف بين العلماء، من يقضي الظهر خلف العصر والعشاء ونحو ذلك والأظهر الجواز، لأن النية لا تؤثر والأعمال متماثلة، فإذا نام عن الظهر أو نسيها فلما جاء العصر صلى معهم العصر بنية الظهر، ثم إذا فرغوا قضى العصر.

س: كثير من طلبة العلم يفتي بأنه إذا أقيمت الصلاة وهو يصلي السنن يتمها ويستشهدون بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]؟

ج: هذا قول جماعة من أهل العلم يتمها خفيفة، ولكن ما جاء في الحديث أنه يقطع، وأما ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ المراد به الردة أو المراد به أمر غير شرعي، لا تبطلوا أعمالكم بالردة ولا بالأمور غير الشرعية.

س: إذا كان رجل مسافراً وأتى في جماعة وهم يصلون مقيمين، وأدرك معهم ركعتين يتمها أم لا؟

ج: يتمها أربعاً، هذه هي السنة، في قول بعض أهل العلم يصلي =

(١) أخرجه مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧١٠).

....

= ركعتين، ولو صلى مع المقيمين ولكنه قول ضعيف، فالصواب أنه إذا صلى مع المقيمين يتم أربعة، لأن ابن عباس لما سئل عن هذا قال: تلك سُنة أبي القاسم[1]؛ وقول الصحابي: هكذا السُّنة، في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٦).

۞ قال: وعن ابنِ مسعودٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن ماتَ وهو يَدعُو لله نِدّاً دخلَ النارَ» رواه البخاري(١).

قال ابنُ القيِّم: النِّدُّ: الشِّبهُ يقال: فلانٌ نِدُّ فلانٍ ونَديدُه، أي: مثلُه وشبهُه. انتهى.

وهذا كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨] أي: من ماتَ وهو يدعو لله نِدّاً، أي: يجعلُ لله نِدّاً فيما يختصُّ به تعالى ويستحقُّه مِن الرُّبوبيَّةِ والإلهيَّةِ دخلَ النارَ لأنه مشركٌ.

فإن اللهَ تعالى هو المستحقُّ للعبادةِ لذاتِه، لأنه المألُوهُ المعبودُ الذي تألَهُه القلوبُ، وترغبُ إليه، وتفزعُ إليه عندَ الشدائدِ، وما سواه فهو مُفتَقِرٌ إليه مقهورٌ بالعبوديةِ له، تجري عليه أقدارُه وأحكامُه طَوعاً وكَرهاً، فكيف يصلُحُ =

---

(١) البخاري: تفسير القرآن (٤٤٩٧).

= أن يكونَ نِدّاً؟! قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:١٥].

وقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، فبطلَ أن يكونَ له نَدِيدٌ مِن خَلقِه، تعالى عن ذلك عُلُوّاً كبيراً ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾ [المؤمنون](١). [١٧٤]

[شرح١٧٤] الآيات والأحاديث تعمُّ كل تنديد، قد يكون التنديد في الربوبية؛ أي: يزعم أن لله شريكاً في تدبير الأمور وتصريف الأكوان وهذا شرك الربوبية، وهذا لا يقوله غالب الأمم، فقد =

---

(١) ص٧٦.

....

= ينكرون ذلك ويقرون بأن الله هو المستقل بهذا ﷻ، بما في ذلك كفار أهل مكة من العرب وغيرهم.

المقصود أن هذا نوع من التنبيه، وهو أن يعتقد أن لله شريكاً في التدبير والتصرف، فغالب الأمم تنكر هذا ولا تؤمن به، والتنديد المشهور بين العرب وبين الأمم هو التنديد في العبادة أي: جعلوا نديداً لله يدعى مع الله بزعم أنه وسيط، لأنه مستقل يتصرف في الكون ولكنه وسيط، كما قال الرب ﷻ عن المشركين أنهم قالوا: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣].

مثل ما قالوا في التلبية: «لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، هو ند ونديد بزعمهم، لكنه مقهور مربوب لهذا الرب ﷻ، فهو قول متناقض فاسد كيف يكون نديداً ونداً وهو مقهور مربوب؟! هذا كلام من لا يعقل ولكنهم لا يعقلون؛ فأهل الشرك لا يعقلون، ولهذا زعموا أن الشفعاء أنداد، وزعموا أنهم وسائط، وقالوا: نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، فدعوهم واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، ونصبوا القباب على قبورهم، وغير ذلك مما فعلوه، =

....

= كل ذلك للجهل والضلال الذي وقعوا فيه، وزعموا أن هذه الأنداد، سواء أكانت ملائكةً أو أنبياء أو جِنّاً أو أصناماً أو غير ذلك، زعموا أنها واسطة في تحقيق مطالبهم وتحصيل مآربهم.

فأبطل الله ذلك، وبين ﷻ أنه المعبود بحق جل وعلا، وأنه لا ند له ولا شريك له ولا ظهير ولا عون له ﷻ، وأن الواجب توجيه القلوب إليه وإخلاص العبادة له وحده ﷻ، ولهذا قال: «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار»[1]، أي: يدعوه مع الله، أي: يتخذه نداً لله جل وعلا في العبادة، فيدعوه معه ويرجوه، أو ينذر له ويذبح له، أو يصلي له ويسجد، إلى غير ذلك.

ثم لا يلزم من الند أن يكون مماثلاً بكل الوجوه، فلا يقول أحد: إن الند مماثل لله ﷻ بكل الوجوه، إنما يدعي أنه مماثل من حيث إنه ينفع داعيه، فيجيب دعوة داعيه بالوساطة، ويقضي حاجته، ولا يزعم أنه مثل ربه، ولهذا قالوا: (تملكه وما ملك) فهو ند ببعض الوجوه، ومثيل ببعض الوجوه، لا من كل الوجوه. =

(١) أخرجه البخاري: تفسير القرآن (٤٤٩٧)، ومسلم: الإيمان (٩٢).

....

= وهذا يبين أن التنديد مطلقاً، حتى ولو كان من بعض الوجوه، شرك بالله ﷻ، فالتنديد ممنوع وباطل مطلقاً، سواء أكان يعتقد أنه مساو لله، أو في بعض العبادات فقط، أو في بعض الأشياء فقط، كله باطل.

۞ واعلم أن دعاء النِّدِّ على قسمينِ: أكبرَ، وأصغرَ؛ فالأكبرُ لا يغفرُه اللهُ إلا بالتوبةِ منه، وهو الشركُ الأكبرُ. والأصغرُ كيسيرِ الرِّياءِ، وقول الرجل: ما شاءَ اللهُ، وشئتَ، ونحو ذلك، فقد ثبتَ أن النبيَّ ﷺ لما قال له رجلٌ: ما شاءَ اللهُ وشئتَ، قال: «أجعلْتَنِي لله نِدّاً، بل ما شاءَ اللهُ وحدَه». رواه أحمدُ، وابنُ أبي شيبة، والبخاريُّ في «الأدب المفرد»، والنسائيُّ، وابنُ ماجه[1]. وقد تقدَّم حكمُه في باب فضلِ التوحيدِ[2]. [١٧٥]

[شرح١٧٥] والمقصود أن التنديد هو الشرك، فتقدم أن الشرك قسمان: أصغر، وأكبر.

فالتنديد كذلك يسمى شركاً، ويسمى تنديداً، فهو أكبر وأصغر. =

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٩)، وابن ماجه: الكفارات (٢١١٧). كلهم بلفظ «عدلاً» بدلاً من «نداً»، ما عدا البخاري ولفظه: «جعلت لله نداً؟!».

(٢) ص٧٦.

....

= فالأكبر: ما فيه صرف للعبادة لغير الله، ويسمى تنديداً أكبر، وشركاً أكبر، كدعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر لهم، والذبح لهم، والجن، والملائكة، والأشجار، والأحجار، وأشباه ذلك، فهذا يسمى شركاً أكبر، وتنديداً أكبر.

والأصغر: وهو ما دون ذلك، فلا يسمى شركاً أو تنديداً في النصوص، لكنه دون القسم الأول، وليس عبادة لغير الله، لكنه نوع شرك، بحيث إنه ساوى الله به في بعض الأمور، مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، لولا الله وفلان، هذا من الله وفلان، فيسمى هذا تنديداً، ويسمى شركاً؛ لأن فيه شيئاً من المساواة، وشيئاً من الظلم للنفس، فلهذا قيل له: تنديد، وقيل له: شرك أصغر، مثل الرياء.

وهكذا الحلف بغير الله نوع من التنديد، ونوع من الشرك الأصغر، وقد يرتقي بعض هذه الأنواع إلى الشرك الأكبر، على حسب ما يكون بالقلب من تعظيم لغير الله، وإقبال عليه، واعتقاد فيه، ونحو ذلك، فيرتقي من هذا المعنى إلى المعنى الأكبر، وهو الشرك الأكبر، نسأل الله العافية. =

....

= جاء في بعض الروايات «عدلاً» وفي بعضها: «ندّاً، بل ما شاء الله وحده»، وفيه معنى آخر في الحديث الآخر؛ حديث قُتيلة[١]، ويأتيكم إن شاء الله، قالت اليهود للمسلمين: إنكم تنددون، تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فأنكر عليهم النبي ﷺ، وتقولون: والكعبة، فأمرهم إذا أراد أحدهم أن يحلف أن يقول: ورب الكعبة، وأن يقول: ما شاء الله ثم ما شاء محمد، فسموا قول: «ما شاء الله وشاء محمد»، «والكعبة»، تنديداً، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك.

فدلَّ ذلك على أن ما كان بهذا المعنى يسمى تنديداً، ومن هذا الحديث الآتي حديث الطفيل بن سَخْبرة: أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مرَّ على النصارى، فقال: أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، وهكذا اليهود، قال: أنتم القوم لولا أنكم تقولون: العزير ابن الله، فقالوا: إنكم لأنتم القوم يا أمة محمد لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فأخبره فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا: «ما شاء الله وحده»[٢]. =

---

(١) أخرجه النسائي: الأيمان والنذور (٣٧٧٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه: الكفارات (٢١١٨)، وأحمد (٥/ ٧٢)، ولفظ أحمد: «لا تقولوا: =

....

= الحاصل أن مثل هذه الكلمات تسمى تنديداً، وتسمى شركاً، ولكنه أصغر في الأغلب*.

* س: التعبير بكلمة «ثبت» وخاصة ممن يدري بقواعد المحدثين ألا يدل على صحة الحديث؟

ج: عند الشارح نعم، عندما يقولها فإنه يعني بذلك صحة الحديث عنده.

س: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء:٤٨] هل يدخل الشرك الأصغر في الآية؟

ج: فيه خلاف، قال بعض أهل العلم: إن الشرك الأصغر يدخل، وإنه لا يغفر إلا بالتوبة، أو برجحان الحسنات. وقال آخرون: إنه من جنس الكبائر، فيغفر بالتوبة وبالحسنات.

والمعنى متقارب، فإن الحسنات إذا رجحت زال حكم الشرك الأصغر، وكذلك إذا تاب الإنسان منه توبة صادقة، فمعلوم أنه يشمل حتى الشرك الأكبر، أي: جنس عموم الشرك.

وقد يقال: إنه لا يغفر؛ لأنه نوع من الشرك، والآية عامة، فلا يغفر إلا =

= ما شاء الله وما شاء محمد»، وفي «المستدرك» للحاكم (٣/ ٤٦٣) بلفظ: «فلا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده لا شريك له».

....

= بالتوبة منه، وإنما يبقى على صاحبه، لكن متى عظمت الحسنات وتكاثرت الأعمال الصالحات رجح الميزان، وصار في الكفة المرجوحة، فعند ذلك يبقى لا أثر له، ويبقى الحكم للراجح.

۞ قال: ولمسلمٍ عن جابرٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَن لقيَ الله لا يُشرِكُ به شيئاً دخلَ الجنةَ، ومَن لقيَه يُشرِكُ به شيئاً دخلَ النارَ»[1].

جابر: هو ابنُ عبدِ الله بنِ عمرِو بن حَرامٍ ـ بمهملتين ـ الأنصاريُّ، ثم السَّلَميُّ بفتحتين[2]. [١٧٦]

[شرح١٧٦] من بني سَلِمة، بخلاف السُّلَميّ بالضم فمن بني سُلَيم المعروفين، وهي قبيلة معروفة من العرب، يقال لهم: بنو سُلَيم، والنسبة إليهم سُلَميّ بالضم لا بالفتح، مثل جُهَني.

أما بنو سَلِمة فمن الأنصار، فالنسبة إليهم سَلَميّ بفتحتين، مثل النسبة إلى بني نَمِر ـ بكسر الميم ـ: نَمَري، بفتح النون والميم، ومنهم ابن عبد البر.

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٩٢) (١٥٢).

(٢) ص٧٧.

۞ صَحابيٌّ جليلٌ مُكثِرٌ، ابنُ صحابيٍّ، له ولأبيهِ مناقبُ مشهورةٌ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ مات بالمدينة بعدَ السبعينَ، وقد كُفَّ بَصَرُه، وله أربعٌ وتسعونَ سنةً[1]. [١٧٧]

[شرح١٧٧] رحمه الله، وأبوه عبد الله بن عمرو بن حرام، وهو من النقباء والأخيار، قتل يوم أحد شهيداً، رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) ص٧٧.

۞ قولُه: (مَن لقي اللهَ لا يُشرِكُ به شيئاً) قال القُرطُبيُّ: أي: مَن لم يتَّخِذ معه شريكاً في الإلهيةِ، ولا في الخلقِ، ولا في العبادةِ، ومن المعلومِ مِن الشرعِ المُجمَعِ عليه عندَ أهلِ السُّنَّةِ أن من ماتَ على ذلك فلا بُدَّ له من دخولِ الجنةِ، وإن جَرَت عليه قبلَ ذلك أنواعٌ مِن العذابِ والمِحنَةِ.

وإن ماتَ على الشركِ لا يدخلُ الجنةَ، ولا ينالُه من الله رحمةٌ، ويخلدُ في النارِ أبدَ الآبادِ، من غيرِ انقطاعِ عذابٍ، ولا تَصرُّم آمادٍ، وهذا معلومٌ ضروريٌّ من الدينِ، مجمَعٌ عليه بين المسلمين.

وقال النوويُّ: أما دخولُ المشرِك النارَ فهو على عمومِه، فيدخلُها ويخلدُ فيها ولا فرقَ فيه بين الكتابيِّ اليهوديِّ والنَّصرانيِّ وبين عبدةِ الأوثانِ وسائرِ الكفرةِ من المرتدينَ والمُعَطِّلينَ، ولا فرقَ عندَ أهلِ الحقِّ بين الكافرِ عناداً وغيرِه، ولا بين من خالَف مِلَّـةَ الإسلامِ وبين مَن انتسبَ إليها، ثم حُكِمَ بكُفرِه بجَحدِه وغيرِ ذلك. =

= وأما دخولُ من ماتَ غيرَ مشركٍ الجنةَ، فهو مقطوعٌ له به، لكن إن لم يكن صاحبَ كبيرةٍ ـ ماتَ مُصِرّاً عليها ـ دخلَ الجنةَ أولاً، وإن كان صاحبَ كبيرةٍ ماتَ مُصِرّاً عليها فهو تحت المشيئةِ، فإن عفا عنه، دخلَ الجنةَ أولاً، وإلا عُذِّبَ في النارِ ثم أُخرجَ فيدخلُ الجنةَ.

وقال غيرُه: اقتَصَر على نفي الشركِ لاستدعائه التوحيدَ بالاقتضاءِ، واستدعائه إثباتَ الرسالةِ باللُّزومِ؛ إذ مَن كَذَّب رسلَ الله، فقد كَذَّبَ الله، ومَن كَذَّبَ اللهَ فهو مشركٌ، وهو كقولكَ: مَن توضَّأ صَحَّت صلاتُه، أي: مع سائرِ الشروطِ.

فالمراد: من مات حالَ كونِه مؤمناً بجميع ما يجبُ الإيمانُ به إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي.

قلت: قد تقدَّمَ بعضُ ما يتعلَّقُ بذلك في باب فضلِ التوحيد.

قال المصنِّفُ: وفيه تفسير «لا إلهَ إلا اللهُ» كما ذكره البخاريُّ في «صحيحه» يعني: أن معنى «لا إلهَ إلا اللهُ» تركُ =

= الشركِ وإفرادُ الله بالعبادةِ، والبراءةُ ممن عَبَدَ سواه؛ كما بينه الحديث، وفيه فضيلةُ مَن سَلِمَ من الشركِ(١). [١٧٨]

[شرح١٧٨] وما قاله الشارح معلوم، فلا بد منه لما يعلق على نفي الشرك من دخول الجنة والنجاة من النار، فالمراد مع بقية أمور الدين.

أما من ترك الشرك بالله ﷻ، لكن وُجِد منه أمور أخرى توجب خروجه من الدين،فلا يدخل في هذا الوعد، فلا بد في هذه النصوص من مراعاة النصوص الأخرى، فهذا الأمر لا شك فيه، وأهل العلم يضمون النصوص بعضها إلى بعض، ويكملون المعنى بضم هذا إلى هذا، ويبينون أن من فرق بين النصوص فقد فرق بين ما جمع الله بينه.

فمن مات على ترك الشرك، لكنه لم يؤمن بالنبي ﷺ، أو جحد شيئاً مما أخبر الله به ورسوله مما جرى في الماضي، أو جحد شيئاً مما أوجب الله، أو جحد شيئاً مما حرم الله، فهذا كله غير داخل في الوعد في دخول الجنة والنجاة من النار. =

---

(١) ص٧٧.

....

= فالحاصل أنه لا بد من نفي الشرك، بالإضافة إلى ما جاء في النصوص الأخرى من الإيمان بالله ورسوله، والتصديق بما أخبر الله به ورسوله، وعدم الجحد بما جاءت به النصوص، وعدم وجود مكفر من استهزاء بالدين، أو سب لله ورسوله، أو غير هذا مما يوجب الكفر، فهذا لا بد من مراعاته في جميع الأمور.

فهذه قواعد لا بد أن تراعى في كل ما يقال فيه إنه من أسباب دخول الجنة، أو من أسباب تكفير السيئات، أو ما أشبه ذلك، فلا بد من مراعاة الأصول*.

---

* س: جاء في الحديث أنه يخرج من النار من دخلها، ولم يعمل خيراً قط[1].

ج: أي: ليس له أعمال أخرى إلا التوحيد والإيمان؛ لأن النصوص بينت أنه لا بد من التوحيد، ولا بد من الإيمان، وإلا فالجنة عليه حرام، ولهذا جاء في الروايات أنهم يُخَرَجون من النار لأنهم يقولون: لا إله إلا الله[2].

فالمقصود أنه إذا جاء لفظ مجمل يقيَّد بالنصوص الأخرى الواضحة الدالة على أنه لا نجاة إلا بتوحيد وإيمان. =

---

(١) انظر «مسند أحمد» (٢/ ٣٠٤)، وفيه: «ولم يعمل خيراً قط إلا التوحيد».

(٢) أخرجه البخاري: التوحيد (٧٤١٠)، ومسلم: الإيمان (١٩٣)(٣٢٥).

....

= س: إذا احتج بهذا الحديث من يقول بأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، فما الجواب عن ذلك؟

ج: يحتج عليه بالنصوص الأخرى، فأهل السنة والجماعة لا يفرقون بين النصوص، ولا يكذبون بعضها ببعض، ولا يضربون كتاب الله بعضه ببعض، لكنهم يصدقون كتاب الله كله، ويفسرون هذا بهذا، فيقال: دلت النصوص على أن الأعمال من الإيمان.

وليس لك أن تكذب بعضاً وتؤمن ببعض، بل عليك أن تصدق الجميع، وتتلى عليه الآيات والأحاديث الدالة على ذلك.

س: قال غيره: اقتصر على نفي الشرك؟

ج: لأن ترك الشرك يقتضي توحيد الله والإخلاص، وإلا ما كان تركاً للشرك، فإذا ترك الشرك ولكن ما وحد الله ولا عبده، فمعناه أن قد عطل الله وأعرض عنه.

فالمقصود من هذا مدحه بأنه خاف لله، وتوجه إليه بقلبه، ووحده سبحانه، وليس المراد مجرد ترك الشرك، ولكنه لم يوحد الله، فإن هذا ليس محل مدح ولا ثناء، فلو أنه أعرض عن الله، فلا عبده وحده، ولا أشرك به، بل أعرض عن الله بالكلية، فهذا ليس بمسلم وليس بموحد، لكن في عرف المخاطبين من لا يشرك بالله يقتضي أنه موحد بالله ومؤمن به ﷻ، فخاطبهم بما يعقلون، فإذا قيل: إن فلان لا يوالي أعداء فلان، أو لا يحب =

....

= أعداء فلان، فليس لأنه يحبه ويواليه، ولا يوالي غيره، وما أشبه ذلك، فالمقام يدل على المقصود.

س: من لم يعمل خيراً قط هل يقال: إنه من الموحدين؟

ج: بمراعاة القرائن، أي: خيراً قط منفصلاً عنه التوحيد، مثل: الصدقات والصيام، فقد يكون أسلم وشهد شهادة الحق ثم مات في الحال، وأيضاً قد يكون عنده سيئات، وعنده معاص، فأدخل النار بها، ثم طهر؛ لأن معه أصل التوحيد، أصل الإيمان بالله، وأن الله ربه وإلهه الحق، «خيراً قط» أي: خيراً عملياً بعيداً عن القلوب.

كما لو قال قائل: يقول الله جل وعلا: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠] أليس القول السديد من التقوى؟ هو من التقوى، لكنه نبه عليه، لعظم شأنه، وكذلك ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] أليس من العمل الصالح؟ أليس من الإيمان التواصي بالحق والتواصي بالصبر؟

هو من الإيمان، ومن العمل الصالح، لكنه نبه عليه لعظم شأن المعنيين التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وهكذا أشباه ذلك ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] أليس الصدق من التقوى؟ هو من التقوى، لكنه نبه على الصدق لعظم شأنه، وأن الواجب على المتقي أن يكون مع الصادقين وأن يحذر الكذب. =

....

= س: يقولون بأنه لو كان بين الإيمان والأعمال تلازم، أي: أمور متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر، لما حصل له دخول الجنة، وهو لم يعمل خيراً قط؟

ج: الإيمان كلٌّ يتبعض، فبعض يكفَّر به الإنسان إذا تركه، وبعضه لا يكفَّر به إذا تركه، مثل ما قال النبي ﷺ: «الإيمانُ بِضعٌ وسبعونَ شُعبَةً» أو قال: «بِضعٌ وستونَ شُعبةً»، على روايتيه، «فأفضلُها قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأدناها إماطَةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ»[1]، فهل قول: «لا إله إلا الله» وهي الشعبة الأولى مثل الشعبة الأخيرة إماطة الأذى عن الطريق؟ هل يتساويان؟!

لا يتساويان، فلو مرَّ بالطريق ولم يزل الأذى الذي فيه من حديد أو غيره ما صار كافراً، بل عاصياً، ناقص الإيمان، ولو أنه ترك «لا إله إلا الله» ولم يؤمن بها أو لم يقلها، لصار كافراً بإجماع المسلمين، فشعب الإيمان غير متساوية، فيها ما هو واجب وفرض لا بد منه، وإلا زال الإيمان بالكلية، وفيها ما هو واجب وفرض ولكن ما يزول الإيمان بزواله، بل ينقص ويضعف.

س: بعض الناس يعصون الله جل وعلا، ويداومون على المعاصي، ويقولون: إن الله جل وعلا يغفر ما دمت موحداً، فالله يغفر لك، والذنوب =

---

(١) أخرجه البخاري: الإيمان (٩)، ومسلم: الإيمان (٣٥).

....

= هذه تحت مشيئة الله، ويداوم على المعاصي ـ والعياذ بالله ـ وهو على علم.

ج: هذا من جهله، وهو على خطر إن أصر على المعاصي، فقد يحال بينه وبين التوبة، وعلى خطر أيضاً من وقوعه في الكفر لتساهله، فقد يعاقب، ولكنه صادق ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٢٩] سبحانه وتعالى، كما في القرآن الكريم، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

لكنك هل تدري أنك ممن يغفر له، وأنت مصر على المعاصي، فأنت على خطر من أن تحرم المغفرة ومن أن يحال بينك وبين المغفرة، وأن تدخل النار بما أصررت عليه من الذنوب، قال الله في التائبين: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦] فوعدهم المغفرة والجنة على عدم الإصرار.

فإذا أصر فهو غير موعود بالمغفرة ولا بالجنة، بل هو على خطر؛ لأنه معلق، والمعلق غير المجزوم له، فالمعلق على خطر، فقد يحصل له، وقد لا يحصل له، فهل يرضى العاقل أن يكون معلقاً، فالعاقل هو الحريص على النجاة لنفسه، ولا يرضى أن يكون معلقاً، بل يحرص أن يكون مع الناجين المجزوم لهم بالنجاة، والله المستعان.

والحمد لله الذي جعل مَن على المعاصي تحت المشيئة، الحمد لله أنه ما جعل كل من على معصية مخلداً في النار لا حيلة له، فمن فضل الله أن جعل للناس حيلة، يتوبون ويرجعون ويستغفرون عما مضى، فهذا من فضله =

....

= وإحسانه جل وعلا.

س: سؤال غير مسموع.

ج: إن جاء الشرك نقض التوحيد، فإن جاءت الكلمات الشركية صارت نقضاً للتوحيد، والمراد أنه من يقول: «لا إله إلا الله» ويعتقد معناها، من توحيد الله وإفراده بالعبادة، أما من قال: «لا إله إلا الله» ونقضها بأقواله وأفعاله فلا تنفعه «لا إله إلا الله»، فلا بد أن يقولها وأن يوحد الله، ولهذا في اللفظ الآخر، يقول ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ على أنْ يُعبدَ الله ويكفرَ بما دونه»[١]، فلا بد من توحيد الله، وفي حديث معاذ: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله»[٢]، فلا بد من توحيده.

أما مجرَّد قول: «لا إله إلا الله» مع الشرك فلا ينفع، لا من قالها معتقداً، ولا من قالها غير معتقد كالمنافقين، فكلهم لا ينفعهم ذلك؛ ولهذا يقولها المنافقون، ولا يصدقون بمعناها، فلا تنفعهم، وهكذا اليهود يقولونها، وهكذا النصارى قد يقولها كثير منهم، ولا تنفعهم؛ لأنهم لا يؤمنون بمعناها، وهكذا عباد الأوثان إذا قالوها، ثم عبدوا البدوي، وعبدوا الحسين، وعبدوا عبد القادر، وعبدوا اللات والعزى، فما تنفعهم؛ لأنهم قالوها لغواً، فما تفيد ـ نسأل الله العافية ـ فالمقصود المعاني. =

---

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (١٦).

(٢) أخرجه البخاري: الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم: الإيمان (١٩).

....

= س: فهل يعذروا مع الجهل بمعناها؟

ج: هذا محل نظر، إن لم يعلموا، يوضح ويبين لهم الحق الذي جاءت به الرسل، حتى يفهموا ويعقلوا.

أما إن ماتوا عليها فهل لهم عذر أم لا؟ على قولين لأهل العلم: منهم من قال لهم عذر، ويمتحنون يوم القيامة مثل أهل الفترة، ومنهم من قال: لا يعذرون؛ لأن الإيمان واضح في كتاب الله وفي سنة رسوله، فالإيمان والتوحيد واضح لا يعذر بجهالته.

أحد الطلبة: ذكر ابن ماجه رحمه الله في الحديث رقم (٤٠٤٩):

حدثنا علي بن محمد، قال: حدثنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن رِبعِيٍّ بن حِراش، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدرُسُ الإسلامُ كما يدرُسُ وَشيُ الثوبِ، حتَّى لا يُدرَى ما صيامٌ ولا صلاةٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ، ولَيُسرَى على كتابِ الله ﷻ في ليلةٍ، فلا يبقَى في الأرضِ منه آيةٌ، وتبقَى طوائفُ من الناسِ، الشيخُ الكبيرُ والعجوزُ، يقولون: أدركنا آباءَنا على هذه الكلمةِ: لا إلهَ إلا اللهُ، فنحن نقولُها».

فقال له صِلَةُ: ما تُغنِي عنهم: لا إلهَ إلا اللهُ، وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرَضَ عنه حذيفةُ، ثم ردَّها عليه ثلاثاً، كُلَّ ذلك يُعرِضُ عنه حذيفةُ، ثم أقبلَ عليه في الثالثةِ فقال: يا صِلَةُ تُنجِيهِم من النارِ، ثلاثاً. =

....

= الشيخ: وهذا سند جيد عند ابن ماجه، وهو يدل على أن هؤلاء الذين جهلوا الشرائع وما جاء به القرآن في زمانهم، ولم يبق عندهم إلا ما حفظوه عن آباءهم، أن إيمانهم بـ«لا إله إلا الله» وقولهم: «لا إله إلا الله» الذي ليس معه شرك، بل معها توحيد وإخلاص ـ أن هذا ينجيهم من عذاب الله، ولا يلزم من النجاة من عذاب الله أن لا يكون هناك عذاب.

بل يدل ذلك على مصيرهم إلى النجاة والسعادة، فإن كانوا معذورين، لم يدروا عن الصلاة ولا عن الصيام شيئاً، ولا قامت عليهم حجة، فحكمهم حكم أهل الفترات في هذا الشيء، فيكون معهم الأصل، أصل السعادة وأصل الإيمان، فينجون من عذاب الله جل وعلا.

هذا، وليس في الحديث حجة لمن ترك الصلاة عامداً وهو يعلم أنها فريضة.

الطالب: وقال الحاكم في «مستدركه»، المجلد الرابع (ص٤٧٣):

أخبرني أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد الحفيد، قال: حدثنا جدي قال: حدثنا أبو كريب، قال: أنبأنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي، عن حذيفة ﷺ بلفظه، غير أنه قال: قال صِلَةُ بنُ زُفَر. وقوله في آخره: يا صلةُ تنجيهم من النار.

فلفظ «ثلاثاً» غير موجودة عند الحاكم، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. =

....

= الشيخ: هذا سند جيد.

س: السندان جيدان؟

ج: كلا، سند الحاكم لا أعرف صحته، ولكن سند ابن ماجه جيد، ولكن انتهى إليه الحاكم.

س: وهل إذا سكت عنه الذهبي يكون موافقاً له؟

ج: نعم يكون موافقاً له؛ والذي يظهر أنه إذا تركه أهل العلم يكون ثابتاً، وهذا الأرجح من القولين، وهذا مشهور بين العلماء، فبعضهم يرى أنه كفر دون كفر، ولا يراه كافراً، لكن ظاهر النصوص تقتضي تكفيره إذا كان يعرف ذلك، نسأل الله السلامة.

أحد الطلبة: بعض الإخوان أعطاني هنا سطرين من كتاب اسمه «كتاب الإنتاج» يدرس بالرياض في كلية التجارة، وهو مقرر على البنات والأولاد، فيه سطران نحب من سماحتكم أن تطَّلع عليهما، يقول:

أهم من ذلك كله تطوير عقلية ومفاهيم السكان، وبالتالي تغيير معتقداتهم وعاداتهم التي قد تقف عقبة في سبيل أي تقدم، والمثل الواضح على ذلك ما ترتب على إقامة المصانع في الصعيد من تطوير في عقلية السكان الموجودين في هذه المناطق، من كان يتصور أن سكان منطقة مثل كوم أمبو، أو قنا، سيقبلون أن تتخلص بناتهم من الحجاب وتخرج للعمل والمصانع، هذا ما حدث فعلاً في قلب الصعيد، نجد الآن في المناطق الصناعية =

....

= العاملات يعملن جنباً إلى جنب مع العمال، وقد تخلصن تماماً من الحجاب، انتهى الموضوع.

الشيخ: هذا على كل حال كلام قبيح خليع، أوله مجمل وهو محل نظر، لكن آخره واضح وبيِّن في مسألة محاربة الحجاب، وأن هذا من التقدم الذي ينبغي أن ينظر فيه، والله المستعان.

الطالب: تغيير المعتقدات والعادات...!

الشيخ: هذا مجمل، فيه شر تحت الرماد، فالمعتقدات الفاسدة في الحسين والبدوي لا بأس في تغييرها، لكن المعتقدات الصالحة لا تغير، أقول: هذا كلام مجمل، في مصر وأشباه مصر معتقدات فاسدة ينبغي أن تغير، كعبادة البدوي وعبادة الحسين وأشباه ذلك، لكن العقيدة الصالحة وأهل التوحيد لا يجوز أن تغير عقائدهم؛ وهذا مطلوب من حراس المسلمين.

س: حديث «لا يأتي زمانٌ إلا الذي بعدَه شَرٌّ منه»؟

ج: صحيح، رواه البخاري[1]، أي: في الجملة، فقد يأتي بالنسبة إلى بعض الأزمنة فرج من الكرب، وهدى من الضلال على أيدي بعض الدعاة إلى الله ﷻ، لكن في الجملة لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ولكن لا يمنع من كون بعض الزمان بالنسبة إلى بعض البلاد أحسن من الذي قبله؛ =

---

(١) البخاري: الفتن (٧٠٦٨).

....

= كما جرى في عهد عمر بن عبد العزيز، بالنسبة إلى من قبله في الجملة، وكما جرى في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ بالنسبة للتي قبلها، وقد تأتي أشياء تكون أصلح بالنسبة لما قبلها.

وجاء في الحديث: «طُوبَى للغرباءِ الذين يُصلِحُون ما أفسدَ الناسُ»[1] أي: غرباء يأتون لإصلاح الناس، فيكون زمانهم أصلح من الزمان الفاسد الذي قبلهم، وهو ثابت من طرق كثيرة، وأصله في «مسلم»[2]، لكن الزيادة جاءت في طرق أخرى ثابتة غير «مسلم»، وذكر الهيثمي جملة منها في «مجمع الزوائد»[3] وغيرُه.

* * *

يليه الجزء الثاني وأوله:

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

---

(١) أخرجه الترمذي: الإيمان (٢٦٣٠).

(٢) مسلم: الإيمان (١٤٥).

(٣) بالأرقام (١٢١٩١) و(١٢١٩٣) و(١٢١٩٤).

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥

ترجمة الشيخ سليمان بن عبد الله ٧

أهمية كتاب «تيسير العزيز الحميد» ٩

القول في «بسم الله» ١٣

الكلام على لفظ الجلالة «الله» ١٥

القول في «الرحمن الرحيم» ٢٥

الشرك في توحيد الإلهية والعبادة وهو نوعان ٣٤

١ - أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله ٣٤

٢ - الشرك الأصغر كيسير الرياء ٥٩

الشرك بالله في الألفاظ كالحلف بغير الله ٦٢

قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٧٢

تعريف العبادة ٧٣

الأحكام التي للربوبية خمسة ٧٤

عبادة الله ومعنى الإسلام ٨٢

اختصاص الخالق تعالى بالعبادة ٨٧

تعريف الطاغوت ٨٨

طريقة القرآن أن يقرن النفي بالإثبات ١٠٠
من الكفر بالطاغوت بغضه وكراهته وعدم الرضا بعبادته ١٠٥
الإيمان يشمل القول والتصديق والعمل ١٠٥
الإحسان إلى الوالدين وبرهما.. ١٠٩
قول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾........ ١٢٤
تحريم الشرك، قال تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾....................... ١٢٥
معنى كلمة «لا إله إلا الله».. ١٢٩
قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾... ١٣٠
قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ ١٣٢
قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾........... ١٣٦
قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ١٣٨
قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ١٣٩
قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.................. ١٤٤
قوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ ١٤٦
قوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾............................ ١٤٧
قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ١٤٩
قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ ١٥٠
قوله: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾.. ١٥٠

قوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ١٥٣
قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾........................ ١٥٤
السعادة كلها والفلاح كله مجموع في شيئين ١٦٠
أنواع المحبة ١٦١
مضمون شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ١٦٥
قوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾........................ ١٦٧
العبادة هي التوحيد ١٧١
التوحيد أول واجب على المكلف ١٧٢
حق الله على العباد وحق العباد على الله ١٧٩
ما هو الحديث القدسي ١٩١
دخول الجنة بعدم الشرك مع التزام بقية الأمور........................ ١٩٦
ترك الشرك يقتضي توحيد الله........................ ٢٠٠
قوله: أفلا أبشر الناس........................ ٢٠٢
من فوائد هذا الباب ٢٠٥
ترجمة البخاري........................ ٢٠٩
ترجمة مسلم ٢١١
باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب ٢١٣
أنواع الظلم الثلاثة ٢١٨

قوله: «إنما هو الشرك».. ٢٢٢
ما هو الشرك الأكبر والشرك الأصغر........................... ٢٣٢
الفرق بين الشِّركين... ٢٣٤
ترجمة عبادة بن الصامت....................................... ٢٣٧
قوله: «من شهد أن لا إله إلا الله»............................ ٢٣٧
الألوهية منحصرة في الله الواحد............................... ٢٤٢
معنى «لا إله إلا الله» أي: لا معبود بحق إلا إله واحد.............. ٢٥٠
ذكر نصوص العلماء في معنى الإله............................. ٢٥٧
«لا إله إلا الله» اشتملت على نفي وإثبات....................... ٢٨١
لا ينفع توحيد الربوبية مع الشرك في الإلهية....................... ٢٨٩
الحلف بغير الله تعالى.. ٢٩١
«لعمري» ليست من ألفاظ الحلف بغير الله........................ ٢٩٣
قصة القسامة التي وقعت في الجاهلية............................. ٢٩٦
الاستغاثة بغير الله تعالى.. ٢٩٨
الحج إلى القبور... ٢٩٨
معنى الإله.. ٣٠٣
توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.......................... ٣٠٦
توحيد الألوهية.. ٣٠٦

المقصود من «لا إله إلا الله» أن يوحَّد الله وأن يعبَد ٣٠٨
قوله: وأن محمداً عبده ورسوله ٣٠٩
قوله: وأن عيسى عبد الله ورسوله ٣١٢
قوله: وكلمته ٣١٥
كلام حول الإمام ابن حزم ٣١٥
التقليد وأقسامه ٣١٦
قوله: ألقاها إلى مريم ٣١٩
قوله: وروح منه...٣٢١
ما حكم التقارب بين الأديان ٣٢٢
المضاف إلى الله تعالى...................................٣٢٦
قوله: والجنة حق والنار حق.............................٣٣٢
قوله: أدخله الله الجنة على ما كان من العمل..............٣٣٢
أحوال من ينطق بالشهادة ٣٣٥
حديث عتبان بن مالك..................................٣٣٩
أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حَرُم على النار...........٣٣٩
مجرد الشهادة دون عمل لا يجدي ٣٤٨
جهل الصوفية وأغلاطهم ٣٥٦
ابن عربي من الضلّال ٣٥٨

قوله: وعامرهن غيري ٣٦٥
قوله: مالت بهن لا إله إلا الله ٣٧١
أفضل الذكر: لا إله إلا الله ٣٧٤
حديث البطاقة ٣٧٤
أهل الكبائر معرضون للوعيد ٣٧٧
ترجمة ابن حبان البستي ٣٨٠
ترجمة الحاكم النيسابوري ٣٨٢
التقليد الذي يؤدي إلى الكفر ٣٨٣
ترجمة الترمذي ٣٨٤
ترجمة أنس بن مالك ٣٨٤
كمال التوحيد والإخلاص والقيام بشروطهما ٣٨٦
كثرة ثواب التوحيد، وسعة كرم الله ٣٨٩
الموحدون المسلمون لهم حالتان ٣٩٢
الرد على الذين يكفرون المسلم بالذنوب ٣٩٥
بعض آراء الخوارج والمعتزلة ٣٩٦
رأي أهل السنة والجماعة في مرتكب المعاصي والسيئات ٣٩٧
الشيعة أقسام ٣٩٨
الجمع بين حديثي عبادة وعتبان يبين معنى «لا إله إلا الله» ٤٠٠

المتكلم بالكفر والمستهزئ يستتاب فإن تاب وإلا قتل................ ٤٠٤
من يسب الله أو الرسول يقتل بلا استتابة ٤٠٤
من يسب الدين يستتاب.. ٤٠٥
باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب....................... ٤٠٧
تحقيق التوحيد ٤٠٧
سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.................... ٤١٠
قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ٤١٣
كن مع الحق أينما كان.. ٤٢٦
قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾......................... ٤٣٢
حديث: «عرضت عليَّ الأمم».. ٤٣٨
ترجمة سعيد بن جبير ٤٤٠
ظلم الحجاج والخروج عليه وعلى الخليفة عبد الملك ٤٤٠
طلب الحجة على صحة المذهب ٤٤٨
ترجمتا الشعبي وبريدة بن الحصيب ٤٤٩
قوله: وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع.............................. ٤٥٠
ترجمة ابن عباس ٤٥٠
قوله: «عرضت علي الأمم»... ٤٥١
قوله: «ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» ٤٥٥

إباحة المناظرة في العلم ٤٦١
حديث: «من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل» ٤٦٧
الرقية في إناء فيه ماء وصبه على المريض أو يشربه المريض............ ٤٧١
قوله: «ولا يكتوون» ٤٧٥
جواز الكي ٤٧٨
ما تضمنته أحاديث الكي... ٤٧٨
قوله: «ولا يتطيرون»... ٤٨٣
التطير والتشاؤم والفأل ٤٨٣
قوله: «وعلى ربهم يتوكلون»...................................... ٤٨٥
في التداوي أربعة أقوال.. ٤٨٩
لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب........................... ٥٠١
حقيقة التوكل.. ٥٠٣
قوله: فلا يجعل عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً ٥٠٤
باب الخوف من الشرك... ٥٠٧
تنقض عرى الإسلام عروة عروة.................................... ٥٠٩
الشرك أعظم الذنوب ٥١١
الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى ٥١٤
قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾...... ٥١٩

حديث: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» ٥٢٥
مرسلات الصحابة حجة قائمة ومسنَدة ٥٢٨
النفوس مجبولة على محبة الرياسة والمنزلة ٥٣١
وقوع عبادة الأوثان في هذه الأمة ٥٣٩
الرياء من الشرك الأصغر ٥٤٤
من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار ٥٤٨
دعاء الند على قسمين ٥٥٣
من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ٥٥٨
ترجمة جابر بن عبد الله ٥٥٨
من معاني «لا إله إلا الله» ترك الشرك وإفراد الله تعالى بالعبادة
والبراءة ممن عبد سواه ٥٦١

للمراسلة
عبد السلام بن عبد الله السليمان
ص.ب ٢٨٠٨٤ الرياض ١١٤٣٧
E-mail:abdulsalam700@hotmail.com